

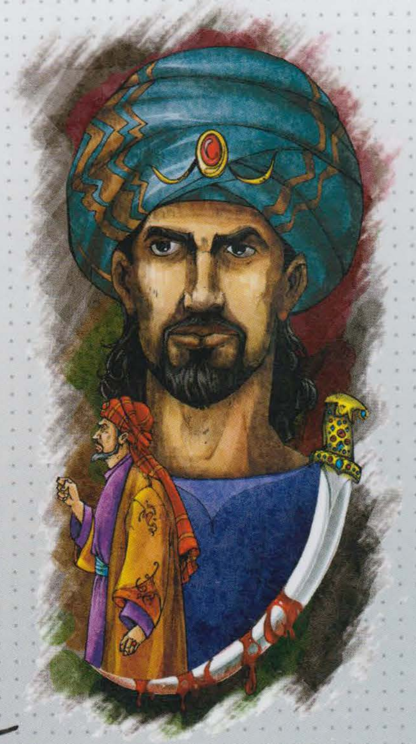
الطبعة الثانية



معاوية الثاني

دراسة تحليلية

لقصة إعتزال الحاكم الأموي الثالث معاوية بن يزيد بن معاوية



جعفر البياتي


معاوية الثاني

معاوية الثاني

دراسة تحليلية

لقصة إعتزال الحاكم الأموي الثالث معاوية بن يزيد بن معاوية

جعفر البياتي



▣ معاوية الثاني

▣ جعفر البياتي

▣ منشورات الرافد

▣ الطبعة الاولى / ٢٠٠٠ نسخة

▣ ١٤٣١هـ / ٢٠١٠ م

▣ ISBN : 978-600-5688-21-4

الإهداء ..

إلى جميع طلّاب الحقيقة والباحثين عنها بصدقٍ وإنصاف.

إلى مَن نذروا عقولهم إلى التعرّف على حقائق التاريخ وواقعيّاته.

أقدّم هذه الوريقات المتواضعة..

مفتتح الحديث

الحمد لله الواحد الأحد، الفرد الصمد، وأزكى الصلاة وأتمّ السلام على الرسول المؤيَّد، المصطفى أحمد، أبي القاسم محمّد، وعلى آله أُولي النُهى والحِجى والسُّؤدد.

هذه بين أيدينا صورٌ من التاريخ.. تعالَوا ـ إخوتّنا الأعزّة ـ نتأمّلْ في ملامحها، في ألوانِها ومعانيها وآفاقها.

والتاريخ عِبَرٌ ومواقف.. وقد أحببنا أن نستخلص منها بعض الدروس من خلال شخصيّات موفّقة، وأُخرى خائبة.. هذه ثَبتَت وصابرت واتّقت حتّى أفلحت، وتلك انحرفت وغوت وتمادت حتّى خسرت.

كما أحببنا أن نتعرّف على السرّ الذي يقف وراء ذلك، مع أنّ هنالك مَن ضلّ، بل وأضلّ، وهو في أجواء الإيمان والهدى، وهنالك من اهتدى، بل وهدى، وهو في أجواء الكفر والضلال والفساد.. فكان ذا موفّقاً ربح، وكان الآخرُ خائباً خسِر.

والتوفيق له قصصٌ في حياة الإنسان.. تتلخّص في أنّ العبد إذا

واجَهَ هدايةَ الله بالقبول والتسليم والإخلاص والسعي، نال الخير والسعادة. أمّا إذا واجه هداية الله بالصدّ والتعالي والعناد والتعصّب الأعمى والمكابرة، فإنّ مآله إلى الشرّ والشقاء.

ومصاديق ذلك كثيرة.. وضعنا بين يدي القارئ الكريم بعضاً منها، يطالعها في رحلةٍ مؤنسة، لا ينسى خلالها أن يذكرنا بدعواته المخلصة.

تمهيد

الحمد لله الذي أرسل أنبياءَه حُجّةً على العالمين، وعقّبهم بالأوصياء تكميلاً للدِّين المُبين، واصطفى منهم خمسةً وهُم أُولو العزم، فضّلهم على أنبيائه المرسلين، واختار من بينهم محمّداً ﷺ وجعله نبيّاً وآدمُ بين الماء والطين، ثمّ فضّل أوصياءَه صلوات الله عليهم، وصيّرهم حُجّةً على أهل السماوات والأرضين، وفضّل من بينهم ابن عمّه وأخاه وباب مدينة عِلمه، على الخَلق أجمعين، وخصّه باسمٍ حُرّم على غيره بأن يُسمّى به، وهو «أمير المؤمنين»، صلوات الله عليه وعلى أولاده المعصومين، من يومنا هذا إلى يوم الدين، واللّعنُ الدائم المتواصل على أعدائهم أجمعين.

وبعد: الإيمان وَمْض، إذا أشرق في قلب العبد شخصت أمامه الحقائق، فنهضت جوارحه تتبنّاها اعتقاداً راسخاً وسعياً دَؤوباً وصوتاً يهتف في ضمائر الناس بياناً نيّراً ودعوةً غيورة إلى إحقاق الحقّ وإبطال الباطل.

ولكنْ.. متى يتوهّج ذلك الومض؟ إنّ الله تبارك وتعالى يقول:

﴿قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾[١].

ويقول جَلّ وعلا: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا ٱلطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ * ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَاهُمُ ٱللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُوا ٱلْأَلْبَابِ﴾[٢].

ويقول عزّ من قائل: ﴿تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾[٣].

والإنابة ـ إخوتَنا المؤمنين الأكارم ـ هي الرجوعُ إلى الله تبارك وتعالى بالتوبة وإخلاص العمل، والقصدُ إليه بالتوكّل والتوسّل وطلب الهداية.

وقد أناب قومٌ إلى ربّهم سبحانه وتعالى، فلمّا اطّلع الله جلّ جلاله على قلوبهم ووجد فيها الإخلاص وطلبَ الحقِ والبحثَ عن الحقيقة بصدق.. كتب لها التوفيق، وسكبَ فيها أنوار الإيمان حتّى أُشربتِ التقوى وشَعّت بالبصيرة. وكان من ذلك القوم سَيْر على طريق الهداية، ثمّ كان منهم أن أحقّوا الحقّ وأبطلوا الباطل ـ بإذن الله وتسديده ـ وتحمّلوا في ذلك مشقّةً وعناءً وآلاماً، وشهادةً حُكميّة وشّحوا بها حياتهم خاتِمةً مباركة.

﴿خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَافِسُونَ﴾[٤].

---

(١) سورة الرعد: ٢٧.

(٢) سورة الزمر: ١٧، ١٨.

(٣) سورة ق: ٨.

(٤) سورة المطفّفين: ٢٦.

وإنّه لمن دواعي الإجلال والإكبار أن ينتزع العبدُ نفسه من وسطٍ غارق في الكفر والإثم والفساد، فيكونَ عبداً صالحاً، مُصلِحاً لنفسه ولِمَن حوله، مجابهاً للظلم، مواجهاً للانحراف، قائلاً كلمةَ الحقّ في وجوه الطغاة، مُنْجياً نفسه من مُضِلّات الفتن ومزالق شياطين الجنّ والإنس.

وقد احتجّ علينا التاريخ - أيّها الإخوةُ الأفاضل - بعبادٍ مؤمنين صالحين، عاشوا لله موحّدين، وإليه مُنيبين، مضوا على بصيرةٍ من أمرهم، حتّى انقلبوا إلى ربّهم مهتدين، وآبُوا إليه مظلومين، مستشهَدين.

وكان منهم: مؤمن آل فرعون وزوجته الشهيدان، وآسية بنت مُزاحم الشهيدة (امرأة فرعون)، وفتية الكهف، وسلمان المحمّديّ، والسيّد الحِمْيري،.. وغيرهم.

وكان هناك مَن اعترض على الظلم وغصب الخلافة الإلهيّة مِن أهلها، وهو في وَسطٍ شَرِس مستبدّ، فصدع بكلمةٍ مدوّية فضح بها الطواغيت المفسدين، وتحمّل بعدها غدرَ الغادرين.

وذلك هو - إخوتنا الأفاضل -:

مَن هو معاوية الثاني؟

مِن بين المتميّزين الذين انتشلوا أنفسهم مِن أوساط الكفر والشرك والضلال، وأجواء الفساد والإفساد، وخطوط التضليل والانحراف.. معاوية بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، المعروف بـ(معاوية الأصغر) أو (معاوية الثاني).

وقد أحببنا أن تكون لنا وقفة خاصّة على هذه الشخصيّة، نمرّ عليها عبر انحدارها العائليّ وسلالتها الأُسريّة، فنتعرّف على بني أُميّة.. مَن هو جدّهم؟ ومَن هم كبار عشيرتهم؟ لنعرف كيف كان معاوية بن يزيد وكيف أصبح وكيف أمسى؟! وكيف غُمر في تاريخ المسلمين؟ ذلك لأنّ أغلب صفحاته قد كتَبَتْها أقلام البلاط، ونقلها ـ بتحريف وتشويه وتزوير ـ وعّاظُ السلاطين. أمّا أقلام الأحرار والغيارى فقد كُسرت، وأمّا أيديهم فقد قيّدت بالأغلال، وأمّا ألسنتهم فقد أُطبق عليها، وأمّا أصواتهم فقد خُنقت. ومَن نجا فقد عاش في الأرض غريباً مشرّداً خائفاً يترقّب، وكم أُخمدت أنفاس بسيفٍ غادر، أو سُمٍّ قاتل، أو يدٍ كافرة امتدّت في غياهب السجون وظُلَم المطامير وأعماق الزنزانات الأمويّة والعبّاسيّة بسموم غريبة!

لذا.. لم يحفظ لنا التاريخ عن حياة الأبرار إلّا النزرَ اليسير، ولم يدوّن إلّا أسطراً تناثرت ـ في غفلةٍ من أُمراء الجور والضلال ـ في كتبٍ تبعثرت، أتى على بعضها الإحراق، وعلى بعضها الإغراق.

ومع ذلك كلّه.. بقيَ ما هو حُجّة علينا، أنّ الإنسان يستطيع أن يعيش حُرَّ العقيدة، إذا تجرّد مِن نوازعه العنصريّة وتعصّباته القوميّة أو الأُسريّة، وكان باحثاً عن الحقائق أينما كانت وعند مَن كانت.. لا يَفتُر في سعي، ولا يخشى في الله لومةَ لائم، ولا يكون منه وَهْن أمام الأهواء أو التهديدات.. ثمّ لا يبالي بعد ذلك أن يؤول أمرُه إلى أن يُظلَم حتّى لو قُتل، فتلك الشهادة وهي الشرف الأسمى خاتمةً لحياة العبد. قال رسول الله ﷺ: «أشرف الموت قتلُ الشهادة»[1]، وقال ﷺ أيضاً: «فوقَ كلِّ بِرٍّ برٌّ حتّى يُقتلَ الرجلُ في سبيل الله عزّ وجلّ، فإذا قُتل في سبيل الله فليس فوقه برّ»[2].

وكان ممّن رفض الباطلَ رجال، وكان منهم معاوية الثاني وهو من بني أُميّة وليس منهم، وهذه شواهد الحقيقة ودلائلها:

---

(١) بحار الأنوار، للشيخ المجلسيّ ١٠٠: ٨/ح٤ ـ عن أمالي الصدوق ٣٩٥/ح١ ـ المجلس ٧٤.

(٢) الخصال، للشيخ الصدوق: ٩ /ح٣١ ـ باب الواحد.

من هو أُميّة؟

إنّ أُميّة كان غلاماً روميّاً لـ(عبد شمس)، فلمّا ألفاه كيّساً فطِناً أعتقه وتبنّاه، فقيل: «أُميّة بن عبد شمس»[١].

إذن.. فبنو أُميّة ليسوا من قريش، وإنّما أُلحِقوا وأُلصِقوا بهم، وكان ذلك مِن دأب العرب في الجاهليّة. ويصدّق ذلك قولُ أمير المؤمنين عليه السلام في كتابه إلى معاوية:

«وأمّا قولك: (إنّا بنو عبد مَناف، ليس لبعضنا على بعض فضل)، فكذلك نحنُ، ولكنْ ليس أُميّة كهاشم، ولا حربٌ كعبدِ المطّلب، ولا أبو سفيان كأبي طالب، ولا المهاجر كالطَّليق، ولا الصريح كاللَّصيق، ولا المُحقّ كالمُبطل، ولا المؤمن كالمُدغِل. ولَبئس الخَلَفُ خَلَفاً، يَتْبع سَلَفاً هَوى في نار جهنّم! وفي أيدينا بعدُ فضلُ النبوّة التي أذْلَلْنا بها العزيز، ونَعَشْنا بها الذليل. ولمّا أدخل اللهُ العربَ في دينه أفواجاً، وأسلمتْ له هذه الأُمّةُ طوعاً وكَرْهاً.. كنتم ممّن دخل في الدِّين: إمّا رغبةً، وإمّا رهبةً، على حين فاز أهل السَّبق بسَبقِهم، وذهب المهاجرون الأوّلون بفضلهم..»[٢].

---

(١) الكامل البهائيّ، ١: ٢٦٩ ـ عنه: سفينة البحار، للشيخ عبّاس القمّيّ ـ باب أما ١: ١٢٠ ـ طبعة: مجمع البحوث الإسلاميّة في مدينة مشهد المقدّسة. ويراجع حقيقة أُميّة في: المناقب والمثالب، للقاضي النعمان المغربيّ ص٥٧ ـ ٦١.

(٢) شرح نهج البلاغة، لابن ميثم البحرانيّ ٤: ٣٨٩.

بنو أُميّة في صدر الإسلام

* عن ابن عبّاس قال: قال رسول الله ﷺ: «بعثني الله نبيّاً فأتيت بني أُميّة فقلت: يا بني أُميّة! إنّي رسول الله إليكم، قالوا: كذبت، ما أنت برسول. ثمّ أتيت بني هاشم فقلت: إنّي رسول الله إليكم، فآمنَ بي عليٌّ بن أبي‌طالب سِرّاً وجهراً، وحماني أبو طالب جهراً وآمن بي سرّاً. ثمّ بعث الله جبرئيلَ بلوائه فركزه في بني هاشم، وبعث إبليسَ بلوائه فركزه في بني أُميّة.. فلا يزالون أعداءَنا، وشيعتُهم أعداء شيعتنا إلى يوم القيامة»[١].

ونزل كتاب الله تعالى، وغدت آياته تَترى.. فماذا قالت في بني أُميّة؟

* أخرج المحدّث الشهيرالمتّقي الهنديّ ـ وهو من علماء السُّنّة ـ في كتابه الكبير (كنز العمّال) عن عمر بن الخطّاب في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ ٱللَّهِ كُفْراً..﴾[٢] قال: هما الأفجران من قريش: بنو المُغيرة، وبنو أُميّة. قال: أخرجه ابن جرير، وابن المنذر، وابن مردَوَيه[٣].

---

(١) كنز جامع الفوائد، أو تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة، للسيّد شرف الدين عليّ الحسينيّ الأسترآباديّ ٧٧٩ ـ في ظلّ سورة الشمس.

(٢) سورة إبراهيم: ٢٨.

(٣) كنز العمّال ٢: ٤٤٤/ خ٤٤٥٢ و٤٤٥٣.

* وفي تفسير (الكشّاف) روى الزمخشريّ في ظلّ الآية نفسها عن عمر بن الخطّاب أيضاً قولَه: هم الأفجرانِ مِن قريش: بنو المُغيرة وبنو أُميّة.. فأمّا بنو المغيرة فكُفيتُموهم يوم بدر، وأمّا بنو أُميّة فتمتّعوا حتّى حين.

* وذكره السيوطيّ أيضاً في (الدرّ المنثور) وقال: أخرجه البخاريّ في تاريخه، وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه عن عمر ابن الخطّاب.

* لكنّه عاد يدافع عنهم لمّا وجد نفسَه مستعيناً بهم، فيومَ قال له الإمام عليّ عليه السلام: «أفَلا أُخبرك بآيةٍ نزلت في بني أُميّة؟! ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾[1]»، أجابه عمر بأدبه هذا!: كَذِبت، بنو أُميّة أَوصلُ للرَّحِم منك...[2]

* وأخرج الطبريّ في تفسير (جامع البيان)[3] عن القاسم بن الفضل، عن عيسى بن مازن، عن الحسن بن عليّ أنّه قال: «إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أُري في المنام بني أُميّة يَعلُون مِنبرَه، خليفةً خليفة، فشقّ عليه ذلك، فأنزل الله: ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾[4] يعني

(١) سورة محمّد صلى الله عليه وآله: ٢٢.
(٢) الكافي (الروضة) ٨: ١٠٣/ح٧٦.
(٣) وكذلك في: سنن الترمذيّ ج٢، والمستدرك على الصحيحين للحاكم النَّيسابوريّ الشافعيّ ٣: ١٧٠، والتفسير الكبير للفخر الرازيّ في ظلّ سورة القدر وسورة الكوثر، والدرّ المنثور في ظلّ سورة القدر.
(٤) سورة القدر: ٣.

مُلْك بني أُميّة. قال القاسم: فحسَبنا مُلْك بـني أُمـيّة فـإذا هـو ألف شهر»[1].

* وفي ردّه على (عتبة بن أبي سفيان) قال له الإمام الحسن بن عليّ عليه السلام: «.. فأنت ذرّيّةُ آبائك الذين ذكرهم الله في القرآن فـقال: **﴿عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ * تَصْلىٰ نَاراً حَامِيَةً * تُسْقىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ * لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ * لَا يُسْمِنُ وَلاَ يُغْنِي مِن جُوعٍ﴾**»[2].

بنو أُميّة في حديث المصطفى صلى الله عليه وآله

* أخرج علّامة الشافعيّة ابن حجر الهيثميّ عن عمرو بن الحَمِق الخُزاعيّ أنّه قال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال لي ذات يوم: «يا عمرو، هل لك أن أُريَك آية النار تأكل الطعام وتشرب الشرابَ وتـمشي فـي الأسواق؟» قلت: بلى بأبي أنت وأُمّي. قال: «هذا وقومُه آية النار» ـ وأشار إلى معاوية[3].

* وعن ابن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنّ لكلّ دِينٍ آفة، وآفة هذا الدّين بنو أُميّة»[4].

---

(١) جامع البيان في تفسير القرآن ٣٠: ١٦٧.

(٢) سفينة البحار ـ باب عتب ٣: ٣٩٤ ـ عن الاحتجاج ١: ٢٧٧، وعنه: بحار الأنوار ٤٤: ٨٢/ح١، والآيات في سورة الغاشية: ٣ ـ ٧.

(٣) مجمع الزوائد، للهيثميّ ٩: ٤٠٥.

(٤) كنز العمّال ١٤: ٨٧/ خ٣٨٠١٣.

* وقال ﷺ: «لا تقوم الساعة حتّى يخرج ثلاثون كذّاباً... (إلى أن قال:) وشرُّ قبائل العرب: بنو أُميّة، وبنو حنيفة، والثقيف»[١].

* وروى الحاكم النيسابوريّ بسنده عن أبي سعيد الخدريّ، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ أهل بيتي سيَلْقَون من بعدي من أُمّتي قتلاً وتشريداً، وإنّ أشدّ قومنا لنا بُغضاً: بنو أُميّة وبنو المُغيرة وبنو مخزوم»[٢].

* وروى الزُّهريّ ـ وهو من رواة العامّة ـ عن النبيّ ﷺ أنّه قال: «شرُّ قبائل العرب: بنو أُميّة، وبنو حنيفة، والثَّقيف»[٣].

* وعن عمران بن حُصَين أنّه قال: تُوفّي رسول الله ﷺ وهو يبغض ثلاث قبائل: بني حنيفة، وبني مخزوم، وبني أُميّة[٤].

* وعن أبي برزة الأسلميّ قال: كان أبغضَ الأحياء إلىٰ

---

(١) كنز العمّال ١٤: ١٩٩/ خ ٣٨٣٧٤، وأخرجه ابن أبي شيبة وابن عديّ عن الزُّهريّ، وذكره الذهبيُّ أيضاً في ميزان الاعتدال ٢: ١٨١، وصحّحه ورواه عن ابن الزبير.

(٢) المستدرك على الصحيحين، للحاكم ٤: ٤٨٧، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، وذكره المتقي الهنديّ في كنز العمّال ١١: ١٦٩/ خ ٣١٠٧٤ وقال: أخرجه نعيم بن حمّاد في (الفتن). وجاء قريباً منه في (الملاحم والفتن) لابن طاووس ٣٠ ـ الباب ٢٦. يُنظر: الغدير ٨: ٢٥٠ عن عدّة مصادر.

(٣) كنز العمّال ١٤: ١٩٩/ خ ٣٨٣٧٤. وقريب منه: تعطير الجَنان واللسان لابن حجر المكّيّ ١٤٣.

(٤) حلية الأولياء ٦: ٢٩٣، المعجم الكبير ١٨: ١٦٩/ ح ٣٧٩، الجامع الصحيح للترمذيّ ٤: ٣٧٩.. وغيرها.

رسول الله ﷺ: بنو أُميّة، وبنو حنيفة، وثقيف[١].

* وعن الحسن البصريّ أنّ رسول‌الله ﷺ لَعَن ثلاثَ بيوت: بيتَينِ من مكّة، وهما: بنو أُميّة، وبنو المغيرة، وبيتاً من الطائف، وهم ثقيف[٢].

* وعن حِمران بن جابر الحنفيّ، قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «ويلٌ لبني أُميّة!» ـ ثلاث مرّات[٣].

* وعن أبي ذرّ الغِفاريّ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا بلغت بنو أُميّة أربعين اتّخذُوا عبادَ الله خِولاً، ومالَ الله نِحلاً، وعبادَ الله دغلاً»[٤].

* قال المسعوديّ: كان جميع مُلك بني أُميّة إلى أن بُويع أبو العبّاس السفّاح ألفَ شهر كاملة، لا تَزيد ولا تَنقص؛ لأنّهم ملكوا تسعين سنةً وأحدَ عشر شهراً وثلاثة عشر يوماً[٥]. وكان انقضاء مُلك بني أُميّة سنة اثنتين وثلاثين ومائة.

---

(١) المستدرك على الصحيحين ٤: ٤٨٠ ـ ٤٨١، كتاب الفتن.

(٢) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ٨: ٣٠٢.

(٣) كنز العمّال ١١: ١٦٥/ ٣١٠٥٩، قال المتّقي الهنديّ: أخرجه أبو مَندة وأبو نُعَيم.

(٤) المستدرك على الصحيحين ٤: ٤٧٩، وذكره المتّقي الهنديّ أيضاً في (كنز العمّال ١١: ١٦٥/ خ٣١٠٥٨)، وفيه: ومالَ الله دخلاً، وقال: أخرجه ابن عساكر.

(٥) مروج الذهب ٣: ٢٣٤ ـ ط دار الأندلس.

ولعلّ ألف شهر حُسِبت مِن جهةٍ أُخرىٰ، وقد يُراد بها العدد الأمثل وإن تعدّاه المعدود.

الشجرة الملعونة في القرآن

قال تعالى في محكم تنزيله الكريم: ﴿.. **وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّؤْيَا ٱلَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِي ٱلْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَاناً كَبِيراً**﴾[١].

فماذا ورد في سبب نزول هذه الآية الكريمة، وفي تأويلها وتفسيرها؟

* قال الفخر الرازيّ: وفي هذه الرؤيا أقوال... (إلى أن قال:) والقول الثالث: قال سعيد بن المسيِّب: رأى رسول الله ﷺ بني أُميّة يَنْزُون على مِنبرِه نَزْوَ القرد.. فساءَه ذلك. قال: وهذا قول ابن عبّاس في رواية عطا[٢].

* وفي ذيل الآية نفسها قال السيوطيّ: أخرج ابنُ أبي حاتِم عن يَعلى ابن مرّة قال: قال رسول الله ﷺ: «أُريتُ بني أُميّة على منابر الأرض، وسيملكونكم فتجدونهم أربابَ سوء». واهتمّ رسول الله ﷺ لذلك، فأنزل الله: ﴿**وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّؤْيَا ٱلَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ...**﴾. وأخرج ابن مَردَويه عن الحسين بن عليّ عليه السلام أنّ رسول الله ﷺ أصبح وهو مهموم، فقيل: ما لك يا رسول الله؟! فقال: «إنّي أُرِيتُ في المنام كأنّ بني أُميّة يتعاورون مِنبري هذا».

---

(١) سورة الإسراء: ٦٠.

(٢) التفسير الكبير ـ في ظلّ الآية ٦٠ من سورة الإسراء.

فقيل: يا رسول الله، لاتهتمّ؛ فإنّها دنيا تنالهم. فأنزل الله **﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الّتي أرَيْنَاكَ إلّا فِتنةً لِلنّاس..﴾**. وأخرج البيهقيّ في (الدلائل)، وابن عساكر عن سعيد بن المسيّب، قال: رأى رسول الله ﷺ بني أُميّة على المنابر فساءه ذلك، فأوحى الله إليه: إنّما هي دنيا أُعطوها. فقرّت عينُه، وهي قوله: **﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّؤْيَا ٱلَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ...﴾** ـ يعني بلاءً للناس[١].

* وأخرج ابن أبي الحديد المعتزليّ عن المدائنيّ.. أنّ رسول الله ﷺ رُفع له مُلْك بني أُميّة فنظر إليهم يَعلُون منبره واحد واحد، فشقّ ذلك عليه، فأنزل الله تعالى في ذلك قرآناً، قال له: **﴿.. وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّؤْيَا ٱلَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِي ٱلْقُرْآنِ...﴾**[٢].

ألا يكفي هذا إيضاحاً لتأويل الشجرة الملعونة في القرآن؟! أم في المزيد تبيان مستفيض ودليل قاطع؟!

* قال ابن كثير: المراد بالشجرة الملعونة بنو أُميّة[٣].

* وقال الفخر الرازيّ: قال ابن عبّاس: الشجرة «الملعونة» بنو أُميّة[٤].

---

(١) تفسير الدرّ المنثور ـ في ظلّ الآية المتقدّمة. وكنز العمّال ١٤: ٨٧/ خ ٣٨٠١٤.

(٢) شرح نهج البلاغة ١٦: ١٦.

(٣) تفسير ابن كثير ٣: ٤٩.

(٤) التفسير الكبير ـ عند تفسير الآية الكريمة.

* وجاء في هذا المعنى قول النيسابوريّ في تفسيره المسمّى بـ(غرائب القرآن ورغائب الفرقان)[١].

ولكن.. لماذا نزلت اللّعنة على تلك الشجرة؟ ألِأنّها خبيثة أم لأنّها ظالمة؟ يُجيبُنا على ذلك المفسّر الشافعيّ السيّد شهاب الدين الآلوسيّ في موضعين:

الأوّل: في ظلّ قوله تعالى: ﴿**وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ**﴾[٢].. حيث قال: تفسير هذه الآية ببني أُميّة.. (ثمّ قال:) وأحوال بني أُميّة التي يستحقّون بها ما يستحقّون غيرُ خفيّةٍ عند الموافق والمخالف[٣].

والثاني: في ظلّ آية (الشجرة الملعونة).. إذْ قال: ﴿**وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ**﴾ في عبارة بعض المفسّرين هي بنو أُميّة.. (إلى أن قال:) وفيه من المبالغة في ذمّهم ما فيه. وجعلُ ضمير ﴿**وَنُخَوِّفُهُم**﴾ على هذا، لما كان أوّلاً، أو للشجرة باعتبار أنّ المراد بها بنو أُميّة. ولعنُهم، لِما صدر منهم من استباحة الدماء المعصومة، والفروج المحْصَنة، وأخذ الأموال من غير حِلِّها، ومنع الحقوق عن أهلها، وتبديل الأحكام، والحكم بغير ما أنزل الله تعالى على نبيّه ﷺ (إلى غير

---

(١) هامش تفسير الطبريّ ١٥: ٥٥.

(٢) سورة إبراهيم: ٢٦.

(٣) تفسير روح المعاني ١٣: ١٩٣.

ذلك) من القبائح العظام، والمخازي الجسام، التي لا تكاد تُنسى ما دامتِ اللّيالي والأيّام. وجاء لعنُهم في القرآن على الخصوص وعلى العموم[١].

أجل.. فقد سُرقت الخلافة الإسلاميّة، وشقّ بنو أُميّة عصا المسلمين فاستقلّوا ببلاد الشام متمرّدين على الولاية الشرعيّة لأمير المؤمنين عليّ عليه السلام[٢]، وكان قد مهّد لهم ذلك عمر بن الخطّاب وعثمان بن عفّان إذ ثبّتاهم على إمرة الشام، فإذا ملكوا حكموا بغير ما أنزل الله تعالى، وخلاف ما شرّع على لسان نبيّه الأكرم صلى الله عليه وآله وسنّته الشريفة[٣]. فشاعت المفاسد العقائديّة، والانحرافات الاجتماعيّة، وطغى الظلم والقتل والإرهاب، وطال الحبسُ والتشريد كلَّ مَن خالف بني أُميّة أو عارضهم. وقصّة سبّ الإمام عليّ عليه السلام على سبعين ألف منبر[٤]، شاهدٌ واضح على ذلك، كما أنّ قصّة نفي أبي ذرّ وقتل مالك الأشتر ومحمّد بن أبي بكر وسعيد بن جبير وحُجْر بن عَدِيّ

---

(١) تفسير روح المعاني ١٥: ١٠٠. ويُراجَع في هذا الباب: بحار الأنوار ٣١: ٥٠٧ـ ٥٦٦، الباب ٣١ ـ ما ورد في لعن بني أُميّة وبني العبّاس وكفرِهم.

(٢) يحسن هنا ـ أيّها القارئ الكريم ـ أن يُراجَع كتاب: الغدير للأمينيّ ج٨: ص٢٨٨ ـ ٢٩٢.

(٣) بحارالأنوار ٣٠: ٢٨٧/ ح١٥١، والمنتظم لابن الجوزي ٤: ٧، ومعاني الأخبار للشيخ الصدوق ٣٤٦ـ٣٤٧/ح١، والاحتجاج للطبرسيّ أحمد بن عليّ ١: ٢٧٥.

(٤) كما يذكر ابن عبد ربّه في (العقد الفريد ٢: ٢٦٠).

والمئات بل الآلاف من الصحابة والتابعين .. شواهد صارخة أخرىٰ.

وكان من أمجاد الدولة الأمويّة قتل ثلاثين ألف مسلم بريء على يد (بِسْر بن أرطاة) أحد قُوّاد معاوية[1]، وقتل ثمانية آلاف مسلم من أهل البصرة على يد (سَمُرة بن جُنْدب)![2] وأين الهاربون من الوقائع المفجعة: واقعة صفّين، وواقعة عاشوراء ـ كربلاء، وواقعة الحَرّة التي يندى منها جبين التاريخ؟! ثمّ أين هم عن هدم الكعبة المعظّمة وتمزيق كتاب الله تعالى بالسهام؟! ولقد قالها ابن عبّاس صريحةً واضحةً صاعقة: إنّ بني أُميّة وَطِئُوا علىٰ صِماخ الدِّين، وذبحوا كتابَ الله بِشَفرة!![3]

لقد كان ذلك استمراراً طبيعيّاً لعداء بني أُميّة لبني هاشم، وحقد بني أُميّة على الإسلام ورسوله، وانتقام بني أُميّة عمّا أودى بهم في معركة (بدر) و(الأحزاب) وفتح مكّة[4].

أمّا الشواهد البيّنة على ذلك فتأتينا جليّةً إذا تعرّفنا على سيرة ثلاث شخصيّات أمويّة فقط .. مِن خلال وثائق المسلمين.

---

(١) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ١:٦.

(٢) تاريخ الطبريّ ٦: ٣٢.

(٣) الاختصاص: ١٢٨.

(٤) لا بأس بمراجعة: النزاع والتخاصم فيما بين بني أُميّة وبني هاشم، للمقريزيّ، وملحقه: رسالة الجاحظ في بني أُميّة: ١٢١ ـ ١٣٢.

أبو سفيان

شخصيّة بارزة في العائلة الأمويّة، لها تاريخها المعروف قبل الإسلام، ثمّ بعد الإسلام كان لها سيف مسلول على هذا الدِّين وعلى نبيّه وصحابته قرابة عشر سنوات.

فَلْنقرأْ صفحاته، لنفسّر القديم والجديد في حياة بني أُميّة!

في الجاهليّة: عُرف أبو سفيان قبل الإسلام بمراودة البغايا والتردّد على دور البغاء. حتّى أخرج سبط ابن الجوزيّ الحنبليّ عن كتاب (مثالب العرب) لأبي المنذر هشام الكلبيّ أنّه قال: وكان الزناة الذين اشتهروا بمكّة جماعة، منهم: أبو سفيان، وعتبة بن أبي سفيان أخو معاوية[1].

وقد نقلت كتب التاريخ عيّناتٍ شاهدة على ذلك.. فقد اشتهرت علاقاته مع المحصنات، ومنهنّ: أُمّ زياد بن أبيه، فقد وُلد زياد على فراش عُبيد مولى ثقيف، فقال أبو سفيان يوماً: واللهِ إنّي لأعرف الذي وضعه في رحم أُمّه! فقال له عليّ بن أبي طالب عليه السلام: ومن هو يا أبا سفيان؟ قال: أنا. قال: مهلاً يا أبا سفيان. فأنشد أبياتاً داليّة[2].

ومع أُمّ عمرو بن العاص كانت له معاشرة، حتّى أنّ عَمْراً اختصم

(١) تذكرة خواصّ الأُمّة، لسبط ابن الجوزيّ: ١١٧.

(٢) الاستيعاب، لابن عبد البرّ ١: ١٩٥. وتاريخ دمشق، لابن عساكر ٥: ٤١٠.

فيه يوم ولادته رجلان: أبو سفيان والعاص بن وائل، فقيل: لتحكمْ أُمُّه، فقالت: إنّه من العاص، فقال أبو سفيان: أما إنّي لا أشكّ أنّني وضعتُه في رحم أُمّه. فأبت إلّا العاص، فقيل لها: أبو سفيان أشرف نسباً، فقالت: إنّ العاص بن وائل كثير النفقة علَيّ، وأبو سفيان شحيح! وفي ذلك يقول حسّان بن ثابت يخاطب عمرو بن العاص حينما هجا رسولَ الله ﷺ:

أبوك أبو سفيان لا شكَّ قد بدَتْ
لنا فيك منه بيّناتُ الدلائلِ
ففاخِرْ به إمّا فخرتَ ولا تكنْ
تفاخرُ بالعاصِ الهجينِ ابنِ وائلِ[1]

والزنا في الأُسرة الأمويّة أمرٌ عريق رافق الكفر والشرك والفسق، حتّى عُرفت فيه نساء كثيرات كُنّ من ذوات الأعلام والرايات، ومنهنّ جَدّة أبي سفيان ـ أُمّ أُمّه ـ (حمامة). ومَن هي حمامةُ يا تُرى؟!

يعرّفها الثقفيّ في خبر طريف يقول فيه:

إنّ عقيل بن أبي طالب ورد على معاوية بن أبي سفيان، فقال له معاوية: يا أبا يزيد، ما تقول فيّ؟ قال عقيل: دعْ عنك. قال: لتقولنّ، قال: أتعرف حمامة؟ قال معاوية: ومَن حمامة؟! قال: أخبرتُك!

ومضى عقيل وخرج، فأرسل معاوية إلى بعض النسّابة فقال:

---

(١) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ٢: ١٠١.

أخبرْني عن حمامة؟ قال: أعطني الأمان على نفسي وأهلي. فأعطاه الأمان، قال: حمامة جَدّتُك، وكانت بغيّةً في الجاهليّة لها رايةٌ تُؤتى!!..

قال أبو بكر بن الزبين: هي أُمُّ أُمِّ أبي سفيان(١).

وأمّا (أُمّ جميل) فهي أُخت أبي سفيان، وقد كان لها قدم السَّبق في محاربة الرسول والرسالة، ولقيت في ذلك عناءً من جمعها الأشواك وإلقائها في طريق النبيّ ﷺ كيما تجرح قدميهِ الكريمتين. حتّى نزلت فيها وفي زوجها سورةٌ كاملة تختم عليهما بالعذاب المقيم:

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ * تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ * مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ * سَيَصْلَىٰ نَاراً ذَاتَ لَهَبٍ * وَٱمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ * فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِن مَسَدٍ﴾(٢).

قال السيّد الطباطبائيّ: التَّبّ والتباب هو الخسران والهلاك ـ على ما ذكره الجوهريّ ـ، ودوام الخسران ـ على ما ذكره الراغب ـ، وقيل: الخيبة... وأبو لهب هو عبد العزّى بن عبد المطّلب، عمّ النبيّ ﷺ.. كان شديد المعاداة للنبيّ ﷺ مصرّاً على تكذيبه، مبالغاً في إيذائه بما يستطيعه من قول وفعل...

---

(١) الغارات، لأبي إسحاق إبراهيم بن محمّد الثقفيّ ١: ٦٥.

(٢) سورة المسد.

﴿سَيَصْلىٰ نَاراً ذَاتَ لَهَبٍ﴾: أي سيدخل ناراً، وهي نار جهنّم الخالدة، وفي تنكير لهبٍ تفخيمٌ له وتهويل. ﴿وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾: عطف على ضمير الفاعل المستكنّ في ﴿سَيَصْلىٰ﴾، والتقدير: وستصلى امرأتُه.. و﴿حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ بالنصب، وصفٌ مقطوع عن الوصفيّة للذمّ، أي أذمُّ حمّالةَ الحطب، وقيل: حال من ﴿امْرَأَتُهُ﴾. ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ﴾.. والظاهر أنّ المراد أنّها ستتمثّل في النار التي تصلاها يوم القيامة في هيئتها التي كانت تتلبّس بها في الدنيا، وهي أنّها كانت تحمل أغصان الشوك وغيرها وتطرحها باللّيل في طريق رسول الله ﷺ تُؤذيه بذلك، فتُعذَّب بالنار وهي تحمل الحطب، وفي جِيدها حبلٌ من مسد...

وفي (تفسير القمّيّ ٢: ٤٨٨): في قوله تعالى: ﴿وَٱمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ﴾ قال: كانت أُمَّ جميل بنت صخر، وكانت تنمّ علىٰ رسول الله ﷺ وتنقل أحاديثه إلى الكفّار.

وفي (قرب الإسناد ٣٢٩ ـ ٣٣٠/ ح١٢٢٨) للحميريّ، بإسناده إلى الإمام موسى بن جعفر عليه السلام: .. ومن ذلك أنّ أُمّ جميل امرأة أبي لهب أتته حين نزلت سورة (تبّت)، ومع النبيّ ﷺ أبو بكر بن أبي قحافة، فقال: يا رسولَ الله، هذه أُمّ جميل مُحفَظة ـ أي مُغضَبة ـ تريدك، ومعها حَجَر تريد أن ترميَك به! فقال ﷺ: إنّها لا تراني. فقالت لأبي بكر: أين صاحبُك؟.. جئتُه، ولو أراه لرميتُه، فإنّه هجاني، واللّاتِ

والعزّى إنّي لشاعرة. فقال أبو بكر: يا رسول الله، لم تَرَك ؟! قال ﷺ: لا، ضرب اللهُ بيني وبينها حجاباً[١].

وأمّا زوجة أبي سفيان فهي (هند)، وهي أشهر مِن أنْ تُـعرَّف؛ لأنّها كانت بالفضائح تُعرَف.. فهي في الجاهليّة من ذوات الأعلام، تستقبل كلّ وارد على أيّ حال[٢].

وحينما وُلد لها معاوية تنازع عليه أربعة رجال؛ لأنّهم كانوا واقعوها في طُهر واحد!

وبعد أن جنّدت (هند بنت عتبة) ـ وهي من الشجرة الملعونة في القرآن ـ كلَّ جهودها، وعبّأت أُسرتها وقومها ليلَ نهار ضدّ رسول الله ﷺ وحاربت الإسلام بجيوش قريش والأحزاب عشرين عاماً (ثلاثة عشر عاماً قبل الهجرة بمكّة، وسبعة أعوام بعد الهجرة إلى فتح مكّة)، وبعد أن حرّضت المشركين واليهود لشنّ الحروب ضدّ المسلمين، وبعد أن أغرت (وحشيّاً) بنفسها ومالِها لقتل حمزة سيّد الشهداء في زمانه، ثمّ جاءت فمثّلت بجسده الزاكي، فشقّت بطنه ولاكت كبِدَه وشربت دمه وقطّعت أصابع يديه، وبعد أن فُتِحتْ مكّة وخابت قريش.. أتت هند تبايع النبيَّ الأكرم ﷺ على شروط آيةٍ من سورة (المُمتَحَنة)[٣].. وهذه رواية البيعة:

---

(١) الميزان ٢٠: ٣٨٤ ـ ٣٨٧.

(٢) ناسخ التواريخ، للميرزا محمّد تقي لسان المُلْك سپهر ـ تاريخ معاوية: ٣٢٩.

(٣) الآية ١٢.

* إنّ النبيّ ﷺ بايعهنّ ،وكان على الصفا وكان عمر أسفلَ منه، وهند بنت عتبة متنكّرة مع النساء؛ خوفاً مِن أن يعرفها رسول الله ﷺ فقال: أُبايعكنّ على أن لا تُشرِكْنَ بالله شيئاً، فقالت هند: إنّك لَتأخذ علينا أمراً ما رأيناك أخذتَه على الرجال! وذلك أنّه بايع الرجال يومئذٍ على الإسلام والجهاد فقط، فقال النبيّ ﷺ: ولا تسرقْن، فقالت هند: إنّ أبا سفيان رجل مُمسك ـ أي بخيل ـ وإنّي أصبتُ من ماله هِنات ـ أي سرقت منه شيئاً ـ.. فلا أدري أيحلّ لي أم لا؟ فقال أبو سفيان: ما أصبتِ من مالي فيما مضى فهو لكِ حلال. فضحك رسول الله ﷺ وعرفها، فقال: وإنّكِ لهندُ بنت عتبة؟ قالت: نعم، فاعفُ عمّا سلف يا نبيّ الله، عفا اللهُ عنك. فقال: ولا تَزْنين، فقالت هند: أوَ تزني الحرّة؟! فتبسّم عمرُ بن الخطّاب؛ لِما كان جرى بينه وبينها في الجاهليّة![1]

وهند هذه.. هي بنتٌ لعتبة بن ربيعة، وبنتُ أخٍ لشيبة بن ربيعة، وأختٌ للوليد بن عتبة.. وهؤلاء الثلاثة سمّاهمُ القرآن (مفسدين) و(فُجّار)!

* روى الحافظ الحاكم الحسكانيّ الحنفيّ بأسانيد عديدة، قال

(١) مجمع البيان ـ في ظلّ آية مبايعة النساء من سورة الممتحنة: ١٢، وتذكرة خواصّ الأُمّة: ١١٤ ـ ١١٧، وجمهرة رسائل العرب: ٥٥٤، وشرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ٢: ١٠٢، والفخري، لابن الطقطقا: ٧٤، وغير ذلك من المصادر.

في بعضها: عن ابن عبّاس ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ﴾: عليٌّ وحمزة وعبيدةُ بن الحارث، ﴿كَالْمُفْسِدِينَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾: عُتبة وشيبة والوليد، ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ عليٌّ وأصحابه ﴿كَالْفُجَّارِ﴾ عتبة وأصحابه[1].

وفي حديث آخر: عن ابن عبّاس أنّها نزلت في عتبة وشيبة، والوليد بن عتبة[2].

في الإسلام:

ويمكّن الله تعالى رسوله ﷺ مِن طغاة قريش وخونة اليهود وناقضي العهود والمواثيق، وتُفتح مكّة فيُخذل أبو سفيان وجنوده، ولم تنظر العيون إلّا نظراتِ الدهشة والإعجاب؛ لما رأت من هيبة الإسلام وعظمة رسوله وعزّة المؤمنين.

قال العبّاس بن عبد المطّلب ـ وهو يتحدّث حول فتح مكّة ـ: فلمّا أصبح غدوتُ به ـ أي بأبي سفيان ـ على رسول الله ﷺ، فلمّا رآه قال: وَيْحك يا أبا سفيان! ألم يأنِ لك أن تعلم أن لا إله إلّا الله؟ فقال: بأبي أنت وأمّي، ما أوصلَك وأكرمك، وأرحمَك وأحلمك! واللهِ لقد ظننتُ أن لو كان معه إلهٌ لأغنى يوم بدر ويوم أُحد. فقال:

---

(١) شواهد التنزيل ٢: ١١٢ ـ ١١٣، والآية في سورة ص: ٢٨.

(٢) تفسير فرات الكوفيّ: ٣٥٩/ ح٤٨٨.

ويحك يا أبا سفيان! ألم يأنِ لك أن تعلم أنّي رسول الله ؟ فقال: بأبي أنت وأُمّي ، أمّا هذه.. فإنّ في النفس منها شيئاً. قال العبّاس: فقلتُ له: ويحك![١] إشهدْ بشهادة الحقّ قبل أن يُضرَب عنقك. فتشهّد..[٢].

* وفي روايةٍ أُخرى حول فتح مكّة أيضاً: سأل أبو سفيان بديلَ ابن ورقاء: ما هذه النيران؟ قال: هذه خزاعة. قال: خزاعةُ أقلّ وأقلّ من أن تكون هذه نيرانهم، ولكنْ لعلّ هـذه تـميم أو ربـيعة. قـال العبّاس: فعرفتُ صوت أبي سفيان، فقلت: يا أبا حنظلة! قال: لبّيك، فمَن أنت؟ قلت: أنا العبّاس، قال: فما هذه النيرانُ فداك أبي وأُمّي ؟! قلت: هذا رسول الله في عشرة آلاف من المسلمين. قال: فما الحيلة؟ قلت: تركب في عجز هذه البغلة فأستأمنُ لك رسولَ الله.

قال العبّاس: فأردفتُه خلْفي ثمّ جئت به، فكلّما انتهيتُ إلى نارٍ قاموا إليّ، فإذا رأوني قـالوا: هـذا عـمّ رسـول الله، خـلُّوا سـبيله.. فجلسَت عند رأس رسول الله ﷺ فقلت: بأبي أنت وأُمّي، أبوسفيان وقد أجَرْتُه، قال: أدخِلْه. فقام بين يديه فقال: وَيْحك يا أبا سفيان! أما آنَ لك أنْ تشهد أن لا إله إلّا الله، وأنّي رسول الله؟ قال: بأبي أنت وأُمّي، ما أكرمك وأوصلك وأحلمك! أمّا الله لو كان معه إله لَأغنى

---

(١) وفي نسخة أُخرى: ويلك!

(٢) مجمع البيان ١٠: ٥٥٤ ـ ٥٥٧، عنه: بحار الأنوار ٢١: ١٠٤ ـ الباب ٢٦ باب فتح مكّة.

يوم بدر ويوم أُحد، وأمّا أنّك رسول الله.. فوَالله إنّ في نفسي منها لشيئاً! قال العبّاس: يُضرب واللهِ عنُقُك في هذه الساعة أو تشهد أن لا إله إلّا الله، وأنّه رسول الله. قال: فإنّي أشهد أن لا إله إلّا الله، وأنّك لَرسولُ الله. تلجلج بها فوه[١]..[٢].

حتّى إذا أحسّ أبو سفيان بالأمان، عاد يكيد المكائد، لا سيّما بعد أن ولّاه أبو بكر، فأظهر كفرَه ونفاقه مِن جديد، حتّى اشتهر عنه أنّه نادى: يا بني أُميّة! تلاقفوها تلاقفَ الصبيانِ للكُرة، فوَ الذي يحلف به أبو سفيان.. لا جنّةَ ولا نار[٣]!

* وروى ابن أبي الحديد عن أبي بكر الجوهريّ قال: حدّثني مُغيرة بن محمّد المهلّبيّ قال: ذاكرتُ إسماعيل بن إسحاق القاضي بهذا الحديث، وأنّ أبا سفيان قال لعثمان: بأبي أنت! أنفقْ ولا تكن كأبي حجر، وتداولوها يا بني أُميّة تَداولَ الوِلْدان للكُرة، فوَالله ما مِن جنّة ولا نار! وكان الزبير حاضراً، فقال عثمان لأبي سفيان: اعزُب،

---

(١) في مناقب آل أبي طالب ١: ١٧٧ ـ ١٨٠: فتلجلج لسانه وعليٌّ يقصده بسيفه، والنبيّ ﷺ محدق بعليّ. فقال العبّاس: يُضرَب واللهِ عنقُك الساعةَ أو تشهد الشهادتين. فأسلم اضطراراً.

(٢) إعلام الورى بأعلام الهدى، للطبرسيّ: ١: ٢٢٠ ـ ٢٢١، والإرشاد للمفيد: ٦٠ ـ ٦٤.

(٣) ذكر ابن عبد البرّ في الاستيعاب بذيل (الإصابة في تمييز الصحابة) لابن حجر العسقلانيّ ٤: ٨٧ ما يقرب منه.

فقال: يا بُنيّ! هاهنا أحد؟ قال الزبير: نعم، واللهِ لا كَتَمتُها عليك[١].

* وروى المسعوديّ: إنّ عمّار بن ياسر بَلَغه حين بُويع عثمان ودَخَل داره ومعه بنو أُميّة، قال أبو سفيان: أفيكم أحدٌ مِن غيركم؟ - وقد كان عُمي -، قالوا: لا، فقال: يا بَني أُميّةَ تَلَقّفوها تَلقُّف الكرة، فَوَالذي يَحلِف به أبو سفيان، ما زِلتُ أرجوها لكم، ولَتَصيرنّ إلىٰ صبيانكم وراثةً![٢]

أي اهجموا على الزعامة والسلطة والحكم، وهذا ما جابَهَ بهِ الإمامُ الحسن عليه السلام معاويةَ في احتجاج كبير اجتمع فيه رؤوس الضَّلال: عمرو بن عثمان، وعمرو بن العاص، وعُتبة بن أبي‌سفيان، والوليد بن عقبة بن أبي مُعَيط، والمُغيرة بن شعبة.. وقد تواطأوا على أمرٍ واحدٍ يسوقهم عليه معاوية. فتكلّموا ونضحوا كفراً ونفاقاً، وكان الإمام الحسن عليه السلام يجابههم بحُججٍ دامغة، ويذكّرهم مثالبهم في الجاهليّة والإسلام.. وكان من ذلك قوله لمعاوية:

.. ثمّ أَنشدكم بالله، هل تعلمون أنّ أبا سفيان دخل على عثمان حين بُويع في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يابن أخي! هل علينا مِن عين؟[٣] قال: لا، فقال أبو سفيان: تداولُوا الخلافة يا فتيانَ بني أُميّة،

---

(١) شرح نهج البلاغة ٢: ٤٥ ـ عنه: بحار الأنوار ٣١: ١٩٨/ الطعن السادس! وأصل الخبر في كتاب الجوهريّ: السقيفة وفدك ص٣٨.

(٢) مروج الذهب ٢: ٣٤٢ ـ ٣٤٣، عنه: بحار الأنوار ٣١: ١٩٧/ الطعن السادس!

(٣) أي: من رجلٍ غريب.

فَوَ الذي نفسُ أبي سفيان بيده، ما مِن جنّةٍ ولا نار!

وأَنشدُكم بالله، أتعلمونَ أنّ أبا سفيان أخذ بيد الحسين حين بُويع عثمان وقال: يابن أخي اخرجْ معي إلى بقيع الغرقد. فخرج، حتّى إذا توسّط القبور اجتره فصاح بأعلى صوته: يا أهلَ القبور، الذي كنتم تقاتلونا عليه[١] صار بأيدينا وأنتم رميم![٢]

قالها صريحة.. كما قاتل الإسلام من قبلُ بسيوف صريحة، فعشرون عاماً كانت تشهد عليه أنّه أفرز أحقاده على الدين الحنيف وأهله.. حتّى نزل قوله تعالى: ﴿**إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ**﴾[٣]، فرُويَ عن مجاهد قال: نزلت في نفقة أبي سفيان على الكفّار يوم أُحد[٤]. وحتّى نزل قوله تعالى: ﴿**فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ**﴾[٥]، فجاء عن مجاهد وغيره

---

(١) يقصد الحُكم.

(٢) الاحتجاج، للشيخ أبي منصور أحمد بن عليّ الطبرسيّ: ٢٧٥. وتتمّة الخبر: فقال الحسين بن عليّ عليه السلام: قَبّح اللهُ شيبتَك، وقبّح اللهُ وجهَك. ثمّ نَتَر يدَه وتركه. فلولا النعمان بن بشير أخذ بيده وردّه إلى المدينة لَهَلك!ـ عن الاحتجاج: ـ بحار الأنوار ٤٤: ٧٨/ح١ ـ الباب ٢٠.

(٣) سورة الأنفال: ٣٦.

(٤) جامع البيان، للطبريّ ١٠: ١٥٩ ـ ١٦٠. والكشّاف، للزمخشريّ ٢: ١٣. وتفسير الرازيّ ٤: ٣٧٩. وتفسير ابن كثير ٤: ٣٧.. وغيرها.

(٥) سورة التوبة: ١٢.

أنّ الآية نزلت في أبي سفيان وأصحابه .. وتسالم على ذلك غير واحد من أهل التفسير والحديث والتاريخ والسيرة(١).

ومن هنا توافرت روايات اللّعن على أبي سفيان، أيّامَ كان في الجاهليّة يقاتل دينَ الله، وأيّامَ تَظاهر بالإسلام يكيد به وبأهله(٢).

تعالوا نتبيّنْ ذلك في الأخبار:

* ذكر ابن أبي الحديد المعتزليّ أنّ رسول الله ﷺ لعنَ أبا سفيان في سبعة مواطن:

الأول: يوم لقيَ رسولَ الله ﷺ خارجاً مِن مكّة إلى الطائف، يدعو ثقيفاً إلى الدين. فوقع برسول الله وسبَّه وشتَمه، وكذّبه وتوعّده وهَمّ أن يبطش به، فلعنه اللهُ ورسوله، وصُرف عنه.

الثاني: يوم العِير .. إذ عرض لها رسول الله ﷺ وهي جائية من الشام، فطردها أبو سفيان وساحلَ بها، فلم يَظْفِرِ المسلمون بها، ولعنه رسولُ الله ﷺ ودعا عليه، فكانت واقعة بدر لأجلها.

الثالث: يوم أُحد .. حيث وقف أبو سفيان تحت الجبل ورسولُ الله ﷺ في أعلاه، وأبو سفيان ينادي: «أعلُ هُبَل، أعلُ هُبَل ..» مراراً، فلعنه رسولُ الله ﷺ عشر مرّات، ولعنه المسلمون.

---

(١) جامع البيان ١٠: ٦٣. وتفسير الخازن، للبغداديّ الصوفيّ ٣: ٥٣، وغيرهما.

(٢) لا بأس بأن يُراجَع كتاب: تقوية الإيمان بردّ تزكية أبي سفيان، للسيّد محمّد بن عقيل العلويّ (ت ١٣٥٠ هـ)، دار الثقافة ـ إيران، ط ١، سنة ١٤١٢ هـ.

الرابع: يوم جاء أبو سفيان بالأحزاب، وغَطَفان واليهود.. فلعَنَه رسولُ الله ﷺ وابتهل ـ أي دعا عليه..

الخامس: يوم جاء أبو سفيان في قريش فصدّوا رسول الله ﷺ عن المسجد الحرام، والهَدْيَ معكوفاً أن يَبْلُغَ مَحِلَّه، وذلك يومَ الحديبيّة، فلعن رسولُ الله ﷺ أبا سفيان، ولعن القادةَ والأتباع، وقال ﷺ: ملعونونَ كلُّهم، وليس فيهم مَن يُؤمِن! فقيل: يا رسول الله، أفما يُرجى الإسلام لأحدٍ منهم؟ فكيف باللّعنة؟ فقال ﷺ: لا تصيبُ اللّعنةُ أحداً من الأتباع، وأمّا القادة فلا يُفلح منهم أحد.

السادس: يوم الجمل الأحمر.

السابع: يوم وقفوا لرسول الله ﷺ في (العَقَبة) ليستنفروا ناقته، وكانوا اثنَي عشر رجلاً، منهم أبو سفيان[1].

ولعلّ هذا الخبر مستفاد من خبر أشرنا إليه آنفاً في احتجاج الإمام الحسن عليه السلام مع معاوية وأزلامه.. حيث خاطبه بصريح القول وواضح العبارة:

... أَنشدُكم بالله، هل تعلمون أنّ رسول الله ﷺ لعنَ أبا سفيان في سبعة مواطن؟

أولهنّ: حين خرج من مكّة إلى المدينة وأبو سفيان جاءٍ من

---

(١) شرح نهج البلاغة ٢: ١٠٢ ـ ١٠٣.

الشام، فوقع فيه أبو سفيان فسبّه وأوعده وهمّ أن يبطش به، ثمّ صرفه الله عزّوجلّ عنه.

والثاني: يوم العِير.. حيث طردها أبو سفيان ليحرزها من رسول الله ﷺ.

والثالث: يوم أُحد.. قال رسول الله ﷺ: اللهُ مولانا ولا مولى لكم. وقال أبو سفيان: لنا العُزّى ولا لكم العزّى. فلَعَنه اللهُ وملائكتُه ورسوله والمؤمنون أجمعون.

والرابع: يوم حُنَين.. يوم جاء أبو سفيان بجمع قريش وهوازن، وجاء عُيينةُ بغطفان واليهود، فردّهمُ الله عزّ وجلّ بغيظهم لم ينالوا خيراً[1]. هذا قول الله عزّ وجلّ له في سورتين في كلتيهما يُسمّي أبا سفيان وأصحابه كفّاراً، وأنت يا معاوية يومئذٍ مشرك على رأي أبيك بمكّة، وعليٌّ يومئذٍ مع رسول الله ﷺ وعلى رأيه ودينه.

والخامس: قول الله عزّ وجلّ: ﴿.. **وَٱلْهَدْيَ مَعْكُوفاً أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُ**...﴾[2]، وصددتَ أنت وأبوك ومشركو قريش رسولَ الله ﷺ، فلعَنَه اللهُ لعنةً شملته وذرّيّتَه إلى يوم القيامة.

والسادس: يوم الأحزاب.. يوم جاء أبو سفيان بجمع قريش،

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْراً وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيّاً عَزِيزاً﴾ سورة الأحزاب: ٢٥.

(٢) سورة الفتح: ٢٥.

وجاء عُيينةُ بن حُصين بن بدر بغطفان، فلعن رسولُ الله ﷺ القادةَ والأتباع والساقةَ إلى يوم القيامة. فقيل: يا رسول الله، أما في الأتباعِ مؤمن؟ فقال: لا تُصيب اللّعنةُ مؤمناً من الأتباع، أمّا القادة فليس فيهم مؤمنٌ ولا مُجيبٌ ولا ناجٍ.

والسابع: يوم الثنيّة.. يوم شَدّ على رسول الله ﷺ اثنا عشر رجلاً، سبعة منهم من بني أُميّة وخمسة من سائر قريش، فلعن اللهُ تبارك وتعالى ورسولُه ﷺ مَن حلّ الثنيّة غيرَ النبيّ ﷺ وسائقِه وقائده...[1].

معاوية بن أبي سفيان

وما أدرانا ما معاوية! إنّه على سرّ أبيه في كلّ شيء، بل زاد عليه في كلّ شيء.. من الكفر والنفاق والضلال والإضلال، فهو وصيّة أبي سفيان أن يواصل دربه في القضاء على الإسلام الأصيل، بطمس معالمه وتشويه حقائقه وتحريف شريعته وعقائده.. والقضاء على المسلمين الأحرار بالقتل والسجن والتشريد، فضلاً عن الإساءة إلى سمعتهم وكرامتهم.

---

(١) الاحتجاج ١: ٢٧٤. وتذكرة خواصّ الأُمّة: ١١٤ ـ ١١٩. ولا يفوتنّنا كتاب الفتن من بحار الأنوار: ج٢٨ وج٣٣: ٢٠٣، وكذا كتاب المعتضد في مطاعنه ولعنه، وسفينة البحار ٢: ٦٦٧ ـ ٦٧٠، والمناقب والمثالب للمغربيّ ص١٧٠ ـ ١٧٧، وص١٧٩ ـ ١٨٣.

والأفضل أن ندَعَ التاريخ هوالمتحدِّثَ عن هذه الشخصيّة البارزة في السلالة الأمويّة والأُسرة السفيانيّة والعائلة الحاكمة في الشام بتمهيدٍ من عمر وعثمان.

النسب: أسلَفْنا مَن هو أُميّة، ومن هم بنو أُميّة.. وتعرّفنا على الأبوين الشهيرين لـ(معاوية): أبي سفيان وهند. وإذا كان قد ثبت أنّ الأُمّ هند، فإنّ الأب يبقى مشكوكاً مَن هو يا ترىٰ ومَن يكون؟! فالشعبيّ يرى أنّ رجال التاريخ يذكرون لمعاوية عدّةَ آباءٍ من قريش، هم: عمارة بن الوليد المخزوميّ، ومسافر بن أبي عمر، وأبو سفيان.. وغيرهم، والزمخشريّ يُعدّدُهم أربعةَ رجال في كتابه (ربيع الأبرار)، هم: مسافر بن عمر، وعمارة بن الوليد، وأبو سفيان، ورجل أسود يُدعى الصبّاح. بينما يرى إسماعيل بن عليّ الحنفيّ في كتاب (مثالب بني أُميّة) أنّ مسافر بن عمر جامعَ هندَ بنت عتبة سِفاحاً فحملت منه، وفي أثناء حملها تزوّجها أبو سفيان فولدت له معاوية بعد ثلاثة أشهر فقط من تاريخ زواجهما!!

فمعاوية إذن منسوب إلى أبي سفيان، وخلّف ذلك عقدةً في نفسه، فحاول أن يُسرّيَ هذا التلوّثَ إلى غيره ويُعطيَه طابعاً شرعيّاً، فاستلحق زيادَ بن أبيه، الذي كان قد وُلد على فراش عبيد مولى ثقيف.. وجعله أخاً له لادّعاء أبي سفيان أنّه هو الذي قذفه في رحِم

أُمّه سميّة (وهي من ذوات الأعلام والرايات)[١].

وصحّ في كثيرٍ من كتب الحديث عند المحدّثين قول النبيّ ﷺ: مَن ادّعى إلى غير أبيه وهو يعلم أنّه غير أبيه، فالجنّة عليه حرام[٢].

وقوله ﷺ: مَن ادّعى إلى غير أبيه أو انتمى إلى غير مواليه، فعليه لعنة الله المتتابعة إلى يوم القيامة[٣].

خطوط في صحيفة معاوية

نقرأها معاً ـ أيُّها الإخوة ـ في صحائف المؤرّخين، حيث كتبوا في معاوية:

ـ مؤسّس الدولة الأمويّة، وأحد دُهاة العرب، وكان مِن مسلمة الفتح، ولّاه عمر على الشام، ومِن بعده عثمان. (المعارف لابن قتيبة ٣٤١، ٣٤٩..)

ـ أُمّه هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، كانت تُذكَر في مكّة بفُجورٍ وعُهْر. (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١: ٢٧٠، ٣٣٦..)

ـ قال الكلبيّ: كان معاوية لأربعة: عُمارة بن الوليد بن المُغيرة

---

(١) تاريخ ابن عساكر ٥: ٤١٠. والاستيعاب ١: ١٩٥. والعقد الفريد ٣: ٣. وتاريخ اليعقوبيّ ٢: ١٩٤، ومروج الذهب، للمسعوديّ ٢: ٥٦.. وقد بحث الشيخ الأمينيّ هذا الموضوع بتفصيل في سِفره المبارك (الغدير) ١٠: ٢١٦ ـ ٢٢٧.

(٢) رواه البخاريّ ومسلم وأبو داود وابن ماجة، كما في سنن البيهقيّ ٧: ٤٠٣.

(٣) الترغيب والترهيب، للمنذريّ ٣: ٢٢، عن أبي داود.

المخزوميّ، ومسافر بن عمر، ولأبي سفيان، ولرجلٍ آخر، وكانت أُمّه هند مِن المُغَيلمات. (مثالب العرب ٧٢، ٨٥، من النسخة الخطيّة)

ـ وقال جمع: إنّ أُمّه هند بنت عتبة كانت من العواهر المُغْلِمات اللواتي كنّ يخترن علىٰ أعينهنّ، وكانت أحبّ الرجال إليها السُّود، وإذا علقت من أسود فولَدَت له قتلَت ولدَها! (تاريخ دمشق ٧: ١٧٨، شرح نهج البلاغة ١٨: ١٦، تذكرة خواصّ الأُمّة ١١٦، المناقب والمثالب للقاضي أبي حنيفة النعمان ٢٤٠ ـ ٢٤١.. وغيرها)

ـ عدّه محمّد بن حبيب البغداديّ في (المحبَّر ٤٧٣)، وابن قتيبة في (المعارف ٣٤٢) هو وأباه أبا سفيان من المؤلّفة قلوبُهم!

ـ كان عمر إذا نظر إلىٰ معاوية قال: هذا كسرى العرب! (غريب الحديث لأبي سلّام ٤: ٢٩٣، تاريخ دمشق ٥٩: ١١٤، البداية والنهاية لابن كثير ٨: ١٣٤، أُسد الغابة ٤: ٣٨٤.. وغيرها)

أوائليّات معاوية!

ـ أوّل مَن أظهر الجَبْر في هذه الأُمّة: معاوية. (ابن شهر آشوب في متشابه القرآن ١: ١٢٢)

ـ أوّل مَن قال بالإرجاء المحض: معاوية وعمرو بن العاص. (ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ٦: ٣٢٥)

ـ أوّل مَن ألجم مؤمناً ـ كما فعل مع ميثم التمّار ﵀ ـ: معاوية. (النجاشيّ في رجاله ص٨٣)

ـ أوّل مَن رفع رأس مسلم علىٰ رمح ـ كما فعل برأس عمرو بن الحَمِق ﵀ ـ: معاوية. (أبو هلال العسكريّ فى الأوائل ١٩٨، وأحمد ابن أبي عاصم النبيل في الأوائل ٧٨/ ح١٧٣، والجراعيّ الحنبليّ عن ابن أبي شيبة في الأوائل ٧١، والبغداديّ في المحبَّر ٤٩٠، والطبرانيّ في الأوائل ٧٨، وابن سعد في الطبقات الكبرىٰ ٦: ٢٤ ـ ٢٥، وابن الأثير في أُسد الغابة ٤: ١٠١، والبخاريّ في التاريخ الصغير ١: ١٣١.. وغيرهم كثير)

ـ أوّل مَن ركب بين الصفا والمروة، وأوّل مَن أعلن بشرب النبيذ وبالغناء، وأوّل مَن أكل الطين واستباحه. (الطرائف للسيّد ابن طاووس ٢: ٥٠٢)

ـ أوّل مَن خطب جالساً. (السيوطيّ في وسائله ص٣٣، والعسكريّ في الأوائل ص١٦٤)

ـ أوّل مَن تختّم باليسار. (البياضيّ في الصراط المستقيم ٣: ٢٠٦ حكاه عن الراغب الأصبهانيّ في المحاضرات)

ـ أوّل مَن اتّخذ المقصورة في المسجد. (ابن قتيبة في المعارف ٥٥٣، والسيوطيّ في الوسائل ٢٨)

ـ أنا أوّل المُلك ـ هكذا قال معاوية! (الجراعيّ الحنبليّ في الأوائل ١٢٦)

ـ أوّل مَن أدخل الغناء إلىٰ أرض العرب، وكان الغناء عندهم غناءَ الركبان. (القاضي النعمان في المناقب والمثالب ٢٤٣)

ـ أوّل مَن أحدَثَ الأذان في العيدين. (السيوطيّ في الوسائل إلىٰ معرفة الأوائل ٢٣، وفيه ص٢٦: إنّ معاوية هو أوّل مَن أمر المؤذّن أن ينادي: السلام علىٰ أميرالمؤمنين، الصلاةَ يرحمك الله)

ـ أوّل مَن نقّص التكبير. (السيوطيّ في الأوائل ٢٩، والعسكريّ في الأوائل ١٦٤)

* وفي هذه المصادر وغيرها، معاوية هو:

ـ أوّل مَن ترك القنوت في صلاة الصبح.

ـ أوّل مَن بدأ بالخطبة قبل صلاة العيد.

ـ أوّل مَن ركب إلى الجنائز.

ـ أوّل مَن ركب عند رمي الجمار ذاهباً وراجعاً.

ـ أوّل مَن استخلف على البيعة وبايع لولده...

إلىٰ غير ذلك من مخالفاته لكتاب الله وسنّة رسوله، ولشرائع الدين وحياة المسلمين، حتّى كتب ابن أبي‌الحديد: ومعاوية مطعونٌ في دِينه عند شيوخنا، ويُرمىٰ بالزندقة[1]. وروىٰ في شرحه للنهج أنّ رسول الله ﷺ قال لمعاوية: «لَتَتَّخِذَنّ ـ يا معاوية ـ البِدعةَ سُنّة، والقُبحَ حسناً، أكلُك كثير، وظُلمُك عظيم!»[2].

(١) شرح نهج البلاغة ١: ٣٤٠.

(٢) شرح نهج البلاغة ٤: ٧٩.

حقده على النبيّ ﷺ

أكثر مواقف معاوية كانت تحكي بُغضَه للدين الحنيف، وكراهيته للرسول الأعظم ﷺ، ولكنْ نكتفي هنا بموقفين له:

الأول: ذكَره الإمام الحسن عليه السلام في احتجاجه الكبير معه في محضر جلاوزة معاوية، قال في أوّله ـ راداً عليهم، ومناشداً لهم بالحقائق الدامغة ـ:

الحمد لله الذي هدى أوّلَكم بأوّلنا، وآخرَكم بآخرنا، وصلّى الله على جدّي محمّدٍ النبيّ وآلِه وسلّم.

اسمعوا منّي مقالتي وأعيروني فهْمَكم. وبك أبدأ يا معاوية!.. (إلى أن قال له بعد عرضِه لجملةٍ من أدلّة إمامة أمير المؤمنين عليه السلام ومواقفه الغيورة، ولجملةٍ من مخازي معاوية):

أَنشدكمْ بالله.. هل تعلمون أنّ ما أقول حقّاً، إنّه لَقِيَكم رسولُ الله ﷺ يوم بدر ومعه ـ أي مع الإمام عليّ عليه السلام ـ راية النبيّ ﷺ والمؤمنين، ومعك يا معاوية راية المشركين وأنت تعبد اللّاتَ والعُزّىٰ، وترى حرب رسول الله ﷺ فرضاً واجباً؟! ولَقيَكم يوم أُحد ومعه راية النبيّ، ومعك يا معاويةُ راية المشركين؟! ولقيكم يوم الأحزاب ومعه رايةُ رسولالله ﷺ، ومعك يا معاوية راية المشركين؟! كلُّ ذلك يفلج الله حُجَّتَه، ويُحقّ دعوتَه، ويصدّق أُحدوثتَه، وينصر

رايتَه.. وكلُّ ذلك كان رسول الله عنه راضياً في المواطن كلِّها، ساخطاً عليك...

ثمّ قال: أَنشدكم بالله، هل تعلمون أنّ ما أقول حقّاً؟ إنّك يا معاويةُ كنتَ تسوقُ بأبيك على جمل أحمر يقوده أخوك هذا القاعد ـ يقصد عُتبةَ بن أبي سفيان ـ وهذا يوم الأحزاب، فلعن رسولُ اللهِ القائدَ والراكبَ والسائق، فكان أبوك الراكب، وأنت يا أزرقُ السائق، وأخوك هذا القاعدُ القائد[١].

الثاني: كان معاوية قد تظاهر بالإسلام مضطرّاً، فلمّا استقرّ به مُلكه في الشام مكث أربعين جمعةً يصلّي بالناس ويخطب فيهم دون أن يصلّيَ على النبيّ الأكرم ﷺ، فسأله بعض أصحابه عن ذلك فقال: لا يمنعني عن ذكْرِه إلّا أنْ تشمخ رجالٌ بآنافها[٢].

فإذا انبسطت له الأوضاع أفرغ ما في نفسه من الحقد على المصطفى ﷺ.. دعونا نُصغِ إلى ما رواه مُطرف بن المغيرة بن شعبة، حيث قال:

وفدتُ مع أبي على معاوية، فكان أبي يتحدّث عنده ثمّ ينصرف إليّ وهو يذكر معاويةَ وعقله، ويُعجَب بما يرى منه، وأقبل ذات ليلةٍ

---

(١) الاحتجاج: ٢٧٢ ـ ٢٧٤. ويُنظَر: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢: ١٠٢، وتذكرة خواصّ الأُمّة ١١٥، وجمهرة خطب العرب ١: ٤٢٨.

(٢) النصائح الكافية لمن يتولّى معاوية، للسيّد محمّد بن عقيل العلويّ: ٩٧.

وهو غضبان، فأمسك عن العَشاء، فانتظرتُه ساعةً وقد ظننت أنّه لشيءٍ حدث فينا أو في عملنا، فقلت: ما لي أراك مغتمّاً منذ اللّيلة؟! قال: يا بُنيّ جئتك من عند أخبثِ الناس، قلت: ما ذاك؟! قال: خلوتُ بمعاوية فقلت له: إنّك قد بلغتَ مُناك يا أميرَ المؤمنين، فلو أظهرتَ عدلاً، وبسطتَ خيراً، فإنّك كبرت، ولو نظرتَ إلى إخوتك من بني هاشم فوصلتَ أرحامهم، فوالله ما عندهمُ اليومَ شيءٌ تخافه.

فثار معاوية واندفع يقول: هيهاتَ هيهات! مَلَك أخو تَيم فَعَدل، وفعل ما فعل، فواللهِ ما عدا أن هلك فهلك ذِكْرُه إلّا أن يقول قائل: أبو بكر. ثمّ مَلَكَ أخو عَدِيٍّ فاجتهد وشمّر عشر سنين، فوالله ما عدا أن هلك فهلك ذِكْرُه إلّا أن يقول قائل: عمر. ثمّ مَلَكَ أخونا عثمان.. فعُمل به ما عُمل، فواللهِ ما عدا أن هلك فهلك ذِكرُه. وإنّ أخا هاشم ـ يقصد النبيَّ ﷺ ـ يُصرَخ به كلَّ يومٍ خمس مرّات: أشهد أنّ محمّداً رسولُ الله.. فأيُّ عملٍ يبقى بعد هذا لا أُمَّ لك؟! واللهِ سُحقاً سُحقاً، واللهِ دفناً دفناً[1].

ومن هنا كتب ابن أبي الحديد: ومعاوية مطعونٌ في دِينه عند شيوخنا، يُرمىٰ بالزندقة![2]

---

(١) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ٢: ٢٩٧ و ٥: ١٣٠. والموفقيّات، للزبير بن بكّار ٥٧٦ ـ ٥٧٧. ومروج الذهب، للمسعوديّ ٣: ٤٥٤.

(٢) شرح نهج البلاغة ١: ٣٤٠.

الخلافة

هنا نتساءل: هذا الذي يتوعّد بلسانٍ حاقد أن يسحق آثار النبوّة ويدفنها.. أيستحقّ أن يكون خليفة النبيّ ووصيَّه على الأُمّة؟!

لقد كان النبيّ ﷺ رأى بعين بصيرته النورانيّة ونبوّته الإلهيّة أنّ معاوية رجلٌ يشتهي الرئاسة، وسينالها فيطغى، فقال في ذلك: إذا رأيتُم معاويةَ على مِنبري فاقتلوه.

ولعلّ مشكّكاً يقول: ربّما وضَعَ هذا الحديث أعداءُ معاوية من الشيعة وغيرهم! ولكي يزول الشكّ وتذوب كلمة (ربّما)، نُوقفه على هذه المصادر التي ذكرت هذا الحديث:

١ ـ **ميزان الاعتدال**، للذهبيّ ٢: ٧.. قال: روى عبّاد بن يعقوب، عن شريك بن عاصم، عن زرّ، عن عبد الله: قال رسول الله ﷺ: إذا رأيتم معاويةَ على مِنبري فاقتلوه. وقد صحّحه الذهبيّ، وهو من علماء أهل السنّة المتشدّدين في الرواية والراوي، ثمّ رواه مرّة أُخرى على الصفحة ١٢٩ من الجزء نفسه ولكن عن طريق أبي سعيد الخُدْريّ رفعه، ثمّ ذكر نحوَه عن أبي جذعان.

٢ ـ **تهذيب التهذيب**، لابن حجر العسقلانيّ ٥: ١١٠ في ترجمة عبّاد بن يعقوب الرواجنيّ، فجاء بالسند والحديث. ثمّ عاد في الجزء السابع من الكتاب نفسه فقال على الصفحة ٣٢٤ في ترجمة عليّ بن زيد بن عبدالله بن أبي مليكة: حدّث حمّاد بن سلمة، عن

عليّ بن زيد، عن نضرة، عن أبي سعيد رفعه إلى النبيّ ﷺ: إذا رأيتم معاويةَ على هذه الأعواد فاقتلوه. ثمّ قال ابن حجر: وأخرجه الحسن ابن سفيان في مُسنده عن إسحاق، عن عبد الرزّاق، عن ابن عُيَينة، عن عليّ بن زيد.. ولكنّ لفظ ابن عيينة: فارجُموه، بدل: فاقتُلوه. ثمّ يأتي ابن حجر على الحديث نفسه في الجزء الثامن على الصفحة ٧٤ في ترجمة عمرو بن عبيد بن باب، بسندٍ ينتهي إلى أنّ عَمْراً روى عن الحسن أنّ النبيّ ﷺ قال: إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه.

٣ ـ **كنوز الحقائق**، للمناويّ: ٩.. ولفظ الحديث: إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه. ثمّ قال المناويّ: أخرجه الديلميّ.. أي في: فردوس الأخبار.

٤ ـ ونقل الحديثَ أيضاً جمهرة كبيرة من الحفّاظ والمحدّثين، والمفسّرين والمؤرّخين، جاء في بعضها قول الحسن: فما فعلوا ولا أفلحوا!

يُراجَع: تاريخ الطبريّ، وتاريخ بغداد للخطيب البغداديّ، وكتاب صفّين لنصر بن مزاحم المنقريّ، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، والكامل في التاريخ لابن الأثير، واللّآلئ المصنوعة للسيوطيّ.. وغيرها من المصادر.

والآن.. نحن نتساءل: ألَم يرَ المسلمون معاوية وقد ارتقى منبرَ الخلافة، وهو مِنبرُ رسول الله ﷺ ؟! وإذا كانوا قد رأوه فلماذا لم يقتلوه؟!

أهنالك شبهة أنّ المقصود من المنبر في الحديث هو عين منبر النبيّ ﷺ في مسجده الشريف بالمدينة المنوّرة؟! فإذا كان ذلك قال العلماء: الظاهر أنّ الحديث يُشير إلى مطلق المنابر التي عليها اسم الإسلام وخلافته وإمارته.. وقد صَعِد معاوية منبرَ الخلافة في الشام فوجب قتلُه. أمّا إذا تنزّلنا وأخذنا الحديثَ المرويّ عن أبي سعيد: إذا رأيتم معاوية على هذه الأعواد فاقتلوه، وأراد المسلمون أنْ يعملوا بظاهر الحديث، فإنّ معاوية قَدِم إلى المدينة المنوّرة وصَعِد على مِنبر النبيّ ﷺ وحلف ليَقتلنّ ابنَ عمر. وهذا ما رواه ابن سعد[1] عن إسماعيل بن إبراهيم الأسديّ، عن أيّوب، عن نافع.. ثمّ رواه بطريقٍ آخر عن نافع، فيُراجَع.

ثمّ نقول للمتسائل المشكّك: أين أنت عن قولة عمر بن الخطّاب: هذا الأمر في أهل بدر ما بقيَ منهم أحد، ثمّ في أهل أُحد ما بقي منهم أحد.. ثمّ في كذا وكذا، وليس فيها لطليق، ولا لولدِ طليق، ولا لمُسلمةِ الفتح شيء![2]

بل أين عمر بن الخطّاب نفسه من قولته هو نفسه وقد ولّى

(١) في الطبقات الكبرىٰ ٤: ١٣٦ ـ القسم الأوّل ـ.

(٢) أُسد الغابة ٤: ٣٨٧ ـ في ترجمة معاوية بن أبي سفيان ـ والرواية عن عبد الرحمان بن أبزي. وروى الخبرَ أيضاً ابن سعد في طبقاته ٣: ٢٤٨ ـ القسم الأوّل ـ.

معاويةَ الشامَ في عهده بعد موت أخيه يزيد بن أبي سفيان؟![1]

وبعد أنْ ولاه لم يحاسبه على صغيرة ولا كبيرة، وعمر هو المعروف بشدّته وصرامته في محاسبة الولاة!

قال عبد الرحمان بن الجوزيّ: ولّاه عمر بن الخطّاب مكان أخيه يزيد بن أبي سفيان لمّا مات، فلم يزل كذلك خلافةَ عمر، وأمّره عثمان وأفرد له جميعَ الشام!![2]

وإن كتب بعض أهل السِّيَر أنّ أبابكر كان قد استعمل يزيدَ بن أبي سفيان علىٰ جيشٍ وسَيّره إلى الشام، وكان معاوية أخوه معه، فخرج أبوبكرٍ معهما يُشيّعهما راجلاً، فلمّا مات يزيد استخلف أبوبكر معاويةَ علىٰ دمشق، فلمّا مات أبوبكر وقام مقامه عمر أقرّه علىٰ منصبه، وأضاف لهإمارةَ أطراف دمشق وما والاها من البلاد المهمّة[3].

ثمّ أين عمر من رأي تلميذه (عبد الرحمان بن غُنم الأشعريّ)

---

(١) وقد جاء لعنُه على لسان النبيّ ﷺ. يراجع: كتاب وقعة صفّين: ٢٤٧، وتاريخ الطبريّ ١١: ٣٥٧.

(٢) المنتظَم في تاريخ الملوك والأُمم ٤: ٧، طبعة دار الفكر، بيروت. ويراجع: معاني الأخبار: ٣٤٦ ـ ٣٤٧/ ح١، الاحتجاج ٢٧٥ ـ عنه: بحار الأنوار ٤٤: ٧٩/ ح١.

(٣) يراجع: تهذيب التهذيب لابن حجر ١١: ٣٣٢، الإصابة ٣: ٦٥٦/ الرقم ٩٢٦٥، الاستيعاب علىٰ هامش الإصابة ٣: ٦٥٠، البداية والنهاية ٨: ٢٣، أُسد الغابة ٥: ١١٢، مجمع الزوائد ٩: ٤١٣، تاريخ الخلفاء ١٤٩، فتح الباري ٦: ٥٥٢.. وغير ذلك.

وقد سمع عبدالرحمانُ الحديثَ من عمر بعد أن كان صاحبَ مُعاذ ابن جبل ومُلازمَه، فصار من أفقه أهل الشام فـفقّه عـامّةَ التـابعين بالشام، ـ كما يترجم له ابنُ عبد البَرّ فيضيف ـ: وكانت لعبد الرحمان جلالةٌ وقَدْر، وهو الذي عاتب أبا هُريرة وأبـا الدرداء بـحمص إذِ انصرفا من عند عليّ عليه السلام رسولَين لمعاوية، وكان ممّا قال لهما: عَجَباً منكما! كيف جاز عليكما ما جئتما به تدعوانِ عليّاً أن يجعلها ـ أي الخلافة ـ شورى، وقد علمتما أنّه قد بايعه المـهاجرون والأنـصار وأهل الحجاز وأهل العراق! وأنّ مَن رضيه خيرٌ ممّن كرهه، ومـن بايعه خيرٌ ممّن لم يبايعه، وأيّ مدخل لمعاوية في الشورى وهو من الطلقاء[1] الذين لا تـجوز لهـم الخـلافة، وهـو وأبـوه مـن رؤوس الأحزاب؟![2] قال: فندما على مسيرهما وتابا منه بين يديه[3].

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله قد تقدّم للمسلمين بقوله ـ كـما روىٰ أبـو عبدالله الحسين عليه السلام أنّه سمع ذلك مِن جدّه صلى الله عليه وآله ـ: «الخلافةُ محرّمةٌ علىٰ آل أبي سفيان، فإذا رأيتم معاويةَ علىٰ مِنبري فابقروا بطنَه!»[4].

---

(١) بعد فتح مكّة، وقد قال النبيّ صلى الله عليه وآله لأهلها: إذهبوا فأنتمُ الطُّلَقاء.

(٢) الذين تألّبوا عليه في واقعة الخندق ليقضوا على الإسلام وأهله.

(٣) الاستيعاب ٢: ٤٠٢. وذكر الخبر أيـضاً: ابـن الأثـير فـي أُسـد الغـابة ٣: ٣١٨ باختلاف يسير، كذا ذكره ابن قتيبة في الإمامة والسياسة ١: ١٢٨ ـ ١٢٩.

(٤) روىٰ ذلك: الخوارزميّ الحنفيّ في (مقتل الحسين عليه السلام ١: ١٨٥)، والسيّد ابـن طاووس في (اللهوف علىٰ قتل الطفوف ٢٠).

لقد مَلَك معاوية.. فماذا فعل؟ إنّه لم يستطع أن يكتم شهوةَ التسلّط على الناس في نفسه وحِدّةَ حبّ الزعامة وقد أخذت مأخذها من قلبه، فيوم دخل الكوفة بعد التوقيع على وثيقة الصلح مع الإمام الحسن عليه السلام لِيُطْبق جيشُه على تلك المدينة.. خاطب أهلها بصريح الخطاب:

يا أهلَ الكوفة! أتَروني أُقاتلكم على الصلاة والزكاة والحجّ، وقد علمتُ أنّكم تصلّون وتزكّون وتحجّون؟! ولكنّني أُقاتلكم لأتأمّر عليكم وعلى رقابكم، وقد آتانيَ الله ذلك وأنتم كارهون![1]

ولكي يُطْبقَ على الناس؛ فلا يترك لهم فسحة يتحرّكون فيها أو مُتنَفّساً يَشْكون من خلاله ولا فرصةً ليقوموا في وجهه[2].

انتخب عمّالَه من الزعانفة الفجرة أعداء الإسلام: بُسر بن أرطاة، ومروان بن الحكم، والمُغيرة بن شعبة، وزياد بن أبيه، وعبد الله الفَزاريّ، وسفيان بن عوف، والضحّاك بن قيس، وسَمُرة بن

---

(١) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ١٦: ١٥.

(٢) لا بأس بمراجعة العهد الذي كتبه عمر إلىٰ معاوية، وعرضه يزيد علىٰ عبدالله ابن عمر بعد قتله للإمام الحسين عليه السلام، في: بحار الأنوار ٣٠: ٢٨٧ ـ ٣٠٠/ ح١٥١، وخبره مرويّ عن أحد رواة العامّة، وهو سعيد بن المسيّب، وقد تقدّم المجلسيّ بقوله: أجاز لي بعض الأفاضل في مكّة ـ زاد الله شرفها ـ رواية هذا الخبر، وأخبرني أنّه أخرجه من الجزء الثاني من (دلائل الإمامة)، وهذه صورته:...

جُنْدب، وعمرو بن العاص.. ونظرائهم، وذلك بعد أن شَذُّوا عن طريق الإسلام، وخالفوا حياة المسلمين، وتمرّدوا على خليفة رسول الله ﷺ أميرالمؤمنين عليه السلام، وما كان ذلك منهم إلّا نزعةً إلى الجاهليّة أوّلاً، وطمعاً في دنيا معاوية ثانياً!

ولنأخذْ ـ أخي القارئ ـ نموذجاً ممّن ولّاهم معاوية بعد أن تَوَلَّوه.. وهو زياد بن أبيه:

* يقول اليعقوبيّ في تاريخه: وكان زياد بن عبيد (أي ابن أبيه) عاملَ عليّ بن أبي طالب على فارس، فلمّا صار الأمر إلى معاوية كتب إلى زياد يتوعّده ويتهدّده [ليغويَه، وقد كتب في أسفل الكتاب شعراً، منه:

تَنسىٰ أباك وقد شالَتْ نِعامتُهُ

إذْ تخطبالناسَ والوالي لهم عُمَرُ!]

فقام زياد خطيباً فقال:

إنّ ابنَ آكلة الأكباد وكهفَ النفاق وبقيّة الأحزاب، كتب إليّ يتوعّدني ويتهدّدني، وبيني وبينه ابنا بنت رسول الله (أي الحسن والحسين عليهما السلام) في تسعين ألفاً، واضعي قبائع سيوفهم تحت أذقانهم.. أما واللهِ لئن وصل إليّ لَيجدُني أحمز، ضرّاباً بالسيف!

فوجّه معاوية إليه المُغيرةَ بن شعبة، فأقدمه ثمّ ادّعاه (أي ادّعى معاويةُ أنّ زياداً هو ابن أبي سفيان، وأنّ أبا سفيان قال: واللهِ لَهُوَ

ابني، ولأنا وضعتُه في رَحِم أُمّه!)، وألحقه معاوية بأبي سفيان، وولّاه البصرة[1].

وقال ابن أبي الحديد: روىٰ أبو جعفر محمّد بن حبيب ﷺ قال: كان عليٌّ عليه‌السلام قد ولّىٰ زياداً قطعةً مِن أعمال فارس واصطنعه لنفسه، فلمّا قُتِل عليٌّ عليه‌السلام بقي زيادٌ في عمله، وخاف معاوية جانبه وأشفق في مُمالأته (أي مشايعته) الحسنَ بن عليّ عليه‌السلام، فكتب إليه كتاباً يُهدّده ويُوعده، ويدعوه إلىٰ بيعته، فأجابه زيادٌ بكتابٍ أغلظَ منه، فشاور معاويةُ في ذلك المُغيرةَ بن شعبة، فأشار عليه بأن يكتب إليه كتاباً يستعطفه فيه، ويذهب المغيرةُ بالكتاب إليه، فلمّا أتاه أرضاه، وأخذ منه كتاباً يُظهِر فيه الطاعة (أي لمعاوية) بشروط، فأعطاه معاويةُ جميع ما سأله، وكتب إليه بخطّ يده ما وَثِق به، فدخل إليه الشامَ وقرّبه وأدناه، وأقرّه علىٰ ولايته، ثمّ استعمله على العراق[2].

ونعود إلىٰ ابن أبي الحديد المعتزليّ لنقرأ له: وقال المدائنيّ: لمّا أراد معاويةُ استلحاقَ زيادٍ وقد قَدِم عليه الشام، جمع الناس وصَعِد المنبر وأصعد زياداً معه علىٰ مرقاةٍ تحت مرقاته.. ثمّ قال: أيُّها الناس، إنّي قد عرفتُ نَسَبَنا أهل البيت في زياد، فمَن كان عنده شهادةٌ فَلْيَقم بها. فقام ناسٌ فشَهِدوا أنّه ابنُ أبي سفيان، وأنّهم

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢: ٢١٨.

(٢) شرح نهج البلاغة ١٦: ١٨٢. وقريب منه: العقد الفريد ٥: ٢٦٨ ـ ٢٦٩.

سمعوه أقرّ به قبل موته، فقام أبو مريم السَّلوليّ ـ وكان خمّاراً في الجاهليّة ـ فقال:

أشهد يا أميرالمؤمنين أنّ أبا سفيان قَدِم علينا بالطائف، فأتاني، فاشتريتُ له لحماً وخمراً وطعاماً، فلمّا أكل قال: يا أبا مريم، أصِبْ لي بَغِيّاً. فخرجتُ فأتيتُ سُميّةَ فقلت لها: إنّ أبا سفيان مَن قد عَرَفتِ شرفَه وجُودَه، وقد أمرني أن أُصيب له بغيّاً، فهل لكِ؟ فقالت: نعم، يَجيء الآن عُبيدٌ بغنمه ـ وكان راعياً ـ فإذا تعشّىٰ ووضع رأسه أتيت. فرجعتُ إلىٰ أبي سفيان فأعلمتُه، فلم تلبث أن جاءت تجرّ ذيلها، فدخَلَت معه، فلم تزل عنده حتّىٰ أصبحت، فقلتُ له لمّا انصرفت: كيف رأيتَ صاحبتَك؟ فقال: خير صاحبة لولا ذَفرٌ [أي شدّة ريح نتنة] في إبطَيها.

فقال زياد مِن فوق المنبر: يا أبا مريم، لا تشتم أُمّهات الرجال فتُشتَم أُمُّك! فلمّا انقضىٰ كلام معاوية ومناشدته قام زياد.. ثمّ قال:

أيُّها الناس، إنّ معاوية والشهود قد قالوا ما سمعتُم، ولستُ أدري حقُّ هذا مِن باطله، وهو والشهود أعلمُ بما قالوا، وإنّما عبيدٌ أبٌ مبرور، ووالٍ مشكور! ثمّ نزل[1].

وأمّا كاتب معاوية وصاحب أمره، فسرجون بن منصور الروميّ

---

(١) شرح نهج البلاغة ١٦: ١٨٧ ـ عنه: بحار الأنوار ٣٣: ٥١٩ ـ ٥٢٠/ح٧١٣.

النصرانيّ! ذكر ذلك ابن الجوزيّ ثمّ أضاف قائلاً: وكان معاوية أوّل مَن اتّخذ الحرس[1].

حُكمه:

منذ أن حلّ معاوية أرض الشام أخذت المفاسد تموج بالناس وتسري إلى جميع شؤون حياتهم، فقد شاعت العقائد المنحرفة، وتفشّت الرذائل والموبقات، وعمّ الظلم والجور والإرهاب، وابتُليت الأمّة بحروبٍ ومذابح.

وإذا أردنا أن نبسط الحديث في ذلك احتجنا إلى تأليف كتابٍ كبير يجمع ولا يحيط، ويلمّ ولا يحصي.. فجرائم معاوية تنوّعت وتعدّدت؛ لذا نبتغي الإشارة ويعذرنا القارئ الكريم.

ما أن سيطر معاوية على الحكم حتّى أخذ يثبّت زعامته الجاهليّة، ويحاول طمس معالم الإسلام وتزييفها. وقد خطا خطواتٍ في السيطرة على مشاعر المسلمين وعقولهم، فأوجد بينهم تبريراً دينيّاً لسلطانه، لاستفراغ روح الثورة من النفوس وكبح جماح النقمة الجماهيريّة الإسلاميّة بدعايات ذات صبغة دينيّة، فاختلق الأحاديث والأخبار، وافترى على الرسالة والرسول، واشترى الأقاويل والأكاذيب من باعة الضمير، وابتدع فرقاً (سياسيّة ـ دينيّة)

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأُمم ٤: ٧.

باسم الإسلام تتّخذ اسم المُرجِئة تارة، والجبريّة تارةً أُخرى، لتحريم الثورة ضدَّه.. فالأُمور تجري بقضاء الله، ولا يجوز الاعتراض على قضاء الله، ومعاوية خليفة الله، والمال مال الله، ومعاوية مُوكَّل عليه وعلى رقابِ عبادِ الله!!

وقد أصبح المرجئة عوناً وسنداً لحكم معاوية، فجاءت آراؤهم ومعتقداتهم تبريراً لإمارته، وإقناعاً للمسلمين بوجوب طاعته. ووجد الجهّال وطلّاب العافية والسلامة ضالّتَهم المنشودة في الأفكار الجبريّة، ليعيشوا في ظلّ السلطان آمنين، فكلّ ما يجري هو قضاء الله وأمرٌ مُحتّم من ربّ العالمين![1]

ثمّ أشاع معاوية الروحَ العنصريّة والقوميّة، ونفخ بها في نفوس أهل الشام، فتهيّأوا للفتن والعصبيّات والأحقاد، ثمّ انكبّ على شريعة الإسلام يبدّل ويغيّر، ويحرّف ويزيد ويُنقص، ويُعطّل الحدود ويحكم خلاف ما أنزل الله تعالى في صريح كتابه وخلاف ما اشتهر من سنن النبيّ ﷺ.. واجتناباً عن الإطالة نشير إشارات:

* أتمّ معاوية الصلاة في سفره ـ كما أخرج الطبرانيّ في معجمه وأحمد بإسناد صحيح من طريق عبّاد بن عبدالله بن الزبير.

* أحدث معاوية أذاناً وإقامة لصلاة العيدين، وقدّم الخطبة على الصلاة ـ كما ذكر ابن حزم في (المحلّى ٥: ٨٢).

---

(١) مقالات الإسلاميّين، للأشعريّ: ١٤١. وحركات الشيعة في العصر العبّاسيّ الأوّل، لمحمّد جابر عبد العال.

* صلّى معاوية صلاة الجمعة يوم الأربعاء عند مسيره إلى صفّين، وفي ضحى الجمعة لا ظهرها!

* جوّز معاوية الجمع بين الأُختين ـ كما نقل السيوطيّ في (الدرّ المنثور ٢: ١٣٧).

* وأحدث في الدِّيات وقصّرها إلى النصف ـ كما أرّخ لذلك ابن كثير في (البداية والنهاية ٨: ١٣٩).

* وشهد أبو هريرة أنّ معاوية أوّل من ترك التكبير المسنون في الصلوات ـ أخرجه الطبرانيّ وغيره كثيرون.

* وأخرج النسائيّ في (سننه ٥: ٢٥٣)، والبيهقيّ في (السنن الكبرى ٥: ١١٣) من طريق سعيد بن جبير، قال: كان ابن عبّاس بعَرَفة فقال: يا سعيد، ما لي لا أرى الناس يلبّون؟! فقلت: يخافون معاوية! فخرج ابن عبّاس من فِسطاسه فقال: لبّيكَ اللّهمّ لبّيك، وإن رَغِم أنفُ معاوية، اللّهمّ العنْهم فقد تركوا السُّنّة مِن بغض عليّ[1].

* ورأى المقدام بن مَعْدِيكَرِب في بيت معاوية يُلبَس الذهب وجلود السباع والحرير[2].

* وقد جعل معاوية الخلافة وراثيّة، فعيّن مِن بعده يزيد.. وما

---

(١) البداية والنهاية ٨: ١٣٠.

(٢) يراجع مسند أحمد بن حنبل ٤: ١٣٠، وقد أخرج في ذلك خبراً عن أبي داود.

أدراك ما يزيد؟! سنفرغ له بعد صفحات. وكانت تلك بدعةً سيّئة[١].

* أمّا السيوطيّ الشافعيّ، ففي (تاريخ الخلفاء) وغيره يصدّر معاوية في الأوائل، طبعاً في المفاسد والانحرافات والتحريفات، لا في الصالحات والمَكْرُمات.. فيقول ـ ويوافقه علىٰ ذلك جملة علماء السنّة في جملةٍ من مؤلّفاتهم ـ:

١ ـ هو أوّل مَن بدأ بالملوكيّة في الإسلام!

٢ ـ هو أوّل مَن خطب الناس قاعداً ـ يوم الجمعة ـ وذلك حين كثُر شحمُه، وعظم بطنُه!

٣ ـ هو أوّل مَن أحدث الخطبة قبل صلاة العيد!

٤ ـ هو أوّل مَن أحدث الأذان في صلاة العيد!

٥ ـ أوّل مَن نقّص التكبير!

٦ ـ أوّل مَن اتّخذ المَخْصِيّين لخاصّ خدمته!

٧ ـ أوّل مَن استخلف في البيعة.

٨ ـ أوّل مَن اتّخذ المقصورة بالجامع.

٩ ـ أوّل مَن أذّن في تجريد الكعبة. (تاريخ الخلفاء)

ـ وأضاف غيره أنّ معاوية:

١٠ ـ أوّل حاكم في الإسلام شرب الخمر علانية! (مسند أحمد ابن حنبل ٥: ٣٤٧)

---

(١) ينظر: الاستيعاب ١: ١٤٢، والبداية والنهاية ٨: ٧٩.

١١ ـ أوّل حاكم كان يأكل الربا! (الموطّأ لمالك بن أنس ٢: ٥٩، سنن النسائيّ ٧: ٢٧٩، وسنن الكبرى للبيهقيّ ٥: ٢٨٠)

١٢ ـ أوّل مَن استخلف الولد الحرام [زياد بن أبيه] إلىٰ غير صاحب الفراش! (الكامل لابن الأثير ٣: ٤٤١، الفخري ١٠٩، مروج الذهب ٣: ٧، تاريخ الطبريّ ٥: ٢١٤ ـ ٢١٥، وغيرها)

١٣ ـ أوّل مَن صلّى الجمعة يومَ الأربعاء! (مروج الذهب ٣: ٣١)

١٤ ـ أوّل مَن قضىٰ في المنازعة بما هو خلاف الحقّ! (وقد ذكر مِن ذلك المسعوديّ في مروج الذهب ٣: ٣١ قضيّةً مثالاً علىٰ ذلك)

١٥ ـ أوّل مَن ترك التلبيةَ بعرفة في الحجّ! (يراجع: سنن النسائيّ ٥: ٢٥٣، والسنن الكبرىٰ للبيهقيّ ٥: ١١٣)

١٦ ـ أوّل مَن أعطى الجائزة علىٰ جعل الحديث الكاذب عن رسول الله ﷺ! (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٤: ٧٣)

١٧ ـ أوّل مَن رضيَ بأن يُسلّم عليه الناس بقولهم: السلامُ عليك يا رسول الله! (تاريخ الطبري ٥: ٣٣١)

١٨ ـ أوّل مَن أظهر العداوة والبغضاء لوصيّ رسول الله ﷺ أميرالمؤمنين عليٍّ عليه السلام، الذي قال فيه النبيّ ﷺ: «لا يُحبُّه إلّا مؤمن، ولا يبغضه إلّا منافق»! (صحيح مسلم ١: ٨٦، كنز العمّال ١٤: ٨١/ خ٣٧٩٩٦)

١٩ ـ أوّل مَن سفك دماء الصحبة الأبرار، والتابعين الأخيار: عمّار

ابن ياسر، هاشم المِرْقال، حُذَيفة بن اليمان، خُزَيمة بن ثابت ذي الشهادتين، حُجْر بن عَدِيّ، عَمْرو بن الحَمِق، أُوَيس القَرنيّ، مالك الأشتر، محمّد بن أبي بكر،.. وغيرهم من عباد الله الصالحين! (تذكرة خواصّ الأُمّة ٨٨، مروج الذهب ٢: ٣٩٤)

٢٠ ـ أوّل مَن خرج على الإمام العادل في حروبٍ داميةٍ قتل فيها أكثر من مئة ألف مسلم! (مروج الذهب ٢: ٣٩٣)

٢١ ـ أوّل مَن سبّ أمير المؤمنين عليّاً عليه السلام على المنبر، وسنّ بذلك سُنّةً كافرةً أمر بها الناس مِن أوّل حُكمه سنة ٤١ هجريّة إلىٰ سنة ٩٩ هجريّة! (العقد الفريد ٢: ٣٠١، شرح نهج البلاغة ٤: ٥٦ ـ ٥٧). وقد روى الحاكم النيسابوريّ الشافعيّ في (المستدرك على الصحيحين ٣: ١٢١)، والمتّقي الهنديّ في (كنز العمّال ١١: ٥٧٣/ خ٣٢٧١٣)، والمحبّ الطبريّ في (ذخائر العقبىٰ ٦٦) أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «مَن سبّ عليّاً فقد سبّني، ومَن سبّني فقد سَبَّ اللهَ عزّ وجلّ!!»، وفي روايةٍ أُخرىٰ أكمل: «ومَن سبّ اللهَ عزّ وجلّ أكبّه اللهُ علىٰ مَنخِره، ثمّ تولّىٰ عنه!» (يراجع: الرياض النضرة ٢: ١٦٦، نور الأبصار للشبلنجيّ الشافعيّ ٩٩. وقد خرّج الحديث أبو عبدالله المُلّا).

٢٢ ـ ومعاوية أوّل مَن دسّ السمَّ لقتل الإمام المعصوم ابن رسول الله وريحانته، الحسن المجتبىٰ سيّد شباب أهل الجنّة صلوات الله

عليه! (مقاتل الطالبيّين لأبي الفرج الأصفهانيّ ٢٩، شرح نهج البلاغة ٤: ٤ و١١ و١٧، الاستيعاب ١: ١٤١، تذكرة خواصّ الأُمّة ٢٢٢، تاريخ مدينة دمشق ٤: ٢٢٩، تاريخ أبي الفداء ١: ١٨٣ ـ ط قسطنطينية باستنبول).

٢٣ ـ وهو أوّل مَن جعل ابنه الفاسق السكّير خليفته، ناقضاً العهد الذي أبرمه في الصلح مع الإمام الحسن بن عليّ عليه السلام! قال أبو إسحاق السَّبيعيّ: إنّ معاوية قال في خطبته بالنُّخَيلة: ألا إنّ كلَّ شيءٍ أعطيتُه الحسنَ بن عليّ تحت قَدَمَيَّ هاتين، لا أَفي به. ثمّ قال أبو إسحاق: وكان معاويةُ ـ واللهِ ـ غدّاراً! (شرح نهج البلاغة ٤: ١٦)

* وقال الحسن البصريّ: أربع خصالٍ كُنّ في معاوية، لو لم يكن فيه منهنّ إلّا واحدةٌ لكانت مُوبقة: انتزاؤه على هذه الأُمّة بالسفهاء حتّى ابتزّها أمرَها بغير مَشورةٍ منهم وفيهم بقايا الصحابة وذَوو الفضيلة، واستخلافُه يزيدَ سِكّيراً خِمّيراً يلبس الحرير ويضرب بالطنابير، وادّعاؤه زياداً وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «الوَلَدُ للفراش، وللعاهر الحَجَر»، وقتلُه حُجْراً، ويلاً له مِن حُجْر وأصحابِ حُجْر! قالها مرّتين. (البداية والنهاية لابن كثير ٨: ١٣٠، محاضرات الأُدباء للراغب الأصبهانيّ ٢: ٢١٤)

* وقد عقد الشيخ الأمينيّ رحمه الله فصولاً في كتابه (الغدير) ـ لاسيّما في الجزء العاشر منه ـ لبيان ذلك، ونحن إذ نحيل القارئ الكريم إليه لا يفوتنا أن ننقل عن الأمينيّ هذه اللّوعة:

انظرْ إلى مبلغ هؤلاء الرجال أبناء بيت أُميّة من الدين، ولَعِبِهم بطقوس الإسلام، وجرأتهم على الله وتغيير سنّته!!..[١]

وفي نفسه.. كيف كان معاوية؟ لنسمع أجوبة هذا السؤال من ألسنةِ أقلامِ أئمّة الحديث وأصحاب السِّيَر:

* في مسنده.. كتب أحمد بن حنبل: من طريق عبد الله بن بُريدة، قال: دخلت أنا وأبي على معاوية فأجلسَنا على الفرش، ثمّ أُتينا بطعام فأكلنا، ثمّ أُتينا بالشراب فشرب معاوية ثمّ ناول أبي، ثمّ قال أبي: ما شربتُه منذ حرّمه رسول الله ﷺ[٢].

* وفي تاريخه.. قال ابن عساكر: وفد عبد الله بن الحارث بن أُميّة بن عبد شمس على معاوية فقرّبه حتّى مسّت ركبتاه رأسَه، ثمّ قال له معاوية: ما بقيَ منك؟[٣] قال: ذهبَ ـ واللهِ ـ خيري وشرّي.

فقال له معاوية: ذهب ـ واللهِ ـ خيرٌ قليل، وبَقيَ شرّ كثير، فما لنا عندك؟ قال: إنْ أحسنتَ لم أحمدْك، وإن أسأتَ لُمْتُك. قال معاوية: واللهِ ما أنصفتَني. قال: ومتى أُنصفك؟ فواللهِ لقد شججتُ أخاك حنظلة فما أعطيتُك عقلاً ولا قوداً، وأنا الذي أقول:

أصَخْرَ بن حربٍ لا نُعدّك سيّداً   فسُدْ غيرَنا إذ كنتَ لستَ بسيّدِ

---

(١) الغدير ١٠: ١٩١.

(٢) مسند ابن حنبل ٥: ٣٤٧.

(٣) وكان عبد الله شيخاً كبيراً.

وأنت الذي تقول:

شربتُ الخمرَ حتّى صرتُ كَلّاً على الأدنى وما ليَ مِن صديقِ

وحتّى ما أُوَسَّدُ مِن وسادٍ إذا أنسوا سوى التُّرب السحيقِ

ثمّ وثب على معاوية يخبطه بيده، ومعاويةُ ينحاز ويضحك[1].

* وفي الإصابة.. ذكر ابن حجر سنداً ينتهي إلى محمّد بن كعب القَرَظيّ أنّه قال: غزا عبد الرحمان بن سهل الأنصاريّ في زمن عثمان، ومعاويةُ أميرٌ على الشام، فمرّت به روايا خمرٍ لمعاوية، فقام عبد الرحمان إليها برمحه فبقر كلَّ راوية منها فناوشه الغلمان، حتّى بلغ شأنُه معاوية فقال: دَعُوه؛ فإنّه شيخٌ قد ذهب عقله. فقال عبد الرحمان: كلّا واللهِ ما ذهب عقلي، ولكنّ رسولَ الله ﷺ نَهانا أن نُدخل في بطونِنا وأسْقِيتِنا خمراً، أحلفُ باللهِ لئن بقيتُ حتّى أرى في معاوية ما سمعتُ من رسول الله ﷺ لأبقرَنّ بطنه.. أو لأموتنّ دونَه![2]

ولا ندري ماذا كان قد سمع عبد الرحمان بن سهل الأنصاريّ من

---

(١) تاريخ دمشق ٧: ٣٤٦. وروى الخبر كذلك ابن حجر في الإصابة ٢: ٢٩١، قال: روى الكوكبيّ من طريق عبسة بن عمرو وقال: وفد عبد الله بن الحارث..

(٢) الإصابة ٢: ٤٠١، ولخّصه ابن حجر في تهذيب التهذيب ٦: ١٩٢، وأخرجه ملخّصاً أبو عمر النمريّ القرطبيّ المالكيّ في الاستيعاب المطبوع في هامش الإصابة، وذكره ابن الأثير في أُسد الغابة ٣: ٢٩٩، وأخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق.

رسول الله ﷺ.. أأمْرَه: إذا رأيتُم معاوية على منبري فاقتلوه؟ أم غيرَ ذلك؟! كقوله ﷺ: الخلافة محرّمة على آل أبي سفيان، فإذا رأيتم معاوية على منبري فابقروا بطْنَه!(١)

وماذا نعدّد بعدُ من مفاسد معاوية؟! وهو الذي أكل الربا ـ كما شهد عليه عُبادة بن الصامت، وثبّت ذلك مالك في الموطّأ ٢: ٥٩، والنسائيّ في سننه ٧: ٢٧٩، والبيهقيّ في السنن الكبرى ٥: ٢٨٠، ومسلم في صحيحه ٥: ٤٣، والقرطبيّ في تفسيره ٣: ٣٤٩، وأحمد في مسنده ٥: ٣١٩، وابن عساكر في تاريخه ٧: ٢٠٦، والمتّقي الهنديّ في كنز عمّاله ١٣: ٥٥٤/ خ٣٧٤٤٢.. وغيرهم كثير.

ثمّ ماذا ننكر عليه.. أحروبه؟! وقد سفك فيها دماء عشرات الآلاف من المسلمين، في صفّين وغيرها على يد سراياه وقادته أمثال: بِسْر بن أرطاة الذي قتل بعد التحكيم ثلاثين ألفَ مسلم في اليمن وغيرها من البلاد، عدا مَن أحرق بالنار.. وسَمُرة بن جُنْدب الذي قتل ثمانية آلاف من أهل البصرة.. وزياد اللّقيط ابن أبيه المجهول الذي قطع الأيدي والأرجل، وسَمَل العيون(٢).

وكانت لمعاوية غارات، وكذلك غدرات!! فقتل بيده وبيد

---

(١) مقتل الحسين عليه السلام، للخوارزميّ ١: ١٨٥، والملهوف على قتلى الطفوف، للسيّد ابن طاووس: ٢٠.

(٢) يراجع: تاريخ الطبري ٦: ٣٦ و٤: ١٠٦ ـ ١٠٧، وشرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ٢: ٦، ١٧.

جلاوزته خيرةَ الصحابة والتابعين، أمثال: عمّار بن ياسر وسعيد بن جُبَير وعمرو بن الحَمِق الخُزاعيّ وحُجْر بن عَدِيّ ومالك الأشتر ومحمّد بن أبي بكر[١].. وسيّدهم الإمام الحسن المجتبى عليه السلام. وكان معاوية في كلِّ مرّة ينتشي ولا يُخفي سرورَه ثمّ يقول: «إنّ لله جنوداً من عسل!»[٢]، يقصد أنّه دسّ سمّه في عسلٍ وسقاه عن طريق غَدَرته إلى أولياء الله والمؤمنين، وكانت «جعدة» إحدى الخائنات في التاريخ، أغراها معاوية بأنْ يزوّجها من ابنه يزيد ويهبها أموالاً كثيرة، فلمّا قتلت سيّدَنا الإمام الحسن عليه السلام تبرّم من عهده، كما تبرّم مِن ميثاق الصلح وشروطه وقد عقده مع الإمام الحسن عليه السلام حين خطب في الكوفة فقال: ألا إنّ كلَّ مالٍ أو دمٍ أُصيب في هذه الفتنة فمطلول، وكلّ شرط شرطتُه فتَحْتَ قدَميَّ هاتين![٣]

وأين نحن من ظلمه وإرهابه وقد طبّقا آفاق حياة المسلمين؟! ونال ذلك الظلم خيرةَ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، ومنهم أبو ذرّ الغِفاريّ الذي وشى به معاوية عند عثمان بن عفّان فنفاه إلى الربَذَة، عاش فيها أيّاماً حتّى تُوفّي فيها غريباً.. لماذا؟!

* روى البلاذريّ: لمّا أعطى عثمانُ مروانَ بن الحكم ـ وهو

(١) يراجع: الغدير ١١: ١٦ ـ ٧٠.

(٢) عيون الأخبار، لابن قتيبة ١: ٢٠١.

(٣) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ١٦: ١٥.

طريد رسول الله ﷺ ـ ما أعطاه، وأعطى الحارثَ بن الحكم بن أبي العاص ثلاثمائة ألف درهم، وأعطى زيد بن ثابت الأنصاريّ مائة ألف درهم.. جعل أبو ذرّ يقول: بَشّرِ الكانزين بعذابٍ أليم! ويتلو قول الله عزّ وجلّ: ﴿**وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ**﴾[1]، فرفع ذلك مروانُ بن الحكم إلى عثمان، فأرسل إلى أبي ذرّ (ناتلاً) مولاه أن انتهِ عمّا يبلُغني عنك، فقال: أيَنْهاني عثمانُ عن قراءة كتاب الله، وعيبِ مَن ترك أمرَ الله؟! فواللهِ لئن أُرضيَ اللهَ بسخط عثمان أحبُّ إليّ وخيرٌ لي مِن أن أُسخط اللهَ برضاه. فأَغضَب عثمانَ ذلك وأحفظه، فتصابر وكفّ.

وقال عثمانُ يوماً: أيجوز للإمام أنْ يأخذ من المال، فإذا أيسر قضى؟ فقال كعب الأحبار: لا بأس بذلك. فقال أبو ذرّ: يابن اليهوديَّين! أتعلّمُنا دينَنا؟! فقال عثمان: ما أكثرَ أذاك لي وأولعك بأصحابي! إلحقْ بمكتبك. وكان مكتبه بالشام إلّا أنّه كان يَقْدم حاجّاً ويسأل عثمانَ الإذنَ له في مجاورة قبر رسول الله ﷺ فيأذن له في ذلك. وإنّما صار مكتبه بالشام لأنّه قال لعثمان حين رأى البناءَ قد بلغ سلعاً: إنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: إذا بلغ البناءُ سلْعاً فالهرب.. فأذنْ لي آتي الشامَ فأغزو هناك. فأذن له.

وكان أبو ذرّ يُنكر على معاوية أشياءَ يفعلها، وبعث إليه معاوية

(١) سورة التوبة: ٣٤.

بثلاثمائة دينار، فقال أبو ذرّ: إن كانت من عطائيَ الذي حَرَمْتُمونيهِ عامي هذا قَبِلتُها، وإنْ كانت صلةً فلا حاجة لي فيها!

وبنى معاويةُ (قصر الخضراء) بدمشق، فقال له أبو ذرّ: يا معاوية! إن كانت هذه الدار مِن مال الله، فهي الخيانة.. وإن كانت من مالك، فهذا الإسراف! فسكت معاوية.

وكان أبو ذرّ يقول: واللهِ لقد حدثتْ أعمال ما أعرفها، واللهِ ما هي في كتابِ اللهِ ولا سُنّةِ نبيّه، واللهِ إنّي لأرى حقّاً يُطفأ، وباطلاً يُحيى، وصادقاً يُكذَّب، وأثَرَةً بغير تُقى، وصالحاً مستأثَراً عليه. فقال حبيب ابن مسلمة لمعاوية: إنّ أبا ذرّ مُفسدٌ عليك الشام، فتداركْ أهله إن كانت لكم به حاجة. فكتب معاوية إلى عثمان فيه، فكتب عثمان إلى معاوية: أمّا بعد، فاحمل جُنْدباً ـ أي أبا ذرّ ـ إليّ على أغلظِ مركبٍ وأوعره. فوجّه معاوية مَن سار به اللّيلَ والنهار، فلمّا قَدِم أبو ذرّ المدينة جعل يقول: تَستعمل الصبيانَ وتحمي الحمى، وتقرّب أولاد الطلقاء!

فبعث إليه عثمان: إلحقْ بأيّ أرض شئت. فقال: بمكّة. قال: لا. قال: فبيت المَقْدس. قال: لا. قال: فبأحدِ المصرَين[1]. قال: لا، ولكنّي مُسيِّرُك إلى الرَّبَذة.

فسيّره إليها.. فلم يزل بها حتّى مات[2].

---

(١) أي: إمّا مصر أو البصرة.

(٢) عن الغدير ٨: ٢٩٢.

وقد ذكر القصّة بأنحاء مختلفة: الواقديّ في مغازيه، والمسعوديّ في مروجه، والبخاريّ في صحيحه، وابن حجر في (فتح الباري).. وغيرهم.

وفصّل فيها ابن أبي الحديد، حتّى ذكر أنّ أبا ذرّ لمّا نُفيَ إلى الربذة ودّعه أميرُ المؤمنين عليّ عليه السلام فقال له: يا أبا ذرّ، إنّك غضبتَ لله.. إنّ القومَ خافوك على دنياهم، وخِفتَهم على دينك، فامتحنوك بالقِلى، ونَفَوك إلى الفَلا، واللهِ لو كانت السماواتُ والأرض على عبد رَتْقاً ثمّ اتّقى اللهَ لجعل له منها مخرجاً. يا أبا ذرّ، لا يؤنسنّكَ إلّا الحقّ، ولا يوحشنّك إلّا الباطل.

ثمّ قال لأصحابه: ودِّعوا عمَّكم، وقال لعقيل: ودّع أخاك. فتكلّم عقيل وقال: ما عسى ما نقول يا أبا ذرّ؟! وأنت تعلم أنّا نحبّك وأنت تحبّنا، فاتّقِ الله فإنّ التقوى نجاة، واصبر فإنّ الصبر كرم، واعلم أنّ استثقالك الصبرَ مِن الجزع، واستبطاءَك العافية مِن اليأس، فدَعِ اليأسَ والجزع.

ثمّ تكلّم الحسن عليه السلام فقال: يا عمّاه، لو لا أنّه لا ينبغي للمودِّع أن يسكت، وللمشيّع أن ينصرف.. لقَصُر الكلام وإن طال الأسف. وقد أتى من القوم إليك ما ترى، فضَعْ عنك الدنيا بتذكّر فراغها، وشدّة ما اشتدّ منها برجاءِ ما بَعدها، واصبر حتّى تلقى نبيَّك صلى الله عليه وآله وهو عنك راضٍ.

ثمّ تكلّم الحسين عليه السلام فقال: يا عمّاه، إنّ الله تعالى قادر أن يغيّر ما قد ترى، اللهُ كلَّ يوم هو في شأن، وقد منعك القومُ دنياهم ومنعتَهم دينَك، فما أغناكَ عمّا منعوك، وأحوجَهم إلى ما منعتَهم! فاسألِ اللهَ الصبر والنصر، واستعِذْ به من الجشع والجزع؛ فإنّ الصبر من الدِّين والكرم، وإنّ الجشع لا يُقدِّم رزقاً، والجزع لا يؤخّر أجَلاً.

ثمّ تكلّم عمّار مغضباً فقال: لا آنسَ اللهُ مَن أوحشك، ولا آمَنَ مَن أخافك. أمَا والله.. لو أردتَ دنياهم لأمَّنُوك، ولو رضِيتَ أعمالَهم لَأحبّوك، وما منعَ الناسَ أن يقولوا بقولك إلّا الرضى بالدنيا والجزعُ من الموت، مالوا إلى ما سلطانُ جماعتهم عليه. والمُلْك لمَن غلب، فوهبوا لهم دينهم، ومنحهمُ القومُ دنياهم، فخَسِروا الدنيا والآخرة، ألا ذلك هو الخسران المبين.

فبكى أبو ذرّ رضي الله عنه ـ وكان شيخاً كبيراً ـ وقال: رحِمَكُم اللهُ يا أهلَ بيت الرحمة.. إذا رأيتُكم ذكرتُ بكم رسولَ الله صلى الله عليه وآله.. ما لي بالمدينة سكَنٌ ولا شجنٌ غيركم. إنّي ثقلتُ على عثمان بالحجاز كما ثقلتُ على معاوية بالشام، وكَرِه أن أُجاورَ أخاه وابن خالهِ بالمصرَين[1] فأُفسدَ الناسَ عليهما، فسَيَّرني إلى بلدٍ ليس لي به ناصرٌ ولا دافعٌ إلّا

(١) كان على مصر عبد الله بن سعد بن أبي سرح أخو عثمان من الرضاعة، وعلى البصرة عبد الله بن عامر ابن خال عثمان.

الله، واللهِ ما أُريد إلّا اللهَ صاحباً، وما أخشى مع الله وحشة[١].

هذا أثر من آثار معاوية ومعاويةُ والٍ على الشام بتثبيتٍ من عثمان.. فإذا قُتل عثمان أشاع معاوية الإرهاب، وشدّد على محبّي أمير المؤمنين عليه السلام حتّى كتب إلى أحد قادة جيوشه: فاقتلْ كلَّ مَن لَقِيتَه ممّن ليس هو على مِثْل رأيك، واضربْ كلَّ ما مررتَ به من القرى، وأحرِبِ الأموال؛ فإنّ حربَ الأموال شبيهٌ بالقتل، وهو أوجع للقلب[٢].

وكتب إلى ولاته في جميع الأمصار: انظروا مَن قامت عليه البيّنةُ أنّه يحبّ عليّاً وأهلَ بيته فامحُوه من الديوان، وأسقطوا عطاءَه ورزقَه[٣].

وفي كتاب آخر جاء فيه: مَن اتّهمتُموه بموالاة هؤلاءِ القوم فنكِّلوا به واهدموا دارَه[٤].

والآن.. دَعُونا ننظر إلى الصورة التي يصوّرها لنا الإمام الباقر عليه السلام؛ ليعكس لنا حال الأمّة في عهد معاوية:

.. فقُتِلتْ شيعتُنا بكلّ بلدة، وقُطعت الأيدي والأرجل على الظِّنّة، وكلُّ مَن يُذكرَ بحبّنا والانقطاع إلينا سُجن، أو نُهب ماله، أو هُدِمت

(١) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ٨: ٢٥٢ ـ ٢٥٤.
(٢) شرح نهج البلاغة ٢: ٨٦.
(٣) شرح نهج البلاغة ١١: ٤٥.
(٤) شرح نهج البلاغة ١١: ٤٥.

داره. ثمّ لم يزل البلاء يشتدّ ويزداد إلى زمان عبيد الله بن زياد قاتلِ الحسين عليه السلام[1].

وسُرقت الأموال ووُزّعت على أنصار معاوية، واشتُريت بها الضمائر الرخيصة والنفوس الضعيفة والأهواء المبتذلة، وحُورب الدين في شريعته وأنصاره حرباً شعواء.

وهل انتهى الأمر إلى هذا الحدّ؟ لا والله!

فقد سنّ معاوية سبَّ أمير المؤمنين عليّ عليه أفضل الصلاة والسلام على المنابر جهاراً نهاراً في صلوات الجمعة، حتّى استمرّ ذلك ثمانين سنةً تقريباً في مدن البلاد الإسلاميّة ـ كما يذكر السيوطيّ في (تاريخ الخلفاء) ـ مبيّناً: وكان في الدولة الإسلاميّة سبعون ألفَ مِنبرٍ يُشتَم عليها عليُّ بن أبي طالب عليه السلام!

وكم يعترض البعض على انتقاد صحابيّ في مسألة خلافيّة، فيُحتجّ للصحابيّ بألف حُجّةٍ وحجّة، وتُقام له الدنيا ولا تُقعد، لأنّ الصحابة كالنجوم، كلّهم قدوة وأسوة! ولكنّ الإمامَ عليّاً عليه السلام يُسبّ ثمانين عاماً ثمّ يُسدل على ذلك ستارٌ أسود، وتُطوى سجلّاتُ هذه الجريمة العظمى والكارثة الكبرى، ويُقال بعد اسم معاوية: رضي الله عنه وأرضاه! ألم يكن الإمام عليّ عليه السلام من الصحابة؟! ألم يكن خليفة المسلمين؟! ألم يُسَلَّم عليه يوم الغدير بإمرة المؤمنين؟!

---

(١) شرح نهج البلاغة ١١: ٤٣.

فكيف سُكت ويُسكت على لعنه ثمانين سنة، وعلى أكثر من سبعين ألف منبر في حواضر البلاد الإسلاميّة ؟![1]

إنّها الخيانة المتوارَثة، والتسالم على بُغض النبيّ وأهل بيته ﷺ، وقد رُوي من طريق السنّة ـ فضلاً عن الشيعة ـ .. أنّ الرسول الأعظم ﷺ قد قال: «يا عليّ، مَن قَتَلك فقد قتلني، ومَن أبغَضَك فقد أبغضني، ومَن سبَّك فقد سبّني؛ لأنّك منّي كنفسي.. روحُك من روحي، وطينتُك من طينتي. وإنّ الله تبارك وتعالى خلقني وخلقك مِن نوره، واصطفاني واصطفاك.. فاختارني للنبوّة، واختارك للإمامة، فمَن أنكر إمامتَك فقد أنكر نبوّتي..»[2].

ومعاوية قد اتّخذ سبَّ الإمام عليّ عليه السلام سُنّةً على منابر الجمعة والعيدَين. وربَّ متسائل مستغرب: أين مصادر هذه الجناية؟ فربّما لصقها أعداء معاوية بمعاوية؟!

نعم.. (ربّما)، إذا كان الأمر يتعلّق بكرامة معاوية! ولكن دَعُونا نقلّب هذه الصفحات: ص ١٢٠ من الجزء ٧ من صحيح مسلم، وص ١٧١ من الجزء ١٣ من صحيح الترمذيّ، وص ١٠٩ من الجزء ٣ من مستدرك الصحيحين للحاكم، وص ٦١ من الجزء الأوّل من

---

(١) كما ذكر ذلك الزمخشريّ مفصّلاً في (ربيع الأبرار).

(٢) ينابيع المودّة لذوي القربى، للشيخ سليمان القندوزيّ الحنفيّ ١: ١٦٧/ ح ٥ ـ الباب ٧، وأمالي الصدوق: ٨٤/ ح ٤ ـ المجلس ٢٠.

مروج الذهب للمسعوديّ، وص١٢ من تذكرة خواصّ الأُمّة لسبط ابن الجوزيّ.

فلو كان معاوية بريئاً من هذه الجناية فلماذا لم يَنْهَ عنها؟ بل لماذا أمرَ عقيلاً أنْ يلعن عليّاً، فلعنَ عقيلٌ معاويةَ ـ كما جاء في: العقد الفريد لابن عبد ربّه ٢: ١٤٤. والمستطرف للأبشيهيّ ١: ٥٤؟! ولماذا دعا معاويةُ عبيدَ الله بن عمر ـ لمّا قَدِم إلى الشام ـ أن يشتم عليّاً فتحرّج ـ كما بيّن ذلك: نصرُ بن مزاحم في كتاب صفّين ١: ٩٢، وابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ١: ٢٥٦؟! ولماذا اعترض أنس على سبّ عليّ صلوات الله عليه ـ كما بيّن شهر بن حوشب وذكره ابن الأثير في أُسد الغابة ١: ١٣٤؟! ولماذا نصح الأحنفُ بن قيس معاويةَ أنْ يترك لعن عليٍّ بعد شهادته عليه السلام، فأصرّ معاويةُ على أن يقوم الأحنف هو نفسه فيلعن ـ كما جاء في: العقد الفريد ٢: ١٤٤، والمستطرف ١: ٥٤؟! ولماذا اشترط الإمام الحسن عليه السلام في وثيقة الصلح مع معاوية ألّا يشتم عليّاً، فلم يُجِب معاوية إلى الكفّ عن شتم عليّ، فطلب الحسن ألّا يُشتَمَ عليٌّ وهو يسمع، فأجابه معاوية إلى ذلك ثمّ لم يفِ به! ـ كما ورد في: تاريخ الطبريّ ٦: ٩٢، والكامل في التاريخ لابن الأثير ٣: ١٧٥، وتاريخ ابن كثير (البداية والنهاية) ٨: ١٤، وتذكرة خواصّ الأُمّة: ١١٣، والإتحاف بحبّ الأشراف للشبراويّ: ٣٦؟!

وماذا يقول المتسائل إذا أخبره الطبريّ في تاريخه ٦: ٩٦، وابن الأثير في كامله ٣: ١٧٩، وأحمد بن حنبل في مسنده ١: ١٨٨، والحاكم في مستدركه ١: ٣٨٥، وابن أبي الحديد في شرحه ١: ٣٦٠، والسيوطيّ في تاريخ الخلفاء: ١٢٧، وابن حجر في الصواعق المحرقة: ٣٣.. وغيرُهم أنّ عمّال معاوية، ومنهم: بِسْر بن أرطاة في البصرة، وكُثير بن شهاب في الريّ، والمُغيرة بن شعبة في الكوفة، ومروان بن الحكم في المدينة.. وغيرُهم، أنّهم كانوا يشتمون عليّاً على منابر الجمعات والأعياد؟!

ولماذا لمّا قُتل الإمام الحسن عليه السلام حجّ معاوية فدخل المدينة وأراد أن يلعن الإمامَ عليّاً عليه السلام على منبر رسول الله صلى الله عليه وآله فقيل له: إنّ سعداً لا يرضى، فأمسك، ثمّ لمّا مات سعد لعن الإمامَ عليّاً عليه السلام على المنبر وكتب إلى عمّاله أن يلعنوه على المنابر، ففعلوا.. فكتبت أُمّ المؤمنين أُمّ سلمة زوجة النبيّ صلى الله عليه وآله إلى معاوية: إنّكم تلعنونَ اللهَ ورسولَه على منابركم!! وذلك أنّكم تلعنون عليَّ بن أبي طالب ومَن أحبَّه، وأنا أشهد أنّ اللهَ أحبّه ورسوله. فلم يلتفت معاوية إلى كلامها![1]

ودارت الأيّام والسنوات، فعاد التاريخ لا يلعن إلّا الطغاة ومنهم معاوية.. روى ابن أبي الحديد من (تاريخ الطبريّ) أنّ المعتضد منَعَ القُصّاصَ عن القعود على الطرقات واجتماع الناس عليهم، وتقدّم

---

(١) يراجع تفصيل ذلك في: العقد الفريد ٢: ٣٠١.

إلى الشُّرّاب الذين يسقون الماء من الجامعَين ألّا يترحّموا علىٰ معاوية ولا يذكروه، وكانت عادتهم جاريةً بالترحّم. وعزم علىٰ لعن معاوية على المنابر، وأمر بإنشاء كتابٍ يُقرأ على الناس بعد صلاة الجمعة على المنبر... وكان مِن جملة الكتاب: أمّا بعد، فقد انتهىٰ إلىٰ أميرالمؤمنين ما عليه جماعة العامّة مِن شُبْهةٍ قد دخَلَتهم في أديانهم...[1]

وفي الكتاب نصوصٌ تاريخيّة مهمّة، عرّفت بضلال العامّة، وتوهّمها في شأن بني أُميّة عامّة، وفي أمر أبي سفيان ومعاوية ويزيد خاصّة.. فورد فيه: وفساد قد لَحِقَهم (أي العامّة) في معتقدهم، وعصبيّةٍ قد غَلَبت عليها أهواؤهم ونطقت بها ألسنتُهم، علىٰ غبر معرفةٍ ولا رَويّة، قد قلّدوا فيها قادة الضلالة بلا بيّنةٍ ولا بصيرة.. خروجاً عن الجماعة، ومسارعةً إلى الفتنة، وإيثاراً للفُرقة، وتشتيتاً للكلمة، وإظهاراً لِمُوالاة مَن قطَعَ اللهُ عنه المُوالاة، وبَتَر منه العصمة، وأخرجه من الملّة، وأوجبَ عليه اللعنة، وتعظيماً لِمَن صغّرالله حقَّه، وأوهن أمرَه، وأضعف ركنَه، مِن بني أُميّةَ الشجرةِ الملعونة،

---

(١) شرح نهج البلاغة ١٥: ١٧١ ـ عن: تاريخ الطبريّ ٨: ١٨٢ ـ في حوادث سنة ٢٨٤ هـ، أو ج ١٠: ص ٥٥ ط الحديثة ببيروت. وبما أنّ الكتاب كان في قَدْح معاوية خاصّة وبني أُميّة عامّة، لذا لم يَسُقه ابن كثير حرفياً، بل اكتفىٰ بالإشارة إليه في حوادث سنة ٢٨٤ هـ من كتابه (البداية والنهاية ٦: ٧٦ ـ ط بيروت). وأورده كاملاً الشيخ المجلسيّ في (بحار الأنوار ٣٣: ٢٠٥ ـ ٢١٣/ ح ٤٩٢).

ومخالفةً لِمَن استنقذهم اللهُ به من الهلكة[١]، وأسبغَ عليهم به النعمة، مِن أهل بيت البركة والرحمة... فجعلهم اللهُ أهلَ بيت الرحمة، أهل بيته الذين أذهب الله عنهم الرجسَ وطهّرهم تطهيراً، معدنَ الحكمة، ووَرَثةَ النبوّة، وموضعَ الخلافة، أوجَبَ اللهُ لهم الفضيلة وألزمَ العبادَ لهم الطاعة...

وكان أشدَّهم في ذلك عداوةً، وأعظمهم له مخالفةً، أوّلُهم في كلّ حربٍ ومناصَبة، ورأسهم في كلّ إجلابٍ وفتنة، لا تُرفَع عن الإسلام راية إلّا كان صاحبُها وقائدها ورئيسها أبا سفيانَ بنَ حرب صاحبَ أُحدٍ والخندق وغيرِهما، وأشياعه مِن بني أُميّة الملعونين في كتاب الله، ثمّ الملعونين علىٰ لسان رسول الله ﷺ في مواطنَ عِدّة؛ لسابق علم الله فيهم، وماضي حُكمه في أمرهم، وكفرِهم ونفاقهم،... ثمّ أنزل الله تعالىٰ كتاباً فيما أنزله علىٰ رسوله يذكر فيه شأنهم، وهو قوله: ﴿وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرآنِ﴾[٢]، ولا خلافَ بين أحدٍ أنّه تبارك وتعالى أراد بها (أي بالشجرة الملعونة) بني أُميّة.

وممّا ورد مِن ذلك في السُّنّة، ورواه ثِقاةُ الأُمّة، قولُ رسول الله ﷺ فيه وقد رآه[٣] مُقْبلاً علىٰ حمار ومعاوية يقوده ويزيد[٤]

(١) يريد به أميرالمؤمنين عليّاً عليه السلام.
(٢) سورة الإسراء: ٦٠.
(٣) أي رأى ﷺ أبا سفيان.
(٤) هو يزيد بن أبي سفيان.

يسوقه: «لَعَنَ اللهُ الراكبَ والقائدَ والسائق!»...

ثمّ يذكر الكتاب جملةً وافرةً من المثالب، وفيها كفريّات أبي سفيان وجاهليّاته، ورؤيا رسول الله ﷺ نفراً من بني أُميّة يَنْزون على منبره نَزْوَ القِردة، وقوله ﷺ في معاوية: «لا أَشبَعَ اللهُ بطنَه!»، فبقيَ لا يشبع وهو يقول: واللهِ ما أترك الطعام شَبعاً، ولكنْ إعياءً!. ومنها قوله ﷺ: «يطلع مِن هذا الفجّ رجلٌ مِن أُمّتي يُحشَر على غير ملّتي»، فطلع معاوية. ومنها قوله ﷺ: «إذا رأيتُم معاوية على مِنبري فاقتلوه»، وقوله ﷺ: «إنّ معاوية في تابوتٍ من نارٍ في أسفل درك من جهنّم ينادي: يا حنّانُ يا منّان! فيُقال له: آلآنَ وقد عَصَيتَ قبلُ وكنتَ مِن المفسدين»! ومنها انتزاؤه بالمحاربة لأفضل المسلمين في الإسلام مكاناً، وأقدمِهم سَبْقاً، وأحسنِهم فيه أثراً وذِكراً، عليَّ بن أبي طالب...

إلى أن جاء في الكتاب: وكان ممّا أوجَبَ اللهُ عليه[1] به اللعنةَ قتلُه مَن قَتلَ صبراً من خيارالصحابة والتابعين، وأهلِ الفضل والدِّين؛ مثل: عَمْرِو بنِ الحَمِق الخُزاعيّ، وحُجْرِ بن عَدِيّ الكِنْديّ،... ثمّ ادّعاؤه زيادَ ابنَ سميّة أخاً، ونِسْبته إلى أبيه، واللهُ تعالى يقول: ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ﴾[2]، ورسوله يقول: «ملعونٌ مَنِ

---

(١) أي على معاوية.

(٢) سورة الأحزاب: ٥.

آدّعىٰ إلىٰ غير أبيه، أو انتمىٰ إلىٰ غير مواليه»، وقال: «الولدُ للفراش، وللعاهرِ الحَجَر»، فخالف حكمَ اللهِ تعالى ورسولهِ جهاراً...

ومن ذلك إيثارُه لخلافة الله علىٰ عباده ابنَه يزيدَ السكّيرَ الخِمِّير، صاحبِ الدِّيكة والفهود والقردة، وأخذُ البيعة له علىٰ خيار المسلمين بالقهر والسطوة والتوعّد والإخافة والتهديد والرهبة، وهو يعلم سَفَهَه، ويطّلع علىٰ رهقه وخبثه، ويعاين سكراته وفعلاته وفجوره وكفره، فلمّا تمكّن[1] ـ قاتَلَه الله ـ فيما تمكّن منه طَلَب بثارات المشركين وطوائِلِهم عند المسلمين، فأوقع بأهل المدينة في وقعة الحَرّةَ الوقعة التي لم يكن في الإسلام أشنعُ منها ولا أفحش، ...

ثمّ مِن أعظم ما انتهك، وأعظم ما اجترم، سَفْكُه دمَ الحسين بن عليّ مع موقعه من رسول الله ﷺ، ومكانه ومنزلته من الدِّين والفضل، والشهادة له ولأخيه بسيادة شباب أهل الجنّة؛ اجتراءً على الله وكفراً بدِينه، وعداوةً لرسوله، ومجاهرةً لعترته، واستهانةً لحرمته...

إلىٰ أن جاء في خاتمة هذا الكتاب التاريخيّ المهمّ: يا أيُّهاالناس، إنّ الله إنّما أمَرَ لِيُطاع، ومثّل ليتمثّل، وحكم ليفعل، قال سبحانه: **﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيراً﴾**[2]، وقال: **﴿أُولٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ**

---

(١) أي يزيد.

(٢) سورة الأحزاب: ٦٤.

﴿وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾(١)، فالْعَنوا ـ أيُّها الناسُ ـ مَن لعَنَه اللهُ ورسولُه، وفارقوا مَن لا تنالون القربةَ مِن الله إلّا بمفارقته.

اللّهمّ العنْ أبا سفيان ابن أُميّة، ومعاويةَ ابنَه، ويزيدَ بن معاوية، ومروانَ بن الحكم ووُلْدَه ووُلْدَ وُلْدِه.

اللّهمّ العنْ أئمّةَ الكفر وقادةَ الضلال، وأعداءَ الدين ومجاهدي الرسول، ومُعطِّلي الأحكام ومُبدّلي الكتاب، ومنتهكي الدمِ الحرام.

اللّهمّ إنّا نبرأ إليك مِن مُوالاةِ أعدائك، ومن الإغماض لأهل معصيتك، كما قلت: **﴿لاَ تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾**(٢).

أيُّها الناس، اعرفوا الحقَّ تعرفوا أهلَه، وتأمّلوا سبلَ الضلالة تعرفوا سابلَها، فَقِفُوا عندَ ما وقَفَكمُ اللهُ عليه ...).

وبعد.. فقد كان في سيرة معاوية نقضُ العهود، ونكث المواثيق، والغدر والخيانة، ولا أدلَّ من تمزيقه معاهدة الصلح مع الإمام الحسن عليه السلام والإخلال بشروطها من أوّل يوم. قال أبو إسحاق السَّبيعيّ: إنّ معاوية قال في خطبته بالنُّخَيلة: ألا إنّ كلّ شيء أعطيتُه الحسنَ بنَ عليٍّ تحت قدمَيَّ هاتين.. لا أفي به(٣). قال أبو إسحاق:

---

(١) سورة البقرة: ١٥٩.

(٢) سورة المجادلة: ٢٢.

(٣) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ٤: ١٦.

وكان معاوية ـ واللهِ ـ غدّاراً[١].

وكيف لا؟ وقد بيّن الإمامُ الحسن عليه السلام في جملةٍ من مثالب معاوية في محضره حتّى قال له:

ومنها: أنّ عمر بن الخطّاب ولّاك الشامَ فخُنتَ به، وولّاك عثمانُ فتربّصتَ به ريبَ المنون. ثمّ أعظمُ من ذلك جُرأتُك على الله ورسوله أنّك قاتلتَ عليّاً عليه السلام وقد عرَفتَه وعَرَفتَ سوابقَه وفضله وعلمَه على أمرٍ هو أَولى به منك ومِن غيرك عند الله وعند الناس، ولاذيتَه بل أوطأتَ الناس عشوة، وأرقتَ دماءَ خَلقٍ مِن خلق الله بخُدعِك وكيدِك وتمويهك، فِعْلَ مَن لا يؤمنُ بالمَعاد، ولا يخشى العقاب، فلمّا بلغ الكتابُ أجَلَه صِرتَ إلى شرِّ مَثْوى، وعليٌّ إلى خير مُنقلَب، واللهُ لك بالمرصاد!!..[٢]

ولم يَسْلم مِن معاوية المسلمون، حتّى مَن كان آمناً في حرم الله (مكّة)، فقد أمر معاوية بالإغارة عليها، وهي البلد الآمن والحرم الآمن ـ كما جاء في كتاب الله تعالى ـ: **﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَهُمْ حَرَماً آمِناً يُجْبىٰ إِلَيْهِ ثَمَراتُ كُلِّ شَيْءٍ..﴾**[٣]، **﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَماً آمِناً..﴾**[٤]، **﴿وَإِذْ**

(١) يراجع: المختصر في أخبار البشر، لإسماعيل بن عليّ بن محمّد المعروف بـ«أبي الفداء».
(٢) الاحتجاج ١: ٢٧٥.
(٣) سورة القصص: ٥٧.
(٤) سورة العنكبوت: ٦٧.

﴿جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْناً..﴾[١]. وقد رَوَوا أنّ رسول الله ﷺ قال: إنّ هذا بلد حرّمَه الله يوم خلقَ السماواتِ والأرض، وهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، وأنّه لم يَحلَّ القتالُ فيه لأحدٍ قبلي..[٢].

وفي المدينة المنوّرة الطيّبة قال المصطفى ﷺ ـ كما رووا ـ: المدينة حرمٌ بين عِير إلى ثور، مَن أحدث فيها حدثاً (أي إثماً أو قتلاً) أو آوى مُحدِثاً فعليه لعنةُ اللهِ والملائكةِ والناسِ أجمعين، لا يُقبل منه صرف ولا عمل. ذمّةُ المسلمين واحدة، فمَن أخفر مسلماً (أي غدر به) فعليه لعنةُ اللهِ والملائكةِ والناسِ أجمعين، لا يُقبل منه صرف ولا عدل[٣].

ولكنّ معاوية ابن هند أمر بالاستحواذ على المدينة المنوّرة، وإخافةِ أهلها والوقيعة فيهم واستقراء مَن يوجد فيها مِن شيعة الإمام عليّ عليه السلام[٤].

ولمّا سيطر معاوية على زمام الأُمور ومقاليد الحكم قيل له: لو سكنتَ المدينة؛ فهي دار الهجرة وبها قبر النبيّ ﷺ. فقال: قد ضللتُ إذاً وما أنا من المهتدين![٥]

---

(١) سورة البقرة: ١٢٥.

(٢) صحيح البخاريّ ٣: ١٦٨، باب لا يحلّ القتال بمكّة. وصحيح مسلم ٤: ١٠٩.

(٣) صحيح البخاريّ ٣: ١٧٩، وصحيح مسلم ٤: ١١٤ ...، ومسند أحمد ١: ٨١و٢: ٤٥٠، والسنن الكبرى للبيهقيّ ٥: ١٩٦، وسنن أبي داود ١: ٣١٨.

(٤) يراجع: الغدير ١١: ٣٤.

(٥) المناقب والمثالب، للقاضي نعمان المصريّ: ٧٠.

ثمّ جاء يزيدُ ابنُه مِن بعدُ فهتكها في واقعة الحرّة ـ كما سيأتي ـ.

ولا بأس هنا أن نُحيل الباحثَ المتوسّع، والراغبَ المتسارع، إلىٰ جملةٍ بحوثٍ علميّة: تاريخيّة، روائيّة، استدلاليّة.. في شأن معاوية ابن أبي سفيان، طُرحت ولم تَلْقَ ردّاً أو جواباً مِن مُنكِر، فضلاً عن مستنكر، كان منها:

* ما جاء في كتاب (النصّ والاجتهاد) للسيّد عبدالحسين شرف الدين الموسويّ: الفصل السادس ـ في بعض ما كان من معاوية؛ من ص٣١٩ ـ ٣٣٤، في عشرة موارد علىٰ نحو هذا التسلسل من موارد الكتاب في قضايا بعض الصحابة:

المورد [٨٨] إلحاقُ معاوية لزياد بأبي سفيان!

المورد [٨٩] عهد معاوية بالخلافة إلى ابنه يزيد!

المورد [٩٠] عبثُه في اليمن!

المورد [٩١] قتلُه للصالحين مِن عباد الله (الحسن الزكيّ، حُجر ابن عَدِيّ، عمرو بن الحَمِق..)!

المورد [٩٢] بوائقُ أعمالِه، وعُمّالِه!

المورد [٩٣] بغضُه عليّاً وعدوانُه إيّاه!

المورد [٩٤] لعنُه في قنوت الصلاة سادةً تَعبَّدَ اللهُ المسلمين بالصلاة عليهم في كلّ الصلوات: فرائضها، ونوافلها! (لعنُه وسبّه لأميرالمؤمنين عليّ عليه السلام، وأمرُه الناسَ بذلك!)

المورد [٩٥] حربُه عليّاً!

المورد [٩٦] وضعُ الحديث في ذمّ أميرالمؤمنين عليه السلام!

المورد [٩٧] نقضُ العهود والمواثيق التي أعطاها لسيّد شباب أهل الجنّة (الحسن المجتبى) يومَ الصلح!

* ما جاء في كتاب (الغدير في الكتاب والسُّنّة والأدب) للشيخ عبدالحسين الأمينيّ في الأجزاء التالية:

ج٢: ص٩٨ ـ ١٠٠، ١٠٣ ـ ١٠٥، ١١٤ ـ ١١٧، ١٣٨، ١٤٠ ـ ١٤٤.

ج٣: ٢٤٩ ـ ٢٦٢.

ج٦: ١٥٧.

ج٨: ٢٩٢ ـ ٣٠٠، ٣٤٩ ـ ٣٥٠.

ج٩: ١٤٩ ـ ١٥٢.

ج١٠ ـ ١٣٨ ـ ٣٨٤.

ج١١: ٣ ـ ١٠٢.

هذا إضافةً إلى موارد جانبيّةٍ أُخرى وردت في ضمن مواضيع أُخرىٰ. ثمّ لا بأس بمراجعة:

ـ النصائح الكافية لمن يتولّىٰ معاوية، للسيّد محمّد بن عقيل العلويّ (ت ١٣٥٠ هـ)، دار الثقافة ـ ايران، ط ١، سنة ١٤١٢ هـ.

ـ المناقب والمثالب، للقاضي النعمان المغربيّ (ت٣٦٣ هـ)، تحقيق: ماجد بن أحمد العطيّة، نشر: مؤسّسة الأعلميّ ـ بيروت، ط ١، سنة ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢ م، ص٢١٨ ـ ٢٣٧.

معاوية في الحديث النبويّ:

وأخيراً.. مع بعض النصوص الصريحة في معاوية، نختار غيضاً من فيض لتستريح النفوس وتهدأ الضمائر:

* عن عبد الله بن عمر بن الخطّاب قال: خرج رسول الله ﷺ من فجّ، فنظر إلى أبي سفيان وهو راكب، ومعاوية وأخوه: أحدهما قائد، والآخر سائق، فلمّا نظر إليهم رسول الله ﷺ قال: اللّهمّ العنِ القائدَ والسائق والراكب. قيل لابن عمر: أنت سمعتَ رسولَ الله؟! قال: نعم، وإلّا فصُمّتا أُذُناي كما عَمِيتا عيناي[1].

* وأخرج محمّد بن جرير الطبريّ[2]: أنّ رسول الله ﷺ قال: يطلع مِن هذا الفجّ رجلٌ مِن أُمّتي، يُحشَر على غير ملّتي! فطَلَع معاوية!

* وأخرج البلاذريّ[3]، عن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: كنتُ جالساً عند النبيّ ﷺ فقال: يطلع عليكم مِن هذا الفجّ رجل يموت ـ يومَ يموت ـ على غير ملّتي. قال: وتركتُ أبي يلبس ثيابه، فخشيتُ أن يطلع، فطلع معاوية!

* وكتب ابن أبي الحديد المعتزليّ: روى ابن ديزيل عن عبد الله

---

(١) كتاب وقعة صفّين: ٢٤٧. وتاريخ الطبريّ ١١: ٣٥٧. وتذكرة خواصّ الأُمّة ١١٥. وجمهرة خطب العرب ١: ٤٢٨. وشرح النهج لابن أبي الحديد ٢: ١٠٢.

(٢) في تاريخه ١١: ٣٥٧.

(٣) في أنساب الأشراف ـ الجزء الأوّل.

ابن عمر، عن زيد بن الحُباب، عن علاء بن جرير العنبريّ، عن الحكم بن عُمَير الثُّماليّ ـ وكانت أُمّه بنتَ أبي سفيان بن حرب ـ قال: قال رسول الله ﷺ لأصحابه ذات يوم...

ثمّ قال: يا معاوية! كيف بك إذا وُلِّيت؟! قال: الله ورسوله أعلم. فقال: أنت رأس الحُطْم، ومفتاحُ الظُّلْم، حصباً وحقباً، تتّخذ الحَسَن قبيحاً، والسيّئةَ حسنة، يربو فيها الصغير، ويهرم فيها الكبير، أجَلُك يسير، وظلمك عظيم![1]

* وقال البَراء بن عازب: أقبل أبو سفيان ومعه معاوية، فقال رسول الله ﷺ: اللّهمّ العنِ التابعَ والمتبوع.. اللّهمّ عليك بالأُقيعس. فقال ابن البراء لأبيه: مَن الأقيعس؟ قال: معاوية[2].

والأقيعس: الرجل الذي أخرج صدره، ولعلّه كناية عن التكبّر.

* ودعا النبيّ الأكرم ﷺ على معاوية وعمرو بن العاص فقال ـ وقد رفع يديه ـ: اللّهمّ أركِسْهما رَكْساً، ودُعَّهُما إلى النار دَعّاً[3].

* وقال ﷺ: إنّ معاوية في تابوت من نار في أسفل دركٍ منها..[4].

---

(١) شرح نهج البلاغة ٣: ٩٧.. والحُطم: الأكُول الذي لا يشبع.

(٢) كتاب وقعة صفّين: ٢٤٤.

(٣) مسند أحمد بن حنبل ٤: ٤٢١، وقعة صفّين: ٢٤٦.

(٤) تاريخ الطبريّ ١١: ٣٥٧.

معاوية في آراء الصحابة :

أمّا الصحابة .. فقد سمّاه أبو أيّوب الأنصاريّ كهفَ المنافقين[١]. وقال له قيس بن سعد بن عُبادة : فإنّما أنت وثنٌ ابنُ وثن ، دخلتَ في الإسلام كرهاً، وخرجت منه طوعاً.

وذمّه محمّد بن أبي بكر في كتبٍ له عديدة[٢]. وقال له معن بن يزيد بن الأخنس السَّلميّ ـ الصحابيّ الذي شهد بدراً ـ : ما ولدَتْ قَرشيّةٌ من قرشيّ شرّاً منك !![٣]

* وفي (كشف الحقّ) للعلّامة الحلّيّ ﵀ : روى الجمهور أنّ أروىٰ بنت الحارث بن عبدالمطّلب دخلت على معاوية في خلافته بالشام وهي يومئذ عجوز كبيرة ، فلمّا رآها قال: مرحباً بك يا خالة ، قالت: كيف أنتَ يا ابن أُختي ! لقد كفرتَ النعمة ، وأسأتَ لابن عمِّك الصُّحبة ، وتسمّيتَ بغيرِ آسمك ، وأخذت غيرَ حقِّك ، بلا بلاء كان منك ولا من أبيك ، بعد أن كفرتُم بما جاء به محمّدٌ ﷺ ، فأتعَسَ اللهُ منكمُ الجدود حتّى ردّ الله الحقَّ إلى أهله ، وكانت كلمة اللهِ هي العليا ونبيّنا هو المنصور على كلّ مَن ناوأه ولو كَرِه المشركون ، فكنّا أهلَ البيت أعظمَ الناس في هذا الدِّين بلاءً، وعن أهله غَناءً وقدراً، حتّىٰ

---

(١) شرح نهج البلاغة ٢ : ٢٨٠ .

(٢) مروج الذهب ٢ : ٥٩ ، جمهرة رسائل العرب ١ : ٥٤٢ .

(٣) الإصابة ٣: ٤٥٠ .

قبض اللهُ نبيَّه مغفوراً ذنبُه، مرفوعةً منزلتُه، شريفاً عن الله مرضيّاً، فوثب علينا بعدَه تَيمٌ وعَدِيّ وبنو أُميّة، فأنت تهتدي بِهُداهم، وتقصد لقصدهم، فصِرنا ـ بحمد الله ـ فيكم أهلَ البيت بمنزلةِ قوم موسىٰ في آل فرعون، يُذبِّحون أبناءَهم ويَسْتَحْيون نساءَهم، وصار سيّدنا منكم بعدَ نبيّنا بمنزلة هارون من موسى، حيث يقول: يا ﴿**ابنَ أُمَّ إنّ القومَ آسْتَضْعَفُوني وكادُوا يَقْتُلونَني**﴾[1]، فلم يُجمَع بعد رسول الله ﷺ شمل، ولم يسهل وعث، وغايتُنا الجنّةُ وغايتُكمُ النار!

فقال لها عمرو بن العاص: أيّتها العجوزةُ الضالّة أقصري من قولك وغضّي من طرفك! قالت: ومَن أنت؟ قال: أنا عمرو بن العاص، قالت: يا ابن النابغة أرْبعْ على ظلعك واغضَّ لسان نفسك، ما أنت من قريش في لُباب حَسَبها، ولا صحيح نَسَبِها، ولقد ادّعاك خمسة من قريش كلّهم يزعم أنّك ابنُه، ولَطالما رأيتُ أُمَّك أيّام مِنىٰ بمكّة تكسب الخطيئة وتتزن الدراهم من كلّ عبدٍ عاهرٍ هايج، وتُسافح عبيدنا، فأنت بهم أليق، وهم بك أشبه منك تقرع بينهم![2]

---

(١) سورة الأعراف: ١٥٠.

(٢) رواه العلّامة ؛ في آخر المطلب الرابع من كتاب (كشف الحقّ ونهج الصدق) ص٣١٣ ـ ط بيروت، وفي متن (دلائل الصدق: ج٣ ص٢٣٦ ط ١)، وليراجع، كتاب بلاغات النساء. وعن (كشف الحقّ) رواه المجلسيّ في: بحار الأنوار ٣٣: ٢٥٢ ـ ٢٥٣/ح٥٢٦.

* وذكر ابن عبد ربّه في كتاب (العقد) في قصّة دارميّة الحَجُونيّة أنّ معاوية قال لها: أتدرين لِمَ بعثتُ إليك؟ قالت: لا يعلم الغيبَ إلّا الله. قال: بعثتُ إليك لأسألك علىٰ مَ أحببتِ عليّاً وأبغضتِني وواليتِه وعاديتِني؟ قالت له: أتعفيني؟ قال: لا أعفيك؟ قالت: أمّا إذا أبيتَ فإنّي أحببتُ عليّاً علىٰ عدله في الرعيّة، وقِسمته بالسويّة، وأبغضك على قتالك مَن هو أَولى منك بالأمر، وطلبِك ما ليس لك بحقّ، وواليتُ عليّاً علىٰ ما عقَدَ له رسولُ الله ﷺ من الولاية، وعلىٰ حبّه للمساكين، وإعظامِه لأهل الدّين، وعاديتُك علىٰ سفك الدماء، وجورك في القضاء، وحُكمك بالهوىٰ.

ومن الكتاب المذكور في وفود أروى بنت الحارث بن عبدالمطّلب على معاوية أنّه قال لها: كيف كنتِ بعدنا؟ فقالت: بخيرٍ.. لقد كفرتَ النعمة، وأسأتَ لابن عمّك الصُّحبة، وتَسمَّيت بغير آسمِك، وأخذتَ غير حقّك، مِن غير دينٍ كان منك ولا من آبائك، ولا سابقةٍ لك في الإسلام بعد أن كفرتم برسول الله ﷺ، فأتعَسَ اللهُ منكمُ الجدود، وأصعر منكم الخدود، وردّ الحقَّ إلىٰ أهله ولو كَرِه المشركون، وكانت كلمتنا هي العليا ونبيّنا هو المنصور، فوليتم علينا بعدُ فأصبحتم تحتجّون على سائر الناس بقرابتكم من

⬅ ورواه أيضاً ابن عبد ربّه تحت عنوان «وفود أروىٰ بنت عبدالمطّلب» في آخر كتاب الزبرجدة من (العقد الفريد).

رسول الله ﷺ ونحن أقربُ إليه منكم، وأَولىٰ بهذا منكم، وكنّا فيكم بمنزلة بني إسرائيل في آل فرعون، وكان عليٌّ بعد نبيّنا محمّدٍ ﷺ بمنزلة هارون من موسى، فغايتُنا الجنّةُ وغايتُكمُ النار!(١)

هذا فضلاً عمّا جاء في مصادرالمسلمين من كتب وكلمات للإمام عليّ عليه السلام وولديه الحسن والحسين عليهما السلام في ذمّ معاوية وبيان مثالبه وجرائمه النكراء في حقّ هذا الدين وهذه الأُمّة(٢).

واختصاراً للمسافة وتجنّباً للعناء ننصح بمراجعة كتاب (السبعة من السلف) للسيّد مرتضى الفيروزآباديّ؛ من ص١٨٣ إلى ص٢٢٣، فهناك نجد ما يُدهِش مِن كتب أهل السنّة فيما جاء من شؤون معاوية.

وأمّا ما كتبه الكاتب المصريّ المعروف محمود أبو ريّة، فيحمل حقائقَ تنسجم مع الإنصاف كثيراً، حيث جاء في كتابه (شيخ المُضيرة أبو هريرة الدوسيّ) قولُه تحت عنوان: معاوية بن أبي سفيان:

---

(١) رواه السيّد ابن طاووس رحمه الله في كتاب (الطرائف) ـ عنه: بحار الأنوار ٣٣: ٢٦٠ ـ ٢٦١/ح٥٣٣.

بيان: أتعَسَه: أهلكَه، الجدود: جمع الجَدّ، وهو الحظّ.

(٢) على سبيل المثال: شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ٤: ٦، ١٦، والإمامة والسياسة، لابن قتيبة الدينوريّ ١: ١٣١ و١٥٣، ونهج البلاغة لأمير المؤمنين عليه السلام في مواضع عديدة، ولا بأس بمراجعة الغدير ١٠: ١٤٩ ـ ١٧٧.

ومعاويةُ مطعونٌ في دِينه، وقد كان في الجاهليّة زنديقاً، وأصبح في الإسلام طليقاً[١]. «وقد وَرِث عن أبيه قوّتَه وقسوته، وكيدَه ودهاءه، ومرونتَه كذلك! ولم تكنْ أمّ معاوية بأقلَّ مِن أبيه تنكّراً للإسلام وبُغضاً لأهله وحفيظةً عليه[٢]، وهم قد وتروها يوم بدر، فثأر لها المشركون يومَ أُحُد، ولكنّ ضغنها لم يهدأ وحفيظتها لم تسكن حتّى فُتِحت مكّة، فأسلمَتْ (أي هند) كارهةً كما أسلم زوجها كارهاً!»[٣]، وكما أسلم ابنها معاوية. وهند هذه.. هي التي أغرَتْ وحشيّاً بحمزة عمِّ النبيّ حتّى قتله، ثمّ أعتقَتْه، ولمّا قُتِل حمزة بقرَتْ بطنَه ولاكتْ كبِدَه، وفعلت فعلاتِها بجثّته!

وإذا كان معاوية قد ورث بغضَ عليٍّ عن آبائه، فإنّ هناك أسباباً أخرىٰ تسعر من نار هذا البغض، منها أنّ عليّاً قتل أخا معاوية حنظلةَ يوم بدر، وخالَه الوليدَ بن عُتبة، وغيرَهما كثيرين مِن أعيان وأماثل عبد شمس. ومِن أجل ذلك كان معاوية أشدَّ الناس عداوةً لعليّ، يتربّص به الدوائر دائماً، ولا يفتأ يسعى في الكيد له سرّاً وعلانية، قولاً وعملاً.

---

(١) أي ممّن أطلقهم النبيّ ﷺ بعد فتحه مكّة، وهم لا حقّ لهم في الحكم والزعامة؛ لأنّهم طلقاء!

(٢) الحفيظة هي: الغضب، والحميّة.

(٣) عليّ وبنوه، لطه حسين: ٦١.

ونبقىٰ مع محمود أبو ريّة وكتابه (شيخ المضيرة) لنقرأ فيه تحت عنوان:

معاوية وحروب الجمل:

وقد انتهز معاوية فرصة حروب الجمل، فأخذ يحرّض طلحةَ والزبير وعائشة ويُظاهرُهم (أي يكون لهم ظهيراً ومعيناً)، حتّى إذا انتهت هذه الحرب بهزيمة مَن أثاروها، أشعل الحربَ بينه وبين عليٍّ في صِفّين وغيرها، ثمّ انتهى الأمر بقتل عليٍّ بمؤامرة. ولا ننسى أنّه لم يبايع عليّاً عندما بُويع له ـ كما بايع كلُّ الولاة ـ وخرج عليه.

وتحت عنوان:

انصراف معاوية إلى أولاد عليّ بعد قتل أبيهم:

ولم يُشبع نهمَ الحقد الأُمويّ قتلُ هذا الإمام العظيم، بل صرف معاويةُ كيدَه وبغيه أوّلَ الأمر إلى الحسن عليه السلام، الذي كان (معاويةُ) يزاحمه بحقّه في الخلافة، وما زال يراوغه بكيده، حتّى تخلّص منه بالسمّ[١].

ومات معاوية قبل أن يُلحِقَ الحسينَ بأخيه الحسن، وهما ريحانتا النبيّ صلى الله عليه وآله، وترك ذلك لابنه يزيد!)[٢].

---

(١) سمّته امرأته جعدة بنت الأشعث بتدسيس معاوية، وكان وعَدَها بأن يزوّجها من يزيد (الاستيعاب لابن عبد البرّ ١: ١٤٣) (منه).

(٢) شيخ المضيرة أبو هريرة الدوسيّ، بقلم محمود أبو ريّة: ١٥٧ ـ ١٥٨.

● وهنا نترك تصوير شخصيّة معاوية للشاعر المسيحيّ بولس سلامة، الذي كتب ملاحمَ شعريّةً فاخرة، كان منها قصيدةٌ بعنوان (معاوية).

قال هذا الشاعر: لمّا عزمتُ على النَّظم، انصرفت إلىٰ دراسة المراجع التاريخيّة، ولكنّني ـ قَطْعاً للظنّ والشبهات ـ قلّما اعتمدتُ مؤرّخي الشيعة، بل اعتمدتُ الثقات مِن أهل السُّنّة الذين عصَمَهم الله مِن فتنة الأُمويّين، وتقيّدت بالتاريخ جَهدَ الاستطاعة، فلو تقيّدتُ أكثرَ ممّا فعلتُ لكنتُ كاتبَ عدلٍ يُخضِع التاريخَ للقوافي.

وقال أيضاً: ورُبَّ معترض قال: ما بالُ هذا المسيحيّ يتصدّىٰ لملحمةٍ إسلاميّةٍ بحتة؟! أجل، إنّني مسيحيٌّ ولكنّ التاريخ مُشاعٌ للعالمين. أجل، إنّي مسيحيّ ينظر مِن أُفُقٍ رَحب.. يرى الخَلْق كلّهم عيال الله...

ورُبَّ قارئٍ قد حَسِبني متحاملاً علىٰ بني أُميّة، ويعلم اللهُ أنّي لم أقلْ فيهم إلّا ما أجمَعَت عليه السِّيَرُ النبويّة، ومُؤرِّخو الإسلام: كأبي الفداء، والمسعوديّ، والطبريّ، وابن الأثير، وابن خلّكان.. والأُدباء المعاصرون، وقد أشرتُ إلى المراجع في الهوامش؛ ليكون الكلام عن بيّنة.

نعم، وهذه أبيات من قصيدته الملحميّة المطوّلة[١]:

---

(١) قال بولس سلامة في هامش هذه القصيدة: لا ريب أنّ معاوية بن أبي سفيان استغلّ الظروف التي رافقت مقتل عثمان، وكان الرجل داهية زمانه وله أساليب خاصّة في اجتذاب العامّة ومداراتهم، وممّا يُروى عنه: أنّ رجلاً من أهل الكوفة دخل على بعير له إلى دمشق في حال انصرافه من صفّين، فتعلّق به رجل من أهل دمشق فقال: هذه ناقتي أُخذت منّي في صفّين. فارتفع أمرهما إلى معاوية، وأقام الدمشقيُّ خمسين رجلاً بيّنةً يشهدون أنّها ناقته، فقضى معاوية على الكوفيّ وأمره بتسليم البعير إليه. فقال الكوفيّ: أصلحك الله، إنّه جمل وليس بناقة! فقال معاوية: هذا حُكم قد أُمضي. ودسّ إلى الكوفيّ بعد تفرّقهم فأحضره وسأله عن ثمن بعيره ودفع إليه ضِعفَيه، وبَرَّه وأحسن إليه وقال له: أبلغ عليّاً أنّي أُقابله بمئة ألف ما فيهم من يفرّق بين الناقة والجمل. (عن تاريخ التمدّن الإسلامي لجرجي زيدان)

واشتدّ إزر معاوية بعمّاله الدهاة وعلى الأخصّ عمرو بن العاص. أمّا المغيرة بن شعبة فهو أوّل من رشا، وهو الذي حرّض معاوية على مبايعة ابنه يزيد وجعل الخلافة وراثيّة في نسله وساعده على ذلك. أمّا زياد بن أبيه فرجل لا يُعرَف له أب، ورأى معاوية دهاءه فقرّبه وادّعى أنّه أخوه وألحقه بنسبه وسمّاه زياداً بن أبي سفيان. أمّا عمرو بن العاص فهو مُلحَق بالعاص إلحاقاً، وكانت أُمّه من أشهر بغايا مكّة وقد نسبته للعاص لأنّ العاص كان ينفق عليها أكثر من سواه. وقد كان جزّاراً بغيضاً، وهو من أعداء النبيّ الألدّاء وهو المقصود بالآية القرآنيّة الكريمة ﴿**إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ**﴾. وقد تردّد عمرو هنيهة بين الدين والدنيا أي بين أن يتّبع عليّاً أو معاوية. وفي يوم رحيله إلى معاوية دعا غلامه (وردان) وكان داهياً مارداً فقال عمرو: إرحلْ يا وردان، ثمّ قال: حُطَّ يا وردان، ثمّ قال: إرحل يا وردان، فقال له وردان: خلطت أباعبدالله أما إنّك إن شئت أنبأتك بما في نفسك، قال: هات ويحك! قال: اعتركَتِ الدنيا والآخرة على قلبك فقلت: عليّ معه الآخرة، في غير دنيا، وفي الآخرة عوض عن الدنيا، ومعاوية معه الدنيا بغير آخرة وليس ⇐

⬅ في الدنيا عوض عن الآخرة، فأنت واقف بينهما. قال: فإنّك والله ما أخطأت، فما ترى يا وردان؟ قال: أرى أن تقيم في بيتك، فإن ظهر أهل الدين عشت في عفو دينهم، وإن ظهر أهل الدنيا لم يستغنوا عنك. قال: الآن لمّا شهدت العرب مسيري إلى معاوية؟! وسار إلى معاوية. ووليَ عمرُو بن العاص مصرَ وجمع القناطير من الذهب عن طريق الرشوة وسبيل الحرام، وقد خلّف بعد موته سبعين بهاراً من الدنانير. والبهار أردبان بالمصريّ ذهباً. (ملخّص عن الشيخ عبدالحسين الأميني وعن المقريزيّ)

ومن عمّال معاوية الأشرار بِسْر بن أرطاة، وكان معاوية قد أوصاه باضطهاد شيعة عليّ فأنفذ بسر أمر سيّده، وانتهى إلى المدينة فقتل فيها أُناساً من أصحاب عليّ وهدم دورهم، ومضى إلى مكّة وغيرها يقتل ويهدم حتّى أتى اليمن وعليها عبدالله بن عبّاس عامل عليّ وابن عمّه وكان غائباً فراراً من القتل، فوجد بسر ابنَين له صبيَّين اسمهما: عبدالرحمن وقثم، فأخذهما وذبحهما بيده بمدية كانت معه. وذكروا أنّ الغلامين كانا عند رجل من كنانة بالبادية، فلمّا أراد بسر قتلهما قال الكنانيّ: تقتل هذين ولا ذنب لهما! فإن كنت قاتلهما فاقتلني معهما. فقتله وقتلهما معه، فصاحت امرأة من كنانة: يا هذا! قتلتَ الرجال فعلامَ تقتل هذين؟! واللهِ يا ابن أرطأة إنّ سلطاناً لا يقوم إلّا بقتل الصبي الصغير والشيخ الكبير لَهُو سلطان سوء. (الأغاني)

ومعاوية هو الذي سمّم الحسن بواسطة زوجته الخائنة (جعدة)، فوعدها أن يزوّجها من ابنه يزيد وأن يعطيها مئة ألف درهم، فبرّت بوعدها وقتلت زوجها بالسم، ولكنّ معاوية دفع إليها المال وأمسك عنها يزيداً. (عن كتاب الإرشاد)

ولم يكن الحسن آخر ضحايا ابن هند الذين قُتِلوا بالسمّ، فقد فعل ذلك بعبدالرحمن بن خالد بن الوليد، وكان قد عظم شأنه عند أهل الشام ومالوا إليه لما لأبيه عندهم من المنزلة، ولمكانته في بلاد الروم وشدّة بأسه، فخافه معاوية وأمر ابن الأثال الطبيب أن يحتال في قتله وضَمِن له أن يضع عنه خراجه ما ⬅

هــزلَ الدهــرُ يــا لجـورِ الزمـانِ   وهَــوتْ للــترابِ غُــرُّ الأمـاني!

⊃ عاش، وأن يوليه خراج حمص، فدسّ ابن الآثال إليه شربة عسل مسمومة فشربها ومات، ونجا معاوية منه.

وفعل نحو ذلك بالأشتر النَّخَعيّ مالك بن الحارث وكان من أشدّ رجال عليّ بطشاً أو هو أشدّهم جميعاً، وقد أبلى معه في صفّين بلاء حسناً. فلمّا اضطربت أحوال مصر بدسائس معاوية، وكانت لا تزال في حوزة عليّ، بعث الأشتر والياً عليها. فعلم معاوية أنّه إن وَلِيها امتنعت عليه، فبعث إلى المقدّم على أهل الخراج في القلزم ـ وهي في طريق الأشتر إلى مصر ـ: إنّك إن كفيتني الأشتر لم آخذ منك خراجاً أبداً. فلمّا بلغ الأشتر القلزم استقبل ذلك الرجل وقدّم له طعاماً وشربة من عسل جعل فيها سمّاً، فلمّا شربها مات. وأخذ معاوية يقول لأهل الشام: إنّ عليّاً قد وجّه الأشتر إلى مصر، فَادْعُوا اللهَ عليه. فكانوا يدعون عليه كلّ يوم. وأقبل الذي سقاه السمّ إلى معاوية فأخبره بمهلك الأشتر، فقام معاوية خطيباً وقال: أمّا بعد، فإنّه كان لعليّ يمينان، فقُطعت إحداهما بصفّين (يعني عمّار ابن ياسر) وقُطعت الأُخرى اليوم (يعني الأشتر). فلمّا بلغ خبر الأشتر إلى عمرو ابن العاص قال: إنّ للّه جنوداً من العسل! (جرجي زيدان عن ابن الأثير وابن خلّكان والمقريزيّ)

ومن جملة أكاذيب معاوية أنّه احتال على عبدالله بن سلام ووعده بتزويجه من بنته إذا هو طلّق زوجته أُرَينب بنت إسحاق، فنجحت حيلة معاوية وطلّق الرجل امرأته مُكرَهاً. وكان في نيّة معاوية تزويج أُرينب لابنه يزيد. ونكث معاوية وعده، وشاء الله أن يحفَظَ الحسين أُريناً ويعيدها إلى زوجها، وإنّما فعل ذلك رجاء ثوابِ الآخرة. فتزوّجها عبدالله، وعاشا متحابّين وحرّمها الله على يزيد! (عن ابن قتيبة)

وقد أجمع المؤرّخون على دهاء معاوية وكذبه واضطهاده للعلويّين، وتابعه بنو أُميّة على سبّ عليّ على المنابر مدّة ثمانين سنة، وقد قتل معاوية حُجْرَ بن عَدِيّ لأنّه أبى سبَّ عليّ. (عن جرجي زيدان)

فــذوىٰ فــرعُ هــاشمٍ، وتســامىٰ عــبدُشمسٍوثباً إلى الصَّـولَجانِ
قــام عـرشُ الدهــاء ثَـبْتاً مكـيناً فـــوقَ بُــرجٍ مُــثلَّثِ الأركــانِ
شــادَه عَــمْرُو والمُـغيرةُ بُـطْلاً وزيـــادٌ طَــلاه بـــالبُهتانِ
وزيــادٌ! وكــان سِــقْطَ سِـفاحٍ مُــبهَمَ الأصــل أسـودَ الوُجـدانِ
نســـبوه زيـــاداً ٱبــنَ أبـيهِ ذاك ربــطُ الغُــرابِ بــالغِربانِ
ذاك أنّ الأُمّ (السُّـــميّةَ) كـــانت رايــةَ العُـهرِ فـي طـريقِ الزانـي
ورآه الوليُّ بـــــحرَ نـــفاقٍ مُــبهَمَ الغَــورِ نــائيَ الشَّـطْآنِ
فــادّعاه أخــاً وليـداً لِـصَخْرٍ يــا لشــرٍّ البـحرَينِ يَـلتقيانِ
فــي حــنايا الآذيِّ زُرقُ الأفـاعي أو نــيوبُ التـنِّينِ والحِـيتانِ
وَتَــرُ العُــودِ لم يَـصُحَّ بِـزَوجٍ فأتــى عَـمْرُو ثـالثاً فـي المَـثاني
نَــغَماتٌ تآلفَتْ فـــي يـــدِ البــاغي فـتمَّتْ قِـيثارةُ الشـيطانِ
مُــلحَقَ العــاصِ لا يُـضيرك ذَمٌّ أنت والعــارُ، أنــتما تَــوْأَمانِ
نَسْـــلُ زنـــجيّةٍ بـــغيٍّ كأنّ العُـــهْرَ فـــيها مُســتوقَدُ النِّــيرانِ
وأبــوك الجَـزّارُ شــانئُ طــه أبــترُ الخَـلْق والنُّـهىٰ والبـيانِ
ذمَّـــهُ اللهُ فــي الكــتاب فـصار المــاجنُ الوَغْــدُ وصــمةَ الأزمــانِ
فـــهنيئاً أبــا يــزيدَ بِــصَحْبٍ بَـــصَقَتْه الأقــذار نســلَ زوانِ
ياٱبْنَ هِندٍ هلسرَّ سـمعَك بِسْـرٌ؟! فــابنُ أرطــاةَ أشـرسُ الذُّؤبـانِ
حَـــيَوانٌ! أســـتغفرُ اللهَ أنّــي قــد أسأتُ الظُّــنون بــالحَيوانِ
ســيفُه مــلَّ مِـن دِمـاءِ الحُـبالىٰ فَــعَداهــا لِـلغِيدِ والصِّــبيانِ

وأتـى (البِسْـرُ) غـائصاً بِـدمِ الأطـفال كـالذئبِ جـالَ فـي القِطْعانِ

إنّ مُـلكاً يُشاد مِـن دمـعِ ثَكـلىٰ وَدِمـاءِ الشـيوخِ والفـتيانِ

هو صَرحٌ أوهىٰ مِـن الكِـذْبِ أُسّـاً فـجذورُ الفَـناءِ فـي البُـنيانِ

بَسَّمَ الحـظُّ يـا مـعاويَ فـاجلسْ فـوقَ عـرشٍ مِـن المآثـمِ قـانِي

إنّ عُـمّالَك الطُّـغاةَ نُـمورٌ مُـرْهَفاتُ النُّـيوبِ للـرعيانِ

فـاستطالَتْ عـلى الرعـيّةِ إجـراماً ونَـهْباً مُـنوَّعَ الألوانِ

تَـخَذوا خُـلْقَك المـزيَّف نَـهْجاً إنّ كـلَّ المـقالِ فـي العُـنوانِ

أنت مَـنَّيتَ (جِـعدةً) بـيزيدٍ فأثَـرتَ الرَّقـطاءَ بـالألبانِ

قَـتَلَت زوجَـها بِـجُرعةِ سُـمٍّ إنّـما السُّمُّ مِـن سلاحِ الجَـبانِ

(حسـنٌ) لم يُـثرْ عـليك حُـروباً ولوىٰ عـنك ألفَ ألفِ عِـنانِ

قـرَّ فـي بـيته مُـقيماً عـلى عـهدٍ، وعـهدُ النـبيلِ مِـن إيـمانِ

(حسـنٌ) آيـةُ الشـبابِ رَواءً فـي بـهاءِ النُّضّارِ والمَـرجانِ

كـجلالِ المَـغيبِ فـي الأزرقِ السـاجي، ودفـقِ الصـباحِ مِـن لبـنانِ

سـيّد القـائمين فـي رقـعةِ الغـبراءِ حُسْـناً، وسـيّدٌ فـي الجِـنانِ

وأخـوه الحسـينُ أيُّ مَـلاكٍ يـتمشّىٰ فـي بُـرْدَتَي إنسـانِ!

حَسَـنٌ تـقتلينه ليـزيد؟! يـا غَـرام المُـجّانِ بـالمَجّانِ!

يا صـديقَ السُّـمومِ تَـبعثُ مِـنها نَـهلاتِ الفَـناءِ للـعطشانِ

هـل تـذكّرتَ (مـالكاً) وَهْـوَ قَـيدومُ السَّـرايـا وأفـرَسُ الفُـرسانِ

«قلتَ: قـصَّ الردىٰ جَـناحَي عـليٍّ فَـهْو جسـمٌ لم تـبقَ فـيه يَـدانِ

«فقتلنا اَبْنَ ياسرٍ يومَ صِفّينَ وكان اللِّواءُ في الشجعان
يا اَبنَ هندٍ إن جَنْدَل السيفُ (حُجْراً) فشهيدُ الإنصافِ والإيمانِ
وشهيدٌ يأبىٰ سُبابَ عليٍّ أجرُهُ عند ربِّهِ جَنّتانِ
يا اَبنَ هندٍ أَبَعْدَ كلِّ صلاةٍ تَغمُرون الأميرَ بالشَّنْآنِ!
تجعلون السُّبابَ فرضاً ونَفْلاً وختامَ التوشيحِ في الآذانِ
من يُقارفْ أهلَ الرسولِ بِسبٍّ كيف يرجو مَثوبةَ الديّانِ؟!
أصبحَتْ تلكمُ المنابرُ سُوداً مِن سَماعِ السُّبابِ والهَذَيانِ
قمْ نبيَّ الإسلام وانظرْ، فأهلُ البيتِ في دارِ غُربةٍ وهَوانِ
عَجَباً تلكمُ المنابرُ لم تَهبِطْ فتُمسي فريسةَ النيرانِ
وعجيبٌ أن يبلغَ الظلمُ ما فوق الثريّا، ويَسلمَ الفَرْقَدانِ
إن تَبدَّت زُهرُ النجومِ فكي تبقىٰ على المُعتدي، شهودَ عَيانِ
يسمح الله أن يُعذِّبَ أهلُ الخير حيناً، فالأرضُ دارُ اَمتحانِ
يا اَبنَ هندٍ بَنيتَ في الشامِ مُلْكاً أخضرَ الأُفق زاهرَ العِمرانِ
والتَهمْتَ الدنيا كأنّك لا تَفْنىٰ، وهَمُّ الزمانِ هَدْمُ الآنِ
وبَقِيتم عارَ الدهور، ولولا العارُ لم يُذّكَرْ بنو مَروانِ
يا اَبْنَ هندٍ رمزَ الدهاء، ورمزَ المكر والغشّ، قُمّةَ الرَّوَغانِ
من يَسُبَّ الرسولَ في أهلِ بيتٍ لعنَتْه السماءُ كَرَّ الثَّواني[1]

والآن.. إلى وريثه، ولده يزيد.

---

(١) عيد الغدير، للشاعر بولس سلامة: ٢١١ ـ ٢٢٥.

يزيد بن معاوية

أمّا أبوه... فاشتهر أنّه معاوية، وأمّا الأُمّ.. فـمَيسون، ومَـن هـي ميسون يا تُرى؟!

هي امرأة من بني كلب، وأبوها شيخ كلب كان يُسمّى (بَجْدل)، كان له عبدٌ اسمه (سفاح)، وقد زنى سفاح بميسون وهـي بـنت فحَملت منه، ثمّ حُملت إلى معاوية فوجدها «ثيّباً»! فكان بينهما ما كان، حتّى نظمت ميسون أبياتاً من الشعر تُعرِب فيها عن رغبتها في العودة إلى أهلها وديارها.

فطلّقها معاوية وأرسلها إلى «حَوّارين» فوضعت حملها، وقيل: وضعت ولداً فأسماه معاويةُ (يزيدَ) على اسم أخيه يزيد بـن أبـي سفيان.

هكذا جاء في (تجارب السلف) للعالم السُّنّيّ (هـندوشاه بـن سنجر بن عبد الله صاحبي ـ وهو مِن أعلام القرن الثامن الهجري)، فقد أورد هذه الأخبار على الصفحة ٦٦، ثمّ قال بعد ثلاث صفحات: وإلى هذا أشار النسّابةُ الكلبيّ (هشام بـن محمّد صاحب كتاب المثالب) بقوله:

فإن يكنِ الزمانُ أتـىٰ عَـلَينا　　　بقتل التُّركِ والموتِ الوَحِـيِّ

فـقد قـتل الدعـيُّ وعـبدُ كـلبٍ　　　بأرض الطـفِّ أولادَ النـبيِّ

ومراده بـ(عبد كلب) يزيدُ بن معاوية؛ لأنّه مِن عبد بجدل الكلبيّ.

نشأة يزيد:

وُلِد (يزيد) في حوّارين.. ولكن كيف نشأ في ديار حوّاريـن؟ تنقل لنا كتبُ التاريخ أنّ حوّارين منطقة مسيحيّة الأجواء، فنشأ فيها يزيد مع النصارى بعيداً عن نفحات الإسلام، ولم يبقَ في دمشق إلّا أيّاماً قليلة[١]، وإنّما ذهب إليها بعد هلاك أبيه معاوية[٢] بعشرة أيّام[٣]، فوجده مدفوناً فصلّى على قبره[٤].

وهنا نترك القلم للبعض يُنصفون يزيدَ بن معاوية في الحديث حول نشأته:

كتب عبد الله العلايليّ: إذا كان يقيناً أو يشبه اليقين.. أنّ تـربية يزيد لم تكن إسلاميّةً خالصة، أو بـعبارة أُخـرى: كـانت مسـيحيّةً خالصة، فلم يبق ما يُستغرب مـعه أن يكـون مـتجاوزاً مسـتهتراً، مستخفّاً بما عليه الجماعة الإسلاميّة، لا يحسب لتقاليدها واعتقاداتها أيَّ حساب، ولا يقيم لها وزناً.. بل الذي نستغربه أن يكون على غير ذلك[٥].

وكتب عمر أبو النصر: أمّا أُستاذ يزيد، أو أساتذته ـ إذا كانوا غير

---

(١) معاوية بن أبي سفيان وعصره، لعمر أبو النصر: ٢٨٢.

(٢) الفتوحات المكّيّة، لابن عربيّ ٤: ٢٦٥.

(٣) دائرة معارف القرن العشرين، لمحمّد فريد وجدي ٤: ٧٧١.

(٤) الكامل في التاريخ ٣: ٤٩.

(٥) الإمام الحسين عليه السلام أو سموّ المعنى في سموّ الذات: ٥٩.

واحد ـ فإنّهم مجهولون، وقد أسف «لامنس» المستشرق اليسوعيّ لهذا النقص التاريخيّ[1]؛ لأنّه يعتقد أنّ أُستاذ يزيد لا يبعد أن يكون مسيحيّاً من مشارقة النصارى![2].. خصوصاً أنّ يزيد نفسه قد كلّف كاهناً مسيحيّاً بتثقيف ولده (خالد)، وهذه ظاهرة تروج إلى أنّه قد يكون تلقّى العلم عند واحدٍ منهم[3].

أمّا أصحاب يزيد.. فلا بدّ أنّهم من ديار حوّارين، من النصارى وندماء مجالس الخمر واللّهو والمُجون. دَعُونا نقرأ ما دوّنه أبو الفرج الأصبهانيّ، حيث كتب:

إنّ يزيد كان ينادم «الأخطل» الشاعر المسيحيّ الخليع، فكانا يسمعان معاً الغناء، وكانا يشربان معاً الخمر، وإذا أراد يزيد السفر صحِبَه معه.

و(الأخطل) عليه جُبّة خَزّ، وفي عنقه سلسلة من ذهب، والخمر يقطرُ مِن لحيته[4].

ونترك ـ هنا ـ تعليلَ السبب في دفاع النصارى ـ أمس واليوم ـ عن

---

(١) معاوية بن أبي سفيان: ٣٥٩.
(٢) يزيد بن معاوية فرع الشجرة الملعونة في القرآن، للأُستاذ أحمد المكّيّ: ٧٤.
(٣) تاريخ الآداب العربيّة، بقلم المستشرق (هوار): ٦١. وتاريخ الفلسفة في الإسلام، بقلم المستشرق ت، ج دي بور (جامعة آمستردام)، ترجمة: الدكتور أبو ريده: ٧. ومعاوية بن أبي سفيان: ١٩٠.
(٤) الأغاني ٧: ١٧٠.

يزيد.. نتركه للأُستاذ عمر أبو النصر، حيث كتب يقول:

لقد حاول مستشرقو (الفرنجة) في كثير من البراعة والبيان ـ وما يزالون يحاولون ـ الانتصافَ ليزيد بن معاوية، والتلويحَ إلى حلمه وأدبه وعلمه وسياسته ولياقته!! وغيرِ ذلك من الفضائل التي أنكرها عليه مؤرّخو العرب.

وقد كان أكثرَهم حرارةً في ذلك الأبُ (لامنس) اليسوعيّ.

ثمّ قال أبو النصر: ولكنّ إغراق المستشرقين لا يُنكَر، ونصفتهم ليزيد بعيدة كلَّ البعد عن الحقيقة الواقعة[1].

ولعلّ أحدَ أدلّة ما ذهب إليه أبو النصر.. ما دوّنه ابن كثير في تاريخه، حيث كتب بصريح العبارة: كان يزيد صاحبَ شراب، فأحبّ معاوية أن يعظه في رفق، فقال له: يا بُنيَّ! ما أقدرَك على أن تصلَ حاجتك مِن غير تهتّك يذهب بمروءتك وقَدْرك، ويُشمت بك عدوَّك، ويُسيء بك صديقَك. ثمّ قال: يا بُنيّ! إنّي مُنشِدُك أبياتاً فتأدّبْ بها واحفظْها. فأنشده:

انصبْ نهارَك في طِلاب العُلىٰ
واصبرْ على هَجْرِ الحبيبِ القريبْ

حتّى إذا اللّيلُ أتى بالدُّجىٰ
واكتحَلَتْ بالغُمض عينُ الرقيبْ

---

(١) معاوية بن أبي سفيان: ١٩٧ ـ ١٩٨.

فـــباشِرِ اللّـــيلَ بـما تشـتهي
فـــإنّما اللّـــيلُ نـــهارُ الأريبْ
كـــم فـــاسقٍ تـحسَبُه نـاسكاً
قـد بـاشرَ اللّـيلَ بأمـرٍ عـجيبْ
غـــطّى عـــليه اللّـيلُ أسـتارَهُ
فـبات فـي أمـنٍ وعـيشٍ خـصيبْ!
ولذّةُ الأحـــــمق مكشـــــوفةٌ
يســعى بــها كــلُّ عـدوٍّ مُـريبْ(١)

ثمّ كتب ابن كثير بعد صفحتين فقط: وكان فيه أيـضاً ـ أي فـي يزيد ـ إقبالٌ على الشهوات، وتركُ بعض الصلوات!

سيرته

نتركها لأقلام التاريخ تروي أخبارها، متجنّبين التعليق عليها:

* أخرج الطبريّ عن المنذر بن الزبير أنّ يزيد بن معاوية بعث إليه بمائة ألفٍ ليشتري منه دِينَه، ويُبايعَه لأجلها. فأخذ المنذرُ المالَ وخطب في أهل المدينة وقال ـ فيما قال ـ: إنّه قد أجـازني بـمائة ألف، ولا يمنعني ما صَنعَ بي أن أُخبركم خبره.. واللهِ إنّه لَـيشرب

(١) تاريخ ابن كثير ٨: ٢٢٨.

الخمر، والله إنّه لَيسكر حتّى يدعَ الصلاة!![1]

* وذكر المؤرّخون أنّ يزيد بن معاوية كان كَلِفاً بالصيد لاهياً به، وكان يُلبس كلابَ الصيد الأساورَ من الذهب والخلالَ المنسوجة منه، ويَهَب لكلّ كلبٍ عبداً يخدمه[2].

* وكتب المسعوديّ: وكان يزيد صاحبَ طربٍ وجوارٍ وكلاب، وقرود وفهود، ومنادمةٍ على الشراب.. جلس ذات يوم على شرابه ـ وعن يمينه عبيد الله بن زياد ـ وذلك بعد قتل الحسين، فأقبل على ساقِيه فقال:

اسقِني شَرْبَةً تُروّي مُشاشي ثمّ مِلْ فاسْقِ مِثلَها ابنَ زيادِ

صاحبَ السرِّ والأمانةِ عندي ولتسديد مَغنمي وجهادي

وغلب على أصحاب يزيد وعمّاله ما كان يفعله من الفسوق. وفي أيّامه ظهر الغناء بمكّة والمدينة، واستُعملت الملاهي، وأظهر الناس شرب الشراب. وكان له قردٌ يُكنّى بأبي قيس يُحضِره مجلسَ منادمته ويطرح له متّكئاً...

وليزيد وغيره أخبار عجيبة، ومثالب كثيرة، من: شرب الخمر، وقتل ابن (بنت) الرسول، ولعْن الوصيّ، وهدمِ البيت وإحراقه،

---

(١) تاريخ الطبريّ ٤: ٣٦٨. ويراجع أيضاً: الكامل في التاريخ ٤: ٤٥، وتاريخ ابن كثير ٨: ٢١٦.

(٢) الفخريّ: ٤٥.

وسفك الدماء، والفِسق والفجور.. وغير ذلك ممّا قد ورد فيه الوعيد باليأس من غفرانه، كوروده فيمن جحد توحيده وخالف رسُلَه[١].

وقال البلاذريّ: كان ليزيد بن معاوية قرد يجعله بين يديه، ويُكنّيه «أبا قيس» ويقول: هذا شيخ من بني إسرائيل أصاب خطيئة فمُسِخ. وكان يسقيه النبيذ ويضحك ممّا يصنع، وكان يحمله على أتان وحشيّةٍ ويرسلها مع الخيل فيسبقها، فحمله يوماً وجعل يقول:

تمسّكْ أبا قيس بفضلِ عنانِها
فليس عليها ـ إنْ سقطتَ ـ ضمانُ

ألا مَن رأى القردَ الذي سبقتْ به
جيادُ أمير المؤمنين أتانُ[٢]

ويروي الزبير بن بكّار ذلك على نحو من التفصيل، فيقول:

كان يزيد بن معاوية في مجونه نادَمَ قرداً، فأخذه يوماً فحمله على أتان وحشيّة، وشدّ عليها رباطاً، ثمّ أرسل الخيل في إثرها حتّى كسرتها فماتت الأتان، فقال في ذلك يزيد:

تمسّكْ أبا قيس بفضل عنانِها
فليس عليها ـ إنْ هلكتَ ـ ضمانُ

---

(١) مروج الذهب ٣: ٧٧ ـ ٨١، من فصل: ذِكْر لُمعٍ من أخبار يزيد وسِيَره، ونوادر من (بعض) أفعاله!

(٢) أنساب الأشراف ٤: ١. ويراجع أيضاً: مروج الذهب ٣: ٦٧ ـ ٦٨.

فما فعلَ الشيخُ الذي سبقتْ به
جياد أمير المؤمنين أتانُ!

وبذلك سبّه أبو حمزة في خُطبته حين قال فيه: خالفَ القرآن، واتّبع الكُهّان، ونادم القرد، وفعل ما يشبهه، حتّى مضى لسبيله لعنه الله![1]

وقد ذاع بين الناس هيامُ يزيد وشغفه بالقرود، حتّى لقّبوه بها، ويقول رجل من تنوخ هاجياً له:

يزيدُ صديقُ القرد مَلّ جوارَنا فحنّ إلى أرض القرودِ يزيدُ
فتبّاً لِمَن أمسى علينا خليفةً صَحابتُه الأدنَونَ منه قرودُ![2]

* وأكثر شعر يزيد في الخمر والغناء، مثل قوله:

معشرَ النُّدمانِ قوموا واسمعوا صوتَ الأغاني
واشربوا كأس مُدامٍ واتركوا ذِكْرَ المثاني[3]
شغلَتْني نغمةُ العِيدان عن صوتِ الأذانِ
وتَعوّضتُ من الحُور عجوزاً في الدنانِ

وقوله:

عليّةُ هاتي واعلني وترنّمي بذلك إنّي لا أُحبّ التناجيا

---

(١) الأخبار الموفقيّات: ٣٤٦.
(٢) أنساب الأشراف ٤: ٢.
(٣) أي: اتركوا الصلاة، والمثاني هي سورة الحمد التي يُكنّى بها عن الصلاة.

ألا هاتِ سقّيني على ذات قهوةٍ تَخيّرها العنسيُّ كرماً شآميا
إذا ما نظرنا في أُمورٍ قديمةٍ وجدنا حلالاً شربُها متواليا(١)

* وروى الطبريّ من شعر ابن عرادة أنّ يزيد كان شِرّيباً للخمر طوال حياته، وقد مات بين كأس الخمر وزِقّ(٢) الخمر، وبين المغنّية وآلة الطرب.. وقد قال:

أَبَني أُميّةَ إنّ آخِرَ مُلكِكم جسدٌ بحوّارينَ ثَمَّ مُقيمُ
طرقتْ منيّتَه وعند وسادِه كوبٌ وزِقّ راعفٌ مرثومُ
ومِرِئَةٌ تبكي على نشوانِه بالصنج.. تقعدُ تارةً وتقومُ

الزقّ: قربة الخمر، وراعف مرثوم أي مفتوح لم يُغلق. أمّا المِرئَة فهي المغنّية التي أمست تبكي على سُكر يزيد بضرب الصنج. وقد ذكر المسعوديّ أنّ يزيد حينما سمع بمقتل الحسين عليه السلام جلس للشراب وعن يمينه عبيدُ الله بن زياد، فقال:

اسقِني شَرْبَة تُروّي مُشاشي ثمّ مِلْ فاصسْقِ مِثلَها ابنَ زيادِ
صاحبَ السرِّ والأمانةِ عندي ولتسديد مَغنمي وجهادي

ثم أمر المغنّين فغنّوا(٣).

* وعرّف الفخريُّ يزيدَ بن معاوية فقال:

---

(١) تذكرة خواصّ الأُمّة: ١٦٤.
(٢) الزِّق: وعاءٌ من جلد، للشراب وغيره.
(٣) مروج الذهب ٣: ٦٧.

يزيد .. هو أوّل مَن خلقَ الغناء، واستمع إلى المغنّيات والمغنّين، وجلس مجالس اللّهو والعبث دون غيره وسواه من رجالات عصره وكبار زمانه[١]. أوّل مَن فعل ذلك ـ يعني من الحكّام ـ، متجاهراً بهذه المفاسد!

* وأخرج ابن قتيبة عن عتبة بن مسعود أنّه قال في حديثٍ له: يزيد.. وهو يشرب الخمر، ويلهو بالقيان، ويستهتر بالفواحش[٢].

* وروى البلاذريّ عن المدائنيّ: أنّ يزيد دعا بأُمّ خالد (زوجته) لينال منها، فأبطأت عليه، وعرضت له جارية سوداء من جواريه فوقع عليها، فلمّا جاءت أُمّ خالد أنشأ يقول:

أَسْلمي أُمَّ خالدِ رُبَّ ساعٍ لقاعدِ!

إنّ تلك التي تَرَينِ سَبَتني بواردِ

(إلى آخر أبياته القذرة الفاحشة التي هي أَولى بها أن تُقبر مِن أن تُذكر!)[٣].

* وروى أبو الفرج الأصبهانيّ قائلاً: كان يزيد بن معاوية أوّلَ مَن سَنّ الملاهي في الإسلام من الخلفاء، وآوى المغنّين، وأظهر الفتك وشُربَ الخمر، وكان ينادم عليها سرجونَ النصرانيّ مولاه،

(١) عنه كتاب: معاوية بن أبي سفيان: ٢٨١.
(٢) الإمامة والسياسة ١: ١٦٧.
(٣) أنساب الأشراف ٤: ٢.

والأخطلَ الشاعرَ النصرانيّ، وكان يأتيه من المغنّين (سائب خاثر) فيقيم عنده فيخلع عليه[١].

* وقال البلاذريّ: وكان يزيد بن معاوية أوّلَ مَن أظهر شرب الشراب والاستهتار بالغناء والصيد، واتّخاذَ القِيان والغلمان، والتفكّه بما يَضحك منه المترفون من القرود، والمعافرةَ بالكلاب والدِّيَكة[٢].

* وقبل أن يهلك معاوية أرسل ولدَه يزيد إلى الحجّ، وقيل أخذه معه، فجلس يزيد على شراب!!..[٣].

ولمّا أراد معاوية أنْ يأخذ البيعة ليزيد على الناس، طلب من زياد ابن أبيه أن يأخذ بيعة المسلمين في البصرة، فكان جواب زيادٍ له: ما يقول الناس إذا دعوناهم إلى بيعة يزيد.. وهو يلعب بالكلاب والقرود، ويلبس المصبَّغات، ويُدمن الشراب، ويمشي على الدفوف، وبحضرتهمُ الحسينُ بن عليّ وعبد الله بن عبّاس وعبد الله ابن الزبير وعبد الله بن عمر؟! ولكنْ تأمره يتخلّق بأخلاق هؤلاء حَولاً أو حولين، فعسانا أن نموِّه على الناس[٤].

ولمّا حجّ معاوية وحاول أنْ يأخذ البيعة من أهل مكّة والمدينة

---

(١) الأغاني ١٦: ٦٨، وأنساب الأشراف ٤: ٣.

(٢) أنساب الأشراف ٤: ١.

(٣) الأغاني ١٤: ٦١، وتاريخ ابن الأثير ٤: ٥٠.

(٤) تاريخ اليعقوبيّ ٢: ٢٢٠. يُراجَع في أخذ معاوية البيعةَ ليزيد كتاب (الغدير للأمينيّ ج١٠: ٢٢٧ ـ ٢٥٦)، وكيف كانت!

فأبى عبد الله بن عمر وقال: نبايع مَن يلعب بالقرود والكلاب، ويشرب الخمر ويُظهر الفسوق؟![1]

وقال الإمام الحسين عليه السلام لمعاوية: «كأنّك تصف محجوباً أو تنعت غائباً، أو تخبر عمّا كان احتويته لعلمٍ خاصّ، وقد دلّ يزيد من نفسه على موقع رأيه، فخُذْ ليزيد في ما أخذ من استقرائه الكلابَ المُهارِشة عند التحارش، والحَمام السَّبق لأترابهنّ، والقينات ذوات المعازف وضروب الملاهي.. تجِدْه ناصراً، ودَعْ عنك ما تحاول!»[2].

نعم.. فشهرة يزيد أطغى مِن أن يُمَوَّه عليها. قال ابن كثير: اشتهر

---

(١) تاريخ اليعقوبيّ ٢: ٢٢٨، وإن كان عبد الله بن عمر بايع فيما بعد على يد الحجّاج، بعد أن صلب الحجّاجُ عبدَ الله بن الزبير، فأقبل عبد الله بن عمر على الحجّاج يقول له: مُدَّ يدَك لأُبايعك لعبد الملك، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: مَن مات ولم يعرف إمام زمانه مات مِيتةً جاهليّة. فأخرج الحجّاج رِجْلَه وقال: خُذْ رِجْلي؛ فإنّ يدي مشغولة! فقال ابن عمر: أتستهزئ منّي؟! قال الحجّاج: يا أحمقَ بني عَدِيّ، ما بايعتَ مع عليّ وتقول اليوم: مَن مات ولم يعرفْ إمام زمانه مات مِيتةً جاهليّة؟! أوَ ما كان عليٌّ إمامَ زمانك؟! واللهِ ما جئتَ إليَّ لِقول النبيّ، بل جئتَ مخافةَ تلك الشجرة التي صُلِب عليها ابن الزبير! (المسترشد لابن جرير الطبريّ ١٧٧. نثر الدرّ في المحاضرات للآبيّ ٢: ٦٦ ـ الباب الرابع من كلام الصحابة ـ عبدالله بن عمر. الفصول المختاره للشيخ المفيد ١٩٧. مروج الذهب للمسعودي ٢: ٣٦١. البصائر والذخائر لأبي حيّان التوحيديّ ج٨ وفيه: قال الحجّاج له: أتتخلّف عن بيعة عليّ بن أبي طالب وتبايع عبدالملك؟! بايعْ رِجْلي؛ فإنّ يدي عنك مشغولة! ومدّ إليه رِجْلَه).

(٢) الإمامة والسياسة ١: ١٧٠.

يزيد بالمعازف وشرب الخمور والغناء والصيد، واتّخاذ القيان والكلاب، والنطاح بين الأكباش والدِّباب والقرود. وما مِن يوم إلّا ويُصبح فيه مخموراً! وكان يشدّ القردَ على فرس مسرّجةٍ بحبال، ويسوق به، ويُلبس القرد قلانسَ الذهب، وكذلك الغلمان، وكان يسابق بين الخيل، وكان إذا مات القرد حزن عليه!..[١]

وقد رفض الإمام الحسين عليه السلام أنْ يساوم أو يهادن، فقال مخاطباً والي المدينة: «إنّا أهلُ بيت النبوّة، ومعدنُ الرسالة، ومختلَفُ الملائكة ومَهبِطُ الرحمة.. بنا فتَحَ الله وبنا يختم. ويزيدُ رجلٌ شارب الخمر، وقاتلُ النفس المحترمة، مُعْلِنٌ بالفِسق، ومِثْلي لا يبايع مِثلَه..»[٢].

وقال عليه السلام جواباً لمروان بن الحكم:

«﴿إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُون﴾ وعلى الإسلام السلام إذا بُليتِ الأُمّةُ براعٍ مثْلِ يزيد.

ولقد سمعتُ جدّي رسولَ الله صلى الله عليه وآله يقول: الخلافة محرّمةٌ على آل أبي سفيان، فإذا رأيتُم معاويةَ على مِنْبري فابقروا بطنَه. وقد رآه أهلُ المدينة فلم يبقروا، فابتلاهم الله بـ(يزيد) الفاسق»[٣].

---

(١) تاريخ ابن كثير ٨: ٤٣٦.

(٢) تاريخ الطبريّ ٧: ٢١٦، والكامل في التاريخ ٣: ٢٦٢.

(٣) مقتل الحسين عليه السلام، للخوارزميّ الحنفيّ ١: ١٨٥. والملهوف على قتلى ←

* قال الأُستاذ محمّد عبد الباقي سرور: لو بايع الحسينُ (يزيدَ) الفاسق المستهتر، الذي: أباح الخمر والزنا، وحطّ بكرامة الخلافة إلى مجالسة الغانيات، وعقد حلقاتِ الشراب في مجلس الحكم، والذي ألبس الكلابَ والقرود خلاخلَ مِن ذهب، ومئاتُ الأُلوف من المسلمين صرعى الجوع والحرمان.. لو بايعَ الحسينُ يزيدَ على هذا الوضع، لكانت فُتيا من الحسين بإباحة هذا للمسلمين..[1].

لقد ثار أبو عبد الله الحسين عليه السلام فشرّع حكم الجهاد في ذلك الوقت على حكم بني أُميّة قاطبة، وعلى يزيد بالذات، فاندلعت الثورات بعد واقعة كربلاء، وسرَت روح الثورة والجهاد والمقاومة في نفوس الأحرار، ولم يهدأ للأمويّين بال حتّى اندثرت دولتُهم.

وكان ممّن نهض في وجه الطاغية يزيد.. عبدُ الله ابن غسيل الملائكة حنظلة، فخطب في أهل المدينة خطبة قال فيها:

فواللهِ ما خرَجْنا على يزيد حتّى خِفنا أن نُرمى بالحجارة من

⮌ الطفوف، لابن طاووس: ٢٠. وفي معاني الأخبار: ٣٤٦ أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال مشيراً إلى معاوية: من أدرك هذا يوماً أميراً، فلْيَبقر خاصرتَه بالسيف! فرأى رجلٌ معاوية يخطب بالشام، فاخترط سيفه ومشى إليه، فحال الناس بينه وبينه، قالوا: يا عبد الله ما لك! قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: من أدرك هذا يوماً أميراً، فليبقر خاصرته بالسيف. قالوا: أتدري مَن استعمله؟ (أي من جعله عامِلَه على الشام)، قال: لا، قالوا: أمير المؤمنين «عمر»!

(١) الثائر الأوّل في الإسلام: ٧٩.

السماء! إنّ رجلاً ينكح الأُمّهاتِ والبناتِ والأخَوات، ويشرب الخمر، ويدَع الصلاة!! واللهِ لو لم يكن معي أحدٌ من الناس لَأبليتُ للهِ فيه بلاءً حسَناً.

وقد ذكر هذه الخطبة: ابنُ الأثير في (الكامل ٣: ١١٧)، وابن حجر في (الصواعق المحرقة: ١٣٢) ـ وأخرج الخبرَ عن الواقديّ من طرق عديدة وقال: وخرج على يزيد غيرُ واحد، ولم يبارك اللهُ في عمره.

وذكر الخبرَ أيضاً ابنُ سعد في (الطبقات ٥: ٤٧) فروى عن غير واحد أنّهم قالوا: لمّا وثب أهلُ المدينة ليالي الحَرّة فأخرجوا بني أُميّة عن المدينة، وأظهروا عيب يزيد بن معاوية وخلافتِه، أجمعوا على عبد الله ابن حنظلة فأسندوا أمرَهم إليه فبايعهم على الموت، وقال: يا قوم اتّقُوا الله وحدَه لا شريك له، فواللهِ ما خرَجْنا على يزيد حتّى خِفْنا أن نُرمى بالحجارةِ من السماء!! إنّ رجلاً ينكح الأُمّهات البنات والأخوات، ويشرب الخمر ويدع الصلاة، والله لو لم يكن معي واحد من الناس لَأبليتُ لله فيه بلاءً حسناً. فتواثب الناس يومئذٍ يبايعون من كلّ النواحي[1].

كان ذلك في واقعة الحرّة.. فما جرى فيها من الفظائع يا تُرىٰ؟!

---

(١) يراجع: قصّة ثورة الإمام الحسين عليه السلام في كتاب الإمامة والسياسة ٢: ٧ـ١٣.

واقعة الحَرّة !

الحرّة، واقعة وقعت في مدينة الرسول الأكرم ﷺ أو قُربَها، حين ثار أهلها على يزيد وطردوا بني أُميّة منها؛ لظلمهم وفجورهم؛ وأنكروا على يزيد فسقَه وكفره وانتهاكه لحرمات الله، ومن ذلك قتلُه سيّدَ الشهداء الإمام الحسين عليه السلام في واقعة الطفّ.. غضب يزيد، فكتب تهديداً إلى أهل المدينة جاء فيه: لئن آثرتُ أن أضعكم تحت قدَمَيَّ لأطأنّكم وطأةً أُقلّ منها عددَكم، وأتركّكم أحاديثَ تتناسخ كأحاديث عادٍ وثمود..[١].

فبعث إلى مسلم بن عقبة وقال له: سِرْ في اثنَي عشر ألفاً مِن جيش الشام إلى المدينة، فاقتلْ مَن ظفرتَ به منهم، وانهبْها ثلاثاً[٢].

وقال له أيضاً: السيفَ السيفَ، أجهِزْ على جريحهم، وأَقْبِل على مُدبرهم، وإيّاك أن تُبقيَ عليهم[٣].

وفي هذا إشارةٌ واضحة للإباحة: إباحة الدماء والأعراض والأموال!! وكان مسلم بن عقبة مستعدّاً لذلك. يقول اليعقوبيّ: طلب يزيد بن معاوية مسلمَ بن عقبة المرّيّ من فلسطين وأدخله منزله وقصّ عليه قصّة خلع أهل المدينة إيّاه، فقال مسلم: يا أميرَ المؤمنين!

---

(١) دائرة معارف القرن العشرين ٤: ٧٧٤.

(٢) يراجع: تتمّة المختصر في أخبار البشر، لابن الورديّ ١: ٢٦٢، والكامل في التاريخ.

(٣) دائرة معارف القرن العشرين ٤: ٧٧٥.

وجِّهني إليهم، فوَاللهِ لأَدَعنّ أسفلها أعلاها - يعني مدينة الرسول -[١].

فوضع مسلمُ بن عقبة السيفَ في أعناق أهل المدينة، مدينةِ المصطفى ﷺ ثلاثاً، أي ثلاثة أيّام.. فماذا كان؟!

ذكر المؤرّخون أنّ عدد قتلى (واقعة الحرّة) بلغ ألفاً وسبعمائة من وجوه الناس من قريش والأنصار والمهاجرين وأصحاب النبيّ ﷺ.. وكان ممّن أُوذِي أبو سعيد الخُدْريّ، أخرجوه فنتفوا لحيته وضربوه ضربات، ثمّ نهبوا كلَّ ما في بيته حتّى الصوف.

أمّا جابر بن عبد الله الأنصاريّ فأرادوا قتله، ثمّ أُنقذ من أيدي الغزاة.

كما ذكر المؤرّخون أنّ عدد القتلى بلغ: سبعَمائةٍ من الصحابة، وألفاً وسبعمائة من أولاد الصحابة، وعشرةَ آلاف من الموالي وغيرهم[٢].

قيل: وقُتل من سائر الناس عشرة آلاف، سوى النساء والصبيان[٣].

ورُوي عن أنس بن مالك أنّه قال: قُتل يوم الحَرّة مِن حَمَلة القرآن سبعُمائة[٤].

وجاء عن الذهبيّ أنّه كان يُؤتى بالصحابيّ ويُقال له: بايعْ على

---

(١) تاريخ اليعقوبيّ ٢: ٣٧. ويراجع كذلك: تاريخ الإسلام، للذهبيّ ٢: ٣٥٤. والإمامة والسياسة، لابن قتيبة الدينوريّ ٢: ١٣-١٦.

(٢) يراجع: دائرة المعارف الإسلاميّة الشيعيّة، لحسن الأمين ٢: ١٠.

(٣) الإمامة والسياسة - في ذكر واقعة الحرّة ٢: ٥-٧، ١٣-١٦.

(٤) تاريخ الإسلام ٢: ٣٥٩.

أنّك عبدٌ ليزيد، فيقول: أُبايع على سُنّة الله ورسوله. فلا تُقبَل منه بيعته فيُضرب عنقُه[١].. وقد قُتل ثلاثة من أصحاب النبيّ ﷺ.

وجاسَ الجندُ ديارَ الرسالة والوحي، يسعون فيها الفساد، ويُهلكون الحرث والنسل، ويعيثون ويدمّرون، ويهتكون الحرمات.. فانتشروا في الأزقّة والطرقات، ثمّ هجموا على البيوت بعد أن اختبأ فيها أهلُها.. فماذا فعلوا؟!

ما ترك جند مسلم بن عقبة بيتاً إلّا نهبوه، ثمّ منح مسلم الأمانَ لجمع من الأعيان في المدينة، فلمّا مثلوا بين يديه قتَلَهم واحداً بعد واحد[٢].

وليت الأمر انتهى عند هذا.. فما يُدمي القلوب، ويُنكّس الرؤوس، ويُندي جباه الغيارى، أنّ جيش يزيد هذا قد انتهك الأعراض على مقربةٍ من ضريح المصطفى ﷺ وحَرَمه!

لقد خطب مسلم بن عقبة في جنده قائلاً: هذه المدينة لكم مباحة ثلاثة أيّام: دماؤُها، نساؤها، أموالها!

ونادى منادٍ عن لسان مسلم بهم: يا أهل الشام! إنّ أميرَكم مسلم ابن عقبة بأمرِ أمير المؤمنين يزيد بن معاوية أباح لكم هذه المدينة كلَّها ثلاثة أيّام، ومَن زنى بامرأةٍ فذلك له!

فوقع جيش الشام في الزنا بالمسلمات.. وفيهنّ بنات المهاجرين

---

(١) تاريخ الإسلام ٢: ٣٥٩.

(٢) ناسخ التواريخ ـ المجلّد المختصّ بالإمام زين العابدين عليه السلام: ٣٤٣.

والأنصار، وفيهنّ ذوات الأزواج، وفيهنّ الأبكار والمخدَّرات! هجم عليهنّ ذئاب يزيد، فكان أن: انتُهكت بكارة ألف بنت في هذه المأساة، وحملت من التجاوز بالزنا في تلك الأيّام سبعُمائة امرأة، وقُتِل كثيرٌ من النساء على أثر مكابرتهنّ!![1]

وولدت الأبكارُ منهنّ ألفُ امرأة لا يُعرَف مَن أوْلَدَهنّ ـ كما يقول اليعقوبيّ في تاريخه ـ[2].

وكان هنالك أسْرٌ للمسلمين.. أولاد المهاجرين والأنصار، أمَرَ مسلم ابن عقبة أنْ يُثقَلُوا بالحديد، ثمّ يُدْعَوا إلى بيعة يزيد[3].

ولمّا وصلت هذه الأخبارُ المفجعة إلى يزيد.. سُرَّ بها كثيراً، وأخذ يُنشد أبياتَ عبدالله بن الزِّبعرى ـ كما أنشدها بعد قتل الحسين عليه السلام ـ:

ليت أشياخي ببدرٍ شهدوا جَزَعَ الخزرجِ مِن وَقْعِ الأسَلْ

لَأهلُّوا واستهلُّوا فرحاً ثمّ قالوا: يا يزيدُ لا تُشَلّْ[4]

وكان يزيد قد كتب من قبلُ إلى أهل المدينة: أمّا بعد، فإنّي قد حملتكم على رأسي، ثمّ على عيني، ثمّ على فمي، ثمّ على صدري (أو: بطني)، واللهِ لئن وضعتكم تحت قدَميّ لَأطأنّكم وطأةً.. أُقِلّ

---

(١) يراجع: يزيد بن معاوية فرع الشجرة الملعونة: ١١٧.

(٢) تاريخ اليعقوبيّ ٢: ٣٥٩.

(٣) دائرة معارف القرن العشرين ٤: ٧٧٩.

(٤) دائرة معارف القرن العشرين: ٧٤٤ ـ ٧٤٥.

منها عددَكم، وأترككم أحاديثَ تُنسخ مع أحاديث عادٍ وثمود![1]

ولا بأس أن نطالع ما كتبه اليعقوبيّ في تاريخه حول هذه الواقعة العجيبة، والرهيبة، والغريبة! حيث قال ـ وهو يتحدّث عن جرائم يزيد في واقعة الحَرّة وحرق الكعبة المعظّمة بالمنجنيق! ـ:

وولّى يزيدُ عثمانَ بن محمّد بن أبي سفيان المدينة، فأتاه ابن مينا عامل صوافي معاوية، فأعلمه أنّه أراد حمل ما كان يحمله في كلّ سنة من تلك الصوافي من الحنطة والتمر، وأنّ أهل المدينة منعوه من ذلك، فأرسل عثمانَ إلى جماعة منهم فكلّمهم بكلام غليظ، فوثبوا به وبمَن كان معه بالمدينة من بني أميّة، وأخرجوهم من المدينة واتّبعوهم يرجمونهم بالحجارة، فلمّا انتهى الخبر إلى يزيد ابن معاوية وجّه إلى مسلم بن عقبة، فأقدمه من فلسطين، وهو مريض، فأدخله منزله، ثمّ قصّ عليه القصّة، فقال: يا أميرالمؤمنين! وجِّهني إليهم، فوَالله لأدعَنّ أسفلَها أعلاها، يعني مدينةَ الرسول. فوجَّهه في خمسةِ آلاف إلى المدينة، فأوقع بأهلها وقعةَ الحرّة، فقاتله أهلُ المدينة قتالاً شديداً، وخَنْدقوا على المدينة، فرام ناحية من نواحي الخندق، فتعذّر ذلك عليه، فخدع مروانُ بعضهم، فدخل ومعه مائة فارس، فأتبعه الخيل حتّى دخلت المدينة، فلم يبق بها كثير أحدٍ إلّا قُتل، وأباح حَرَمَ رسول الله، حتّى ولدت الأبكار

---

(١) العقد الفريد ٢: ٢٥٦. صبح الأعشى ٦: ٣٩٠. الأخبار الموفقيّات: ١٩٧.

لا يُعرف مَن أولدهنّ! ثمّ أخذ الناس على أن يبايعوا على أنّهم عَبيدُ يزيد بن معاوية، فكان الرجل من قريش يُؤتى به فيقال له: بايعْ آيةَ أنّك عبدٌ قنٌ ليزيد، فيقول: لا! فيُضرَب عنقه.

وكان جيش مسلم خمسة آلاف رجل: من فلسطين ألف رجل عليهم روح بن زنباع الجذاميّ، ومن الأردن ألف رجل عليهم حبيش ابن دَلَجَة القينيّ، ومن دمشق ألف رجل عليهم عبد الله بن مَسعدة الفَزاريّ، ومن أهل حمص ألف رجل عليهم الحُصَين بن نُمَير السكونيّ، ومن قِنَّسْرين ألف رجل عليهم زفر بن الحارث الكلابيّ. وكان المدبّر لأمر أهل المدينة والرئيس في محاربة أهل الشام عبد الله بن حنظلة بن أبي عامر الأنصاريّ.

حرق الكعبة !!

وخرج مسلم بن عقبة من المدينة يريد مكّة لمحاربة ابن الزبير، فلمّا صار بثنيّة المُشلّل احتُضر، واستخلف الحصينَ بن نمير، وقال له: يا برذعة الحمار! لولا حبيش ابن دلجة القينيّ لما ولّيتك، فإذا قدمتَ مكّة فلا يكون عملك إلّا الوقاف، ثمّ الثقاف، ثمّ الانصراف. ثمّ قال: اللّهمّ إن عذّبتني بعد طاعتي لخليفتك يزيد بن معاوية وقتل أهل الحرّة، فإنّي إذاً لَشقيّ. ثمّ خرجَتْ نفسه فدُفن بثنيّة المُشلّل، وجاءت أمّ ولد يزيد بن عبد الله ابن زمعة، فنَبَشته وصلَبَته على المُشلِّل، وجاء الناس فرجموه، وبلغ الخبر الحصين بن نمير فرجع

فدفنه، وقَتل جماعةً من أهل ذلك الموضع، وقيل لم يَدَع منهم أحداً.

وقدم الحصين بن نمير مكّة فناوش ابنَ الزبير الحربَ في الحرم، ورماه بالنيران حتّى أحرق الكعبة. وكان عبد الله بن عمير اللّيثيّ قاضي ابن الزبير، إذا تواقف الفريقان قام على الكعبة فنادى بأعلى صوته: يا أهل الشام! هذا حرم الله الذي كان مأمَناً في الجاهليّة يأمن فيه الطير والصيد، فاتّقوا الله يا أهل الشام! فيصيح الشاميّون: الطاعةَ الطاعة! الكَرّةَ الكرّة! الرَّواحَ قبل المساء! فلم يزل على ذلك حتّى أُحرقت الكعبة، فقال أصحاب ابن الزبير: نطفئ النار. فمنعهم، وأراد أن يغضب الناس للكعبة، فقال بعض أهل الشام: إنّ الحرمة والطاعة اجتمعتا، فغلبت الطاعةُ الحرمة. وكان حريق الكعبة في سنة ٦٣هـ[١].

كتب المسعوديّ: ونَصَب الحصينُ فيمَن معه مِن أهل الشام المجانيقَ والعرّادات على مكّة والمسجد، مِن الجبال والفِجاج،.. فتواردت أحجارُ المجانيق والعرّادات على البيت الحرام، ورُميَ مع الأحجار بالنار والنفط ومشاقات الكتّان وغير ذلك من المحروقات، وانهدمت الكعبة واحترقت البُنْية، ووقعت صاعقةٌ فأحرقت مِن أصحاب المجانيق أحدَ عشَرَ رجلاً، وقيل أكثر مِن ذلك، وذلك يومَ السبت لثلاثٍ خلون مِن شهر ربيع الأوّل من سنة ٦٤ هجريّة، قبل موت يزيد بأحد عشر يوماً[٢].

---

(١) تاريخ اليعقوبيّ ٢: ٢٥٠ ـ ٢٥١.

(٢) مروج الذهب ٣: ٧١.

قتل سيّد الشهداء !!

أجل.. ومِن قَبلِ ذلك كانت ليزيد جريمة عظمى، تلك هي واقعة كربلاء، قَتَلَ فيها الإمامَ الحسين عليه السلام وأهلَ بيته وأصحابَه، وسبى نساءَه فسيّرهم مع اليتامى والأطفال إلى الكوفة ثمّ إلى الشام، ورؤوسُ الشهداء مرفوعة على أسنّة الرماح!! ونحن هنا لم ندخل في تفصيل الواقعة؛ لعِظم فجيعتها، ولطول مشاهدها المؤلمة.. فنأتي إلى ما بعدها:

* قال ابن الأثير: حتّى إذا مضت ثلاثة أيّام من شهر ربيع الأوّل سنة أربع وستّين.. رمَوا البيت بالمجانيق، وحرقوه بالنار، وأخذوا يرتجزون:

خطّارةٌ مثلُ الفَنيقِ المُزْبِدِ نرمي بها أعوادَ هذا المسجدِ[1]

ورُويَ أنّ صاعقة من السماء نزلت فأحرقتِ الموكَّلين بالمجانيق من أجناد الشام[2]. وهكذا أُحرقت الكعبة المعظّمة!

* ذكر البلاذريّ ـ عن ابن الكلبيّ وأبي مِخْنف وغيرهما ـ جملةً من مفاسد يزيد، ثمّ قالوا: ثمّ جرىٰ علىٰ يد يزيد: قتلُ الحسين، وقتلُ أهل الحَرّة، ورميُ البيت وإحراقه[3].

(١) الكامل في التاريخ ٤: ١٢٤. الإمامة والسياسة ٢: ١٩ ـ ٢٠.
(٢) ناسخ التواريخ: ٤٥١.
(٣) أنساب الأشراف ٤: ١.

مجمع المفاسد

وهنا يحسن بنا أن نذكر ما كتبه ابن عبّاس في جوابٍ له على رسالةٍ أتته من يزيد.. حيث دوّن اليعقوبيّ في تاريخه يقول:

وأخذ ابنُ الزبير عبدَ الله بن عبّاس بالبيعة له، فامتنع عليه، فبلغ يزيد بن معاوية أنّ عبد الله بن عبّاس قد امتنع على ابن الزبير، فسرّه ذلك، وكتب إلى ابن عبّاس: أمّا بعد، فقد بلغني أنّ الملحد ابن الزبير دعاك إلى بيعته، وعرض عليك الدخولَ في طاعته؛ لتكون على الباطل ظهيراً وفي المأثم شريكاً، وأنّك امتنعتَ عليه، واعتصمتَ ببيعتنا وفاءً منك لنا، وطاعةً لله فيما عرّفك من حقّنا، فجزاك الله من ذِي رَحِمٍ بأحسن ما يَجزي به الواصلين لأرحامهم؛ فإنّي ما أنْسَ من الأشياء فلست بناسٍ بِرَّك، وحسن جزائك، وتعجيلَ صِلتك بالذي أنْت منّي أهلُه في الشرف والطاعة والقرابة بالرسول. وانظر ـ رحمك الله ـ فيمَن قِبلَك من قومك، ومن يَطرُؤ عليك من الآفاق ممّن يسحره الملحدُ بلسانه وزُخْرُفِ قوله، فأعْلِمْهم حُسنَ رأيك في طاعتي، والتمسّكَ ببيعتي؛ فإنّهم لك أطْوَع، ومنك أسمع منهم للمُحلّ الملحد، والسلام.

فكتب إليه عبد الله بن عبّاس: مِن عبد الله بن عبّاس إلى يزيد بن معاوية. أمّا بعد، فقد بلغني كتابك بذكر دعاء ابن الزبير إيّاي إلى نفسه وامتناعي عليه في الذي دعاني إليه من بيعته، فإن يكُ ذلك

ـ كما بلغك ـ فلستُ حَمْدَك أردتُ ولا ودَّك، ولكنّ الله بالّذي أنوي عليم. وزعمتَ أنّك لستَ بناسٍ ودّي، فلَعمري ما تُؤتينا ممّا في يديك مِن حقّنا إلّا القليل، وإنّك لَتحبِس عنّا منه العريضَ الطويل. وسألتَني أن أحثّ الناسَ عليك وأخذّلهم عن ابن الزبير، فلا، ولا سروراً، ولا حبوراً، وأنت قتلت الحسينَ بن عليّ، بفيك الكَثْكَثُ، ولك الأثْلَب، إنّك ـ إن تُمنِّك نفسُك ذلك ـ لَعازِبُ الرأي، وإنّك لأنْتَ المُفْنِد المُهَوَّر. لا تحسَبْني ـ لا أباً لك ـ نسيتُ قتلَك حسيناً وفتيانَ بني عبد المطّلب، مصابيحِ الدُّجى، ونجوم الأعلام، غادَرَهم جنودك مصرَّعين في صعيد، مرَمّلين بالتراب، مسلوبين بالعراء، لا مكفَّنين، تسفي عليهم الرياح، وتعاورهم الذئاب، وتنشي بهم عرج الضباع، حتّى أتاح الله لهم أقواماً لم يشتركوا في دمائهم، فأجنّوهم في أكفانهم، وبي ـ واللهِ ـ وبهم عززتَ وجلست مجلسك الذي جلستَ يا يزيد!

وما أنْسَ ـ من الأشياء ـ فلستُ بناسٍ تسليطَك عليهم الدعيَّ العاهر، ابنَ العاهر، البعيد رحماً، اللّئيم أباً وأمّاً، الذي في ادّعاء أبيك إيّاه ما اكتسب أبوك به إلّا العارَ والخزيَ والمذلّة في الآخرة والأُولى، وفي الممات والمَحْيا، إنّ نبيّ الله قال: الولدُ للفراش، وللعاهرِ الحَجَر. فألحِقْه بأبيه كما يُلْحَقُ بالعفيف النقيِّ ولدُه الرشيد، وقد أمات أبوك السنّة جهلاً، وأحيا البِدعَ والأحداث المضلّة عمداً.

وما أنْسَ ـ من الأشياء ـ فلستُ بناسٍ اطّرادَك الحسينَ بن عليّ من حرم رسول الله إلى حرم الله، ودسَّك إليه الرجال تغتاله، فأشخصتَه من حرم الله إلى الكوفة، فخرج منها خائفاً يترقّب، وقد كان أعزَّ أهل البطحاء بالبطحاء قديماً، وأعزَّ أهلها بها حديثاً، وأطوعَ أهل الحرمين بالحرمين لو تبوّأ بها مقاماً واستحلّ بها قتالاً، ولكن كره أن يكون هو الذي يستحلّ حُرمةَ البيت وحرمة رسول الله، فأكبر من ذلك ما لم تكبر، حيث دسستَ إليه الرجال فيها لِيُقاتَل في الحرم. وما لم يكبر ابن الزبير حيث ألحد بالبيت الحرام وعرضه للعائر وأراقل العالم، وأنت؟ لأنت المستحِلّ فيما أظنّ بل لا شكّ فيه أنّك لَلْمُحَرِّفُ العرّيف؛ فإنّك حِلْفُ نسوة، صاحب مَلاهٍ، فلمّا رأى سوء رأيك شَخَص إلى العراق، ولم يبتغك ضراباً، وكان أمر الله قَدَراً مقدوراً.

ثمّ إنّك الكاتب إلى ابن مرجانة أن يستقبل حسيناً بالرجال، وأمرتَه بمعاجلته، وتركِ مطاولته، والإلحاح عليه، حتّى يقتله ومَن معه من بني عبد المطّلب، أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، فنحن أولئك لسنا كآبائك الأجلاف الجفاة الأكباد الحمير!

ثمّ طلب الحسين بن عليّ إليه الموادعة، وسألهم الرجعة، فاغتنمتم قلّة أنصاره، واستئصال أهل بيته، فعدوتم عليهم، فقتلوهم

كأنّما قتلوا أهل بيت من التُّرك والكفر، فلا شيء عندي أعجب من طلبك ودّي ونصري، وقد قتلتَ بني أبي، وسيفُك يقطر من دمي، وأنت آخَذُ ثأري، فإن يشإ اللهُ لا يطلّ لديك دمي ولا تسبقني بثأري، وإن سبقتني به في الدنيا، فقَبلَنا ما قُتل النبيّون وآلُ النبيّين، وكان الله الموعد، وكفى به للمظلومين ناصراً، ومن الظالمين منتقماً، فلا يعجبنّك أن ظفرتَ بنا اليوم، فواللهِ لنظفرنّ بك يوماً.

فأمّا ما ذكرتَ من وفائي، وما زعمتَ من حقّي؛ فإن يك ذلك كذلك، فقد ـ واللهِ ـ بايعتُ أباك، وإنّي لأعلم أنّ ابنَي عمّي وجميع بني أبي أحقُّ بهذا الأمر من أبيك، ولكنّكم ـ معاشرَ قريش ـ كاثَرْتُمونا، فاستأثرتم علينا سلطاننا، ودفعتمونا عن حقّنا، فبُعداً على من يجترئ على ظُلمِنا، واستغوى السفهاء علينا، وتولّى الأمرَ دوننا! فبُعداً لهم كما بَعُدتْ ثمود، وقومُ لوط، وأصحاب مدين، ومكذّبو المرسَلين!

ألا ومِن أعجب الأعاجيب، وما عشتَ أراك الدهرُ العجيبَ، حملُك بنات عبد المطلب وغلَمةً صغاراً من ولده إليك بالشام كالسبيّ المجلوب، تُري الناسَ أنّك قهرتنا، وأنّك تأمر علينا، ولَعمري لئن كنتَ تُصبح وتُمسي آمناً لجرح يدي، إنّي لأَرجو أن يعظم جراحك بلساني ونقضي وإبرامي، فلا يستقرّ بك الجدل، ولا يمهلك الله بعد قتلك عترةَ رسول الله إلّا قليلاً، حتّى يأخذَك أخذاً

أليماً، فيُخرجك الله من الدنيا ذميماً أثيماً، فعِشْ لا أباً لك، فقد ـ واللهِ ـ أرداك عند الله ما اقترفت. والسلام على من أطاع الله[1].

ثمّ ماذا نقول حول يزيد هذا؟! وقد ولّى على رقاب المسلمين الوليدَ ابن عُتبة بن أبي سفيان على المدينة المنوّرة، وعمرَو بن سعيد بن العاص الأشدق على مكّة ثمّ على المدينة، وعبيدَ الله بن زياد على البصرة ثمّ على الكوفة[2].. وجملة من السفّاحين والمفسدين والسُّرّاق؟! ففعل ما فعل، وفعلوا ما فعلوا، في حكم ثلاث سنوات وتسعة أشهر فقط.. في السنة الأُولى كانت فاجعة كربلاء، وفي السنة الثانية كانت إباحة المدينة في واقعة الحَرّة، وفي السنة الثالثة كان إحراق الكعبة المشرّفة!!!

ولِمَ لا يفعل ذلك؟! ويزيد مستشارُه رجل مسيحيّ مشبوه من نصارى الرومان، اسمه (سرجون)، كان مشاورَ أبيه معاوية مِن قبل وموضعَ أسراره وشريك مخطّطاته.. فما يُنتظَر غيرُ الفتك بالمسلمين، وهتك الحرمات والمقدّسات، ومَلْءِ السجون بالأبرياء والبريئات؟!

ثمّ ماذا يُنتظَر مِن أهل البيت عليهم السلام إلّا إنقاذ الإسلام من المحرّفين، وإنهاض المسلمين من الذلّة والمهانة؟!

---

(١) تاريخ اليعقوبيّ ٢: ٢٤٧ ـ ٢٥٠.

(٢) يراجع: كربلاء بين الحقائق والأوهام، تأليف إبراهيم إشكناني: ٧٠ ـ ٧٨.

وهنا نترك القلم للسيّد عبد الرزّاق الموسويّ المقرّم؛ ليضع يزيدَ في ميزان الاعتدال، ويجول بنا في آراء علماء أهل السنة حوله.. حيث كتب يقول:

لقد كان بين الله سبحانه وتعالى وبين أوليائه المخلصين أسرارٌ غامضة تنبو عنها بصائر غيرهم وتنحسر أفكار القاصرين، حتّى أعمَتْهم العصبيّة فتجرّأوا على قُدْس المنقذ الأكبر، وأَبَوا إلّا الركونَ إلى التعصّب الشائن، فقالوا: إنّ الحسين قُتل بسيف جدّه، لأنّه خرج على إمام زمانه (يزيد) بعد أن تمّت البيعة له وكملت شروط الخلافة بإجماع أهل الحلّ والعقد، ولم يظهر منه ما يَشينه ويُزري به![1]

وقد غفل هذا القائل عن أنّ ابن ميسون (يزيد) لم يكن له يومُ صلاحٍ حتّى يَشينه ما يبدو منه، وليس لطامّاته ومخازيه قبلُ وبعد،

---

(١) العجب من التزام القائل بصحّة خلافة يزيد وهو يقرأ حديثَ النبيّ ﷺ: «لا يزال أمرُ أُمّتي قائماً بالقسط حتّى يكون أوّلَ مَن يثلمه رجلٌ من بني أميّة يقال له «يزيد»». رواه ابن حجر في (مجمع الزوائد ٥: ٢٤١) عن مسند أبي يَعلى والبزّاز، وفي (الصواعق المحرقة: ١٣٢) عن مسند الرويانيّ عن أبي الدرداء عنه ﷺ: «أوّل مَن يبدّل سُنّتي رجلٌ مِن بني أميّة يقال له «يزيد»». وفي كتاب الفتن من (صحيح البخاري) باب قول النبيّ ﷺ: «هلاك أُمّتي على يَدَي أُغَيلمةٍ من أمّتي». وعن أبي هريرة قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «هَلَكة أمّتي على يَدَي غلمةٍ من قريش»، قال ابن حجر في شرح الحديث من (فتح الباري ٣: ٧): كان أبو هريرة يمشي في السوق ويقول: اللّهمّ لا تُدركني سَنةَ ستّين ولا إمارة الصبيان! قال ابن حجر: أشار بذلك إلى خلافة يزيد؛ فإنّها في سنة ستّين ولم يتعقّبه.

وقد ارتضع دَرَّ ثَدْي (الكلبيّة) المزيجَ بالشهوات، وتربّى في حِجْر مَن لُعِن على لسان الرسول الأقدس[١] وأمرَ الأمةَ بقتله متى شاهدَتْه متسنّماً صهوةَ مِنبره[٢]، ولو امتثلت الأمة الأمرَ الواجب لأمِنت العذاب الواصب المطلّ عليها من نافذة بدع الطاغية ومن جرّاء قسوته المبيدة لها، لكنّها كفرت بأنعُم الله فطفقت تستمرئ ذلك المورد الوبيء ذعافاً ممقراً، فألبسها الله لباس الخوف وتركها ترزح تحت نير الاضطهاد، وترسف في قيود الذلّ والاستعباد، ونَصْب عينها استهتار الماجنين وتهتّك المنهمكين بالشهوات، وكلُّ ما تنضح به الآنية الأُمويّة الممقوتة.. شبَّ (يزيد الأهواء) بين هاتيك النواجم من مظاهر الخلاعة.

---

(١) في (تاريخ الطبريّ ١١: ٣٥٧ ـ حوادث سنة ٢٨٤)، و (تاريخ أبي الفداء ٢: ٥٧ ـ حوادث سنة ٢٣٨ هـ)، وكتاب (صفّين لنصر: ٢٤٧) ـ طبعة مصر، و(تذكرة الخواصّ) لسبط ابن الجوزيّ: ١١٥ ـ: أنّ رسول الله ﷺ رأى أبا سفيان على جمل وابنُه يزيد يقوده ومعاوية يسوقه، فقال: «لعَنَ اللهُ الراكبَ والقائدَ والسائق».

(٢) في (تاريخ بغداد للخطيب البغداديّ ١٢: ١٨١) و (تهذيب التهذيب لابن حجر ٢: ٤٢٨ و٥: ١١٠) و (تاريخ الطبريّ ١١: ٣٥٧) وكتاب (صفّين: ٢٤٣ و٢٤٨) و (شرح النهج الحديديّ ١: ٣٤٨) و (كنوز الدقائق للمناوي) على هامش (الجامع الصغير ١: ١٨) و (اللآلئ المصنوعة للسيوطي ١: ٣٢٠ ـ كتاب المناقب) وفي (ميزان الاعتدال للذهبيّ ١: ٢٦٨ ـ في ترجمة الحكم بن ظهير و٢: ١٢٩ ـ ترجمة عبدالرزّاق بن همّام) وفي (سير أعلام النبلاء ٣: ٩٩ ـ ترجمة معاوية) و (مقتل الحسين للخوارزميّ ١: ١٨٥ ـ الفصل ٩) و (تاريخ أبي الفداء ٢: ٥٧ ـ حوادث سنة ٢٨٣ هـ).. قال رسول الله ﷺ: «إذا رأيتُم معاويةَ على مِنْبري فاقتلوه».

ولقد أعرب عن كلِّ ما أضمره من النوايا السيّئة على الإسلام والصادع به جذلاً بخلاء الجوّ له، فيقول الآلوسيّ:

مَن يقول أنّ يزيد لم يعصِ بذلك ولا يجوز لعنُه فينبغي أن ينتظم في سلسلة أنصار يزيد، وأنا أقول: إنّ الخبيث لم يكن مصدِّقاً بالرسالة للنبيّ ﷺ، وإنّ مجموع ما فعله مع أهلِ حَرَم الله وأهل حرم نبيّه ﷺ وعترته الطيّبين الطاهرين في الحياة وبعد الممات، وما صدر منه من المخازي ليس بأضعفَ دلالةً على عدم تصديقه من إلقاء ورقة من المصحف الشريف في قَذَر! ولا أظنّ أنّ أمره كان خافياً على أجلّة المسلمين إذ ذاك، ولو سُلِّم أنّ الخبيث كان مسلماً فهو مسلم جمع من الكبائر ما لا يحيط به نطاق البيان. وأنا أذهب إلى جواز لعن مِثله على التعيين، ولو لم يُتصَوَّر أن يكون له مِثْلٌ من الفاسقين! والظاهر أنّه لم يتب، واحتمال توبته أضعف من إيمانه.

ويُلحق به ابنُ زياد وابن سعد وجماعة، فلعنة الله عليهم وعلى أنصارهم وأعوانهم وشيعتهم ومَن مال إليهم إلى يوم الدين، ما دمعت عينٌ على أبي عبدالله الحسين عليه السلام. ويعجبني قول شاعر العصر ذي الفضل الجليّ عبد الباقي أفندي العمريّ الموصليّ، وقد سُئل عن لعن يزيد فقال:

يزيد على لعني عريضٌ جَنابُهُ فأغدو به طولَ المدى ألعنُ اللَّعنا

ومن خشيَ القيل والقال من التصريح بلعن ذلك الضِّلِّيل فليقلْ:

لَعَن اللهُ عزّ وجلّ مَن رضيَ بقتل الحسين عليه السلام ومن آذى عترة النبي صلى الله عليه وآله بغير حقّ ومَن غصَبَهم حقَّهم، فإنّه يكون لاعناً ليزيد؛ لدخوله تحت العموم دخولاً أوّليّاً في نفس الأمر، ولا يخالف أحدٌ في جواز اللّعن بهذه الألفاظ ونحوها سوى ابن العربيّ المارّ ذِكرُه ومُوافقيه، فإنّهم على ظاهر ما نُقل عنهم لا يجوّزون لعنَ من رضيَ بقتل الحسين، وذلك لَعَمري هو الضلال البعيد، الذي يكاد يزيد على ضلال يزيد!

ثمّ قال الآلوسيّ: نقل البرزنجيّ في (الإشاعة) والهيثميّ في (الصواعق) أنّ أحمد بن حنبل لمّا سأله ابنُه عبد الله عن لعن يزيد قال: كيف لا يُلعَن مَن لعَنَه الله في كتابه؟! فقال عبد الله: قرأتُ كتاب الله عزّ وجلّ، فلم أجد فيه لعن يزيد! فقال أحمد: إنّ الله يقول: ﴿**فَهَلْ عَسَيْتُم إنْ تَوَلَّيتُم أن تُفسِدوا في الأرضِ وتُقطِّعُوا أرحامَكُم * أُولئكَ الَّذينَ لعَنَهُمُ اللهُ**﴾[1]، أيُّ فساد وقطيعة أشدّ ممّا فَعلَه «يزيد»؟!

وقد جزم بكفره وصرّح بلعنِهِ جماعةٌ من العلماء، منهم: القاضي أبو يَعلىٰ والحافظ ابن الجوزيّ[2]، وقال التفتازانيّ: لا نتوقّف في شأنه بل في إيمانه، لعنة الله عليه وعلى أنصاره وأعوانه. وصرّح بلعنه جلال الدين السيوطيّ.

---

(١) سورة محمّد صلى الله عليه وآله: ٢٢، ٢٣.

(٢) يُراجع كتابه: الردّ على المتعصّب العنيد المانع عن لعن يزيد.

وفي (تاريخ ابن الورديّ) وكتاب (الوافي بالوفيات): لمّا وَردَ على يزيد نساءُ الحسين وأطفاله والرؤوس على الرماح، وقد أشرف على ثنيّة (جيرون) ونعب الغراب قال:

لَمّا بَدَتْ تلك الحمولُ وأشرقَتْ
تلك الشموسُ على رُبىٰ جِيرُونِ
نَعَبَ الغرابُ فقلتُ: قلْ أو لا تقلْ
فلقَدْ قَضيتُ من النبيِّ دُيوني

يعني أنّه قتل بمن قتلَهَ رسولُ الله يومَ بدر، كجدِّه عُتبة وخالِه وَلَد عتبة وغيرهما، وهذا كفر صريح، فإذا صحّ عنه فقد كفر به، ومثلُه تمثّلُه بقول عبد الله بن الزِّبَعْرىٰ قبل إسلامه (ليتَ أشياخي..) الأبيات، انتهى[١].

إلى كثيرٍ من موبقاته وإلحاده، فاستحقّ بذلك اللّعنَ مِن الله وملائكته وأنبيائه، ومَن دان بهم من المؤمنين إلى يوم الدين، ولم يتوقّف في ذلك إلّا مَن حُرِم ريحَ الإيمان وأعمته العصبيّةُ عن السلوك في جادة الحقّ فأخذ يتردّد في سيره، حيران لا يهتدي إلى طريق، ولا يخرج من مضيق[٢].

---

(١) تفسير روح المعاني للآلوسيّ ٢٦: ٧٣ ـ في ظلّ قوله تعالى: «فَهَلْ عَسَيْتُم إنْ تولّيتُم..».

(٢) مقتل الحسين عليه السلام، للسيّد عبدالرزّاق المقرّم: ٢٨ ـ ٣١.

أجَل.. وكيف لا يُلعَن مَن جاء بأكبر الكبائر: قتلِ وليّ الله، وإحراقِ بيت الله، وكلِّ مَفسدةٍ ومُوبقة، وهتكٍ للحرمات؟! وقد قال رسول الله ﷺ: «لم يَعمل ابنُ آدم عملاً أعظمَ عند الله تعالى مِن رجلٍ: قَتلَ نبيّاً أو إماماً، أو هدَمَ الكعبةَ التي جعَلَها اللهُ قِبلةً لعباده، أو أفرغَ ماءَه في امرأةٍ حراماً!!»[1].

● جاء في كتاب (ليالي بِيشاوَر) قول مؤلّفه السيّد محمّد الموسويّ الشيرازيّ: أيّ منصفٍ عادلٍ يُبرّر يزيد مِن دم السبط الشهيد؟! ولَنِعم ما قال أبو العلاء المعرّيّ:

أرى الأيّامَ تفعلُ كلَّ نُكْرٍ فما أنا في العجائبِ مُستزيدُ

أليس قريشُكم قتَلَت حسيناً وكان علىٰ خلافتِكم يزيدُ؟!

وأمّا قولُك (خطاب السيّد الموسويّ موجَّه لمن كان يناظره) بأنّ قتلَ الحسين ريحانةِ رسول الله وحوادث كربلاء الدامية لم تكن بأمره، وأنّه اعتذر مِن أهل البيت، وتاب، واستغفر مِن فعل ابن زياد.. فأقول: لو كان كما تقول، فلماذا لم يعزل ابنَ زيادٍ من ولاية الكوفة والبصرة، ولماذا لم يعاقب قَتَلَة أولاد رسول الله ﷺ والمُباشِرين لواقعة عاشوراء؟! ثمّ مِن أين تقولون بأنّه تاب

---

(١) مَن لا يحضره الفقيه ٣: ٣٦٤/ ح١٧٣٤ و٤: ١٢/ ح١٠، الخصال ١٢٠/ ح١٠٩ ـ باب الثلاثة، روضة الواعظين لابن الفتّال ٤٦١، جامع الأحاديث للقمّيّ الإيلاقيّ ٢٣٠/ ح١٥٠ ـ كتاب الغايات، ـ عنه: مستدرك وسائل الشيعة ٣: ١٧٩/ ح٣٢٩٩.

واستغفر ؟! وكيف تجزمون وتُحتّمون على الله سبحانه تَقبُّلَ توبته ؟!

ثمّ إنّ جنايات يزيد لم تنحصر في قتلِ السبط الشهيد وسَبْيِ عياله ونهب أمواله وحرق خيامه، فقد عُرِف عنه إنكاره لضروريّات الدِّين، ومخالفته للقرآن الكريم، وتظاهره بالفِسق والفجور.

ومن الدلائل الواضحة علىٰ كفر يزيد بن معاوية مخالفتُه لحكم الله عزّ وجلّ في: الخمرة التي حرّمها الله، فإنّه كان يشربها، ويتجاهر بها، ويتفاخر بعصيانه مُنْشِداً أشعارَه فيها، كما في ديوانه المطبوع:

شميمة كَرْمٍ بُرجُها قعرُ دنّها
فمَشرقُها الساقي ومَغربُها فمي

فإن حَرُمت يوماً علىٰ دِينِ أحمدٍ
فَخُذْها علىٰ دِينِ المسيحِ ابنِ مريمِ!

وله أيضاً ـ كما في ديوانه ـ:

أقولُ لِصَحْبٍ ضَمّتِ الكأسُ شَملَهُم
وداعي صباباتِ الهوىٰ يَترنّمُ

خذوا بنصيبٍ مِن نعيمٍ ولَذّةٍ
فكلٌّ ـ وإن طالَ المَدىٰ ـ يتصرّمُ

فيدعو فيها إلىٰ لذّة الدنيا ونعيمها ويُنكر الآخرة! وله في ذلك أيضاً ـ كما في كتاب (الردّ على المتعصّب العنيد المانع عن لعن يزيد) لابن الجوزيّ ـ:

عَـــلِيّة هـــاتي نـــاوِلي وتـــرنّمي

حـــديثَكِ إنّـــي لا أُحبّ التـــناجيا

فـــإنّ الذي حـدّثتِ عـن يـومِ بـعثِنا

أحـاديثُ زُورٍ تـترك القـلبَ سـاهيا

وهذا كفْرٌ صريحٌ مِن يزيد.. ومِن كفريّاته المشهورة:

يـا مـعشرَ النُّـدمانِ قـوموا واسـمعوا صـوتَ الأغـاني

واشـــربوا كأسَ مُـدامٍ واتـركوا ذِكـرَ المـعاني

شــغَلَتْني نــغمةُ العِــيدانِ عــن صــوتِ الأذانِ!

وتــعوّضتُ عــن الحُــورِ عــجوزاً فــي الدِّنــانِ!

ومن الدلائل الواضحة علىٰ كفر يـزيد أشعارُه الإلحـاديّة التـي أنشدها بعد مقتل السبط الشهيد سيّد شباب أهـل الجـنّة الإمـام الحسين عليه السلام، فقد ذكر سبط ابن الجوزيّ في كتابه (تذكرة الخواصّ: ١٤٨) ناقلاً عن يزيد قولَه:

لمّــا بَــدَت تــلك الرؤوسُ وأشــرقَتْ

تــلك الشــموسُ عــلىٰ رُبـىٰ جِـيرُونِ

نــعَبَ الغــراب، فـقلتُ: نُـح أو لا تَـنحْ

فــلَقَد قـضيتُ مِــن النـبيِّ دُيــوني

ومن الدلائل الواضحة على كـفره الصـريح ـ كـما ذكـر جـميع المؤرّخين ـ أنّ يزيد احتفل بقتل الإمام أبي عـبدالله الحسـين عليه السلام،

ودعا كبار اليهود والنصارىٰ، وجعل يُنشد هذه الأبيات ورأسُ السبط الشهيد أمامَه:

ليت أشياخي ببدرٍ شَهِدوا جَزَعَ الخزرجِ مِن وَقْعِ الأسَلْ
لَأهلُّوا واستهلُّوا فَرَحاً ثمّ قالوا: يا يزيدُ لا تُشَلْ
قد قَتلْنا القَرْمَ مِن ساداتِهِم وعَدَلناه ببدرٍ فاعتَدَلْ
لَعِبَتْ هاشمُ بالمُلْكِ فلا خبرٌ جاءَ ولا وحيٌ نَزَلْ
لستُ مِن خِندفَ إن لم أنتقمْ مِن بني أحمدَ ما كانَ فَعَلْ
قد أخَذْنا مِن عليٍّ ثأرَنا وقَتلْنا الفارسَ اللَّيثَ البَطَلْ

(ثمّ وجّه السيّد محمّد الموسويّ خطابَه إلى مناظريه قائلاً لهم:)

ولقد ذكر بعض أعلامكم، مثل: أبي الفرج ابن الجوزيّ، والشَّبراويّ الشافعيّ في كتابه (الإتحاف بحبّ الأشراف ص١٨)، والخطيب الخوارزميّ الحنفيّ في الجزء الثاني من كتاب (مقتل الحسين عليه السلام)، وغيرُهم، صرّحوا بأنّ يزيد كان يضرب ثنايا أبي عبدالله الحسين بمخصرته، ويترنّم بهذه الأبيات التي نقلناها.

وقد قال كثيرٌ مِن أعلامكم بكفر يزيد، منهم: أحمد بن حنبل، وكثيرٌ منهم أجازوا لعنَه، منهم: ابن الجوزيّ الذي ألّف كتاباً باسم: (الردّ على المتعصّب العنيد المانع عن لعن يزيد)، كما نقل كثيرٌ من المؤرّخين أعمالاً ليزيد منافيةً لتعاليم القرآن وأحكام الإسلام، حيث ذكر: الدَّميريّ في كتابه (حياة الحيوان)، والمسعوديّ في (مروج

الذهب)، وغيرُهما: أنّ يزيد بن معاوية كان يملك قروداً كثيرة، وكان يُحبّها فيُلبسها الحرير والذهب، ويُركبها فوق الخيل، كما كانت له كلابٌ كثيرة أيضاً، كان يقلّدها قلائدَ مِن ذهب، ويسقيها الماء بأوانٍ ذهبيّة، ثمّ يشرب سُؤرَها، وكان مُدمِناً على الخمر!

قال المسعوديّ في (مروج الذهب ـ الجزء الثاني): لقد كانت سيرةُ يزيد كسيرةِ فرعون، بل كان فرعون أقلَّ ظُلماً مِن يزيد للرعيّة، وقد أصبحت حكومته عاراً كبيراً على الإسلام؛ لأنّه ارتكب أعمالاً شنيعة: كشُرب الخمرة في العلن، وقتلِ سبط رسول الله ﷺ وسيّد شباب أهل الجنّة، ولعنِ وصيِّ خاتم النبيّين ﷺ أميرالمؤمنين عليّ ابن أبي طالب عليه السلام على المنابر، وقذفِ الكعبة بالحجارة وهدمها وحرقها، وإباحتِه المدينة المنوّرة مدينة رسول الله ﷺ في وقعة الحَرّة، وارتكب من الجنايات والمنكرات والفجور والمُوبقات ما لا يُعَدّ ولا يُحصىٰ[1]!

وهنا نعود ـ مرّةً أُخرىٰ ـ إلى السيّد عبدالرزّاق المقرّم لنقرأ له في (مقتل الحسين عليه السلام) قولَه:

ولم يتوقّف المحقّقون من العلماء في كفر يزيد وزندقته، فيقول ابنُ خلدون: غلط القاضي أبو بكر ابنُ العربيّ المالكيّ إذ قال في

(١) ليالي بيشاور، تأليف: سلطان الواعظين السيّد محمّد الموسويّ الشيرازيّ طاب ثراه ص١٢١ ـ ١٢٣.

كتابه (العواصم والقواصم): إنّ الحسين قُتل بسيف شرعه! غفلةً منه عن اشتراط الإمام العادل في الخلافة الإسلاميّة، ومَن أعدلُ من الحسين في زمانه وإمامته وعدالته في قتال أهل الآراء؟! وفي ص٢٥٤ ذكَرَ ابن خلدون الإجماعَ على فِسق يزيد، ومعه لا يكون صالحاً للإمامة، ومِن أجله كان الحسين عليه السلام يرى من المُتعيَّن الخروجَ عليه. وقعود الصحابة والتابعين عن نصرة الحسين لا لعدم تصويب فعله.. فلا يجوز نصرة يزيد بقتال الحسين بل قتلُه من فعلات يزيد المؤكِّدة لفسقه، والحسينُ فيها شهيد[١].

* ويقول ابن مُفلح الحنبليّ: جوّز ابنُ عقيل وابن الجوزيّ الخروجَ على الإمام غير العادل، بدليلِ خروج الحسين على يزيد لإقامة الحقّ. وذكره ابن الجوزيّ في كتابه (السرّ المَصون) من الاعتقادات العامّيّة التي غلبت على جماعة من المنتسبين إلى السنّة، فقال: ولو نظروا في السِّيَر لعلموا كيف عُقِدت البيعة ليزيد، وألزم الناسَ بها، ولقد فعل مع الناس في ذلك كلَّ قبيح. ثمّ لو قدّرنا صحّةَ خلافة يزيد، فقد بدرت منه بوادر، وظهرتْ منه أمور كلٌّ منها يُوجِب فَسْخَ ذلك العقد: مِن نَهْبِ المدينة، ورميِ الكعبةِ بالمنجنيق، وقتلِ الحسين وأهل بيته وضربِه على ثناياه بالقضيب

---

(١) مقدّمة ابن خلدون ص٢٥٤ و٢٥٥ ـ عند ذِكر ولاية العهد.

وحمل رأسه على خشبة، وإنّما يميل إلى هذا جاهلٌ بالسيرة عاميٌّ المذهب يظنّ أنّه يغيظ بذلك الرافضة![١]

* وقال التفتازانيّ: الحقّ أنّ رضى يزيد بقتل الحسين واستبشاره به وإهانته أهلَ بيت النبي ﷺ ممّا تواتر معناه، وإن كانت تفاصيله آحاداً فنحن لا نتوقّف في شأنه بل في إيمانه، لعنة الله عليه وعلى أنصاره وأعوانه[٢].

* وقال ابن حزم: قيام يزيد بن معاوية لغرض دنيا فقط، فلا تأويل له، وهو بغيٌ مجرّد[٣].

* ويقول الشوكانيّ: لقد أفرط بعض أهل العلم فحكموا بأن الحسين السبط ـ رضيَ الله عنه وأرضاه ـ باغٍ على الخِمّير السكّير الهاتك لحرمة الشريعة المطهّرة يزيد بن معاوية، لعنهم الله. فيا للعجب من مقالات تقشعرّ منها الجلود، ويتصدّع من سماعها كلّ جلمود![٤]

* وقال الجاحظ: المنكرات التي اقترفها يزيد، مِن: قتلِ الحسين وحملِه بنات رسول الله ﷺ سبايا، وقرعِه ثنايا الحسين بالعود، وإخافته أهلَ المدينة، وهدم الكعبة.. تدلّ على القسوة والغلظة

(١) الفروع في تصحيح الفروع، لابن مفلح المقدسيّ ٦: ١٥٣ ـ باب قتال أهل البغي.
(٢) شرح العقائد النسفيّة: ١٨١ ـ طبع الآستانة في تركيا، سنة ١٣١٣ هـ.
(٣) المُحلّى ١١: ٩٨.
(٤) نيل الأوطار ٧: ١٤٧.

والنَّصْب وسوء الرأي والحقد والبغضاء والنفاق والخروج عن الإيمان، فالفاسق ملعون، ومَن نهى عن شتم الملعون فملعون![١]

* ويحدّث البرهان الحلبيّ أن الشيخ محمّد البكريّ تَبعاً لوالده كان يلعن يزيد ويقول: زاده الله خزياً وضَعة، وفي أسفل سِجّين وَضَعه[٢].

كما لعنه أبو الحسن عليُّ بن محمّد الكياهراسيّ وقال: لو مُدِدتُ ببياض لَمَددتُ العنان في مخازي الرجل[٣]. وحكى ابن العماد عنه أنّه سُئل عن يزيد بن معاوية فقال: لم يكن من الصحابة؛ ولأحمد فيه قولان تلويح وتصريح، ولمالك قولان تلويح وتصريح، ولأبي حنيفة قولان تلويح وتصريح، ولنا قول واحد تصريح دون تلويح! وكيف لا يكون كذلك وهو اللّاعب بالنَّرْد ومدمن الخمر وشِعره في الخمر معلوم[٤].

* ويقول الدكتور علي إبراهيم حسن: كان يزيد من المتّصفين بشرب الخمر واللّهو والصيد[٥].

---

(١) رسائل الجاحظ: ٢٩٨ ـ الرسالة الحادية عشرة في بني أميّة.

(٢) السيرة الحلبيّة، للحلبيّ.

(٣) وفيات الأعيان لابن خلّكان ـ ترجمة عليّ بن محمّد بن عليّ الكياهراسيّ. ومرآة الجِنان لليافعيّ ٣: ١٧٩ ـ طبعة سنة ٥٠٤ هـ.

(٤) شذرات الذهب لابن العماد الحنبليّ ٣: ص١٧٩ ـ طبعة سنة ٥٠٤ هـ.

(٥) تاريخ الإسلام العامّ: ٢٧٠ ـ الطبعة الثالثة.

* وقال الذهبيّ في (سير أعلام النبلاء): كان يزيد بن معاوية ناصبيّاً فظّاً غليظاً جلفاً، يتناول المسكر، ويفعل المنكر، افتتح دولته بقتل الشهيد الحسين وختمها بوقعة الحَرّة، فمَقَته الناس ولم يُبارَك في عمره[١].

* وقال الشيخ محمّد عبده: إذا وُجِدت في الدنيا حكومةٌ عادلة تقيم الشرع، وحكومة جائرة تعطّله، وجب على كلّ مسلم نصرُ الأُولى. ثمّ قال: ومن هذا الباب خروجُ الإمام الحسين سبط الرسول ﷺ على إمام الجَور والبغي ـ الذي وَليَ أمرَ المسلمين بالقوّة والمكر ـ يزيد بن معاوية خذله الله وخذل مَن انتصر له من الكراميّة والنواصب[٢].

* وقال ابن تغري بردى الحنفيّ: كان يزيد فاسقاً مُدمِنَ الخمر[٣].

* وقال سبط ابن الجوزيّ: سُئل ابن الجوزيّ (أي جدّه لأُمّه أبي الفَرَج عبد الرحمان بن الجوزيّ) عن لعن يزيد فقال: أجاز أحمد (بن حنبل) لعنَه، ونحن نقول: لا نحبّه؛ لِما فعل بابن بنت نبيّنا وحملِهِ آلَ رسول الله ﷺ سبايا إلى الشام على أقتاب الجِمال، وتجرِّيه على آل رسول الله، فإن رضِيتم بهذه المصالحة بقولنا لا

---

(١) نقله عنه في (الروض الباسم للوزير اليماني ٢: ٣٦).
(٢) تفسير المنار ١: ٣٦٧ ـ في ظلّ الآية ٣٧ من سورة المائدة، وج ١٢: ١٨٣ و ١٨٥.
(٣) النجوم الزاهرة ١: ١٦٣.

نحبّه، وإلّا رجعنا إلى أصل الدعوى وهو جواز لعنته[١]،[٢].

أجَل .. فلم يَسلم من يزيد .. لا الإسلام، ولا المسلمون. وذلك ما حذّر منه الرسول المكرّم ﷺ ونبّه إلى خطر أبي سفيان ومعاوية، ثمّ خطر يزيد!

* روى ابن حجر، قال: أخرج الرويانيّ في مسنده عن أبي الدرداء، قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: أوّل مَن يبدّل سُنّتي رجلٌ مِن بني أُميّة يُقال له «يزيد»[٣].

فلم يحكم بالقرآن، بل حكم بخلافه.. وقد قال تعالى: ﴿وَمَن لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾[٤]، ﴿وَمَن لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[٥]، ﴿وَمَن لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[٦].

وأمّا كفر يزيد فلْيقرّره أهل السنّة بإنصاف، دون حَيفٍ أو إجحاف:

* روى المؤرّخون: أنّ يزيد بن معاوية كان جالساً في منظرةٍ

---

(١) مرآة الزمان ٨: ٤٩٦ ـ طبعة حيدرآباد، الهند.

(٢) مقتل الحسين عليه السلام للسيّد عبدالرزّاق الموسويّ المقرّم: ٣١ ـ ٣٣.

(٣) الصواعق المحرقة: ١٣٢.

(٤) سورة المائدة: ٤٤.

(٥) سورة المائدة: ٤٥.

(٦) سورة المائدة: ٤٧.

على «جيرون»، فلمّا رأى السبايا والرؤوس على أطراف الرماح ـ جِيء بهم من كربلاء ـ وقد أشرفوا على جيرون.. نعب غراب، فأنشأ يزيد يقول:

لمّا بدتْ تلك الحمولُ وأشرقتْ

تلك الرؤوس على شَفا جيرونِ

نَعَبَ الغرابُ فقلتُ: قلْ أو لا تقلْ

فَقدِ اقتضيتُ من الرسول دُيوني

قال السيّد عبد الرزّاق المقرّم ﷺ: ومِن هنا حكمَ ابنُ الجوزيّ والقاضي أبو يعلى والتفتازانيّ وجلال الدين السيوطيّ بكفره ولعنه[1].

كيف ؟!

* وقال الآلوسيّ: أراد يزيد بقوله: فقد اقتضيتُ من الرسول ديوني، أنّه قتلَ بما قتله رسولُ الله ﷺ يوم بدر، كجدّه عتبة وخاله وغيرهما، وهذا كفر صريح. ومِثلُه تمثّلُه بقول ابن الزِّبعرى قبل إسلامه (ليت أشياخي..) الأبيات[2].

ولكن.. ما هي أبيات ابن الزبعرى تلك يا تُرى ؟!

---

(١) مقتل الحسين عليه السلام، للسيّد عبد الرزّاق المقرّم: ٣٤٨ ـ فصل في الشام.

(٢) تفسير روح المعاني ٢٦: ٧٣، في ظلّ قوله تعالى: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ.. ﴾ الآية ٢٢ من سورة محمّد ﷺ.

لمّا جِيء بالسبايا إلى الشام بعد قتل الإمام الحسين عليه السلام وأُدخلت إلى قصر يزيد، أخذ يزيد يتمثّل بأبيات عبد الله الزِّبعرى:

ليت أشياخي ببدرٍ شَهِدوا جزَعَ الخزرج مِن وَقْع الأسَلْ

لَأهلُّوا واستهلّوا فرَحاً ثمّ قالوا: يا يزيدُ لا تُشَلّْ

قد قتَلْنا القَرْمَ من ساداتِهم وعدَلْناه ببدرٍ فاعتدلْ

لعِبتْ هاشمُ بالمُلكِ فلا خَبرٌ جاء ولا وحيٌ نزلْ

لستُ مِن خِندفَ إنْ لم أنتقمْ مِن بني أحمدَ ما كان فعلْ

فسَمِعْته زينب بنت عليّ عليهما السلام فقامت، وقالت: «الحمد لله ربّ العالمين، وصلّى الله على رسوله وآله أجمعين. صدق الله سبحانه حيث يقول: ﴿**ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَاءُوا ٱلسُّوءىٰ أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ ٱللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ**﴾[١].

أظننتَ يا يزيد! حيث أخذتَ علينا أقطار الأرض وآفاق السماء، فأصبحنا نُساق كما تُساق الأُسارى.. أنّ بنا على الله هواناً، وبك عليه كرامة، وأنّ ذلك لعِظم خطرِك عنده؟! فشمخت بأنفك، ونظرت في عِطفِك، جذلانَ مسروراً، حيث رأيتَ الدنيا لك مُستوسِقة، والأُمورَ متّسقة، وحين صفا لك مُلكُنا وسلطاننا، فمَهْلاً مهلاً، أنَسِيتَ قول الله تعالى: ﴿**وَلاَ يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا**

---

(١) سورة الروم: ١٠.

نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْماً وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾ ؟![1]

أمِن العدل ـ يا ابنَ الطُّلقاء! ـ تخديرُك حرائرَك وإماءك، وسَوقُك بنات رسول الله سبايا، قد هتكتَ ستورَهنّ، وأبديتَ وجوهَهنّ؟! تحدو بهنّ الأعداءَ مِن بلدٍ إلى بلد، ويستشرفهنّ أهلُ المناهل والمعاقل، ويتصفّح وجوهَهنّ القريبُ والبعيد، والدنيُّ والشريف، ليس معهنّ مِن حُماتهنّ حَمِيّ، ولا مِن رجالهنّ وليّ؟!

وكيف يُرتجى مراقبة مَن لَفظَ فُوهُ أكبادَ الأزكياء، ونبت لحمُه مِن دماء الشهداء؟! وكيف يُستبطأ في بغضنا ـ أهلَ البيت ـ مَن نظر إليها بالشَّنْف والشَّنَآن، والإحَن والأضغان؟! ثمّ تقول ـ غيرَ متأثّم، ولا مستعظِم ـ:

لَأهلّوا واستهلّوا فَرَحاً ثمّ قالوا: يا يزيدُ لا تُشلّ

منحنياً على ثنايا أبي عبد الله سيّد شباب أهل الجنّة، تنكتها بمِخصرتك![2] وكيف لا تقول ذلك وقد نكأتَ القرحة، واستأصلتَ الشأفة، بإراقتك دماءَ ذرّيّةِ محمّد ﷺ، ونجومِ الأرض مِن آل عبد المطّلب؟! وتهتف بأشياخك زعمتَ أنك تناديهم، فلَتَرِدَنَّ وشيكاً مَوردَهم، ولَتودَّنَّ أنّك شُلِلتَ وبُكمت، ولم تكن قلتَ ما قلت، وفعلتَ ما فعلت.

---

(١) سورة آل عمران: ١٧٨.

(٢) المِخْصَرة كالسوط وشِبهه.

اللّهمّ خُذْ لنا بِحقّنا، وانتقمْ مِمّن ظَلَمَنا، وأحلِلْ غضبَك بمَن سفك دماءَنا، وقتلَ حُماتَنا.

فواللهِ ما فريتَ إلّا جِلْدَك، ولا حززتَ إلّا لحمَك، ولتَرِدنّ على رسول الله ﷺ بما تحمّلتَ من سفك دماء ذرّيّته، وانتهكتَ من حرمته في عترته ولُحمته، حيث يجمع الله شملَهم، ويلمّ شعثَهم، ويأخذ بحقّهم، ﴿**وَلاَ تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ ٱللّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ**﴾[1].

وحسبُك باللهِ حاكماً، وبمحمّدٍ ﷺ خصيماً، وبجبرائيل ظهيراً! وسيعلم مَن سوّل لك ومكّنك مِن رقاب المسلمين.. بئس للظالمينَ بدَلاً، وأيّكم شرٌّ مكاناً وأضعفُ جُنْداً.

ولئن جرّت علَيّ الدواهي مخاطبتَك.. إنّي لأَستصغر قَدْرَك، وأستعظم تقريعَك، وأستكثر توبيخك. لكن العيون عَبرى، والصدور حَرّى.

ألا فالعجبُ كلّ العجب، لقتل حزبِ اللهِ النجباء، بحزب الشيطان الطلقاء! فهذه الأيدي تَنطِف مِن دمائنا، والأفواه تتحلّب من لحومنا، وتلك الجثث الطواهر الزواكي تنتابُها العواسل، وتعفّرها أُمّهات الفراعل.

ولئن اتّخذتَنا مَغْنماً، لَتجدنّا وشيكاً مَغرَماً.. حين لا تجد إلّا

(١) سورة آل عمران: ١٦٩.

ما قدّمتْ يداك، وما ربُّكَ بظلّام للعبيد، وإلى الله المشتكى وعليه المعوَّل.

فكِدْ كيدَك، واسْعَ سعيك، وناصِبْ جهدَك، فوالله لا تمحو ذِكْرَنا، ولا تُميت وحيَنا، ولا يُدحَض عنك عارُها، وهل رأيُك إلّا فَنَد، وأيّامُك إلّا عَدَد، وجمعُك إلّا بَدَد، يوم ينادي المنادي: ألا لعنة الله على الظالمين.

فالحمد لله ربِّ العالمين الذي ختم لأوّلنا بالسعادة والمغفرة، ولآخرنا بالشهادة والرحمة، ونسأل الله أن يُكمل لهمُ الثواب، ويُوجبَ لهمُ المزيد، ويُحسن علينا الخلافة، إنّه رحيمٌ ودود، وحسبُنا الله ونِعم الوكيل».

فقال يزيد:

يا صيحةً تُحمَدُ مِن صوائحْ ما أهونَ الموتَ على النوائحْ![1]

نعود إلى أبيات ابن الزِّبعرى وقد أنشدها يزيد بن معاوية منتشياً، فنقرأ ما كُتب في محتواها:

قال الأُستاذ أحمد المكّيّ:

١ ـ تَمنّى يزيدُ حضورَ أجداده وكبار المشركين الذين قُتلوا في

(١) البداية والنهاية، لابن كثير ٨: ١٩٢. والملهوف: ١٠٢. ومقتل الحسين عليه السلام، للخوارزميّ ٢: ٦٦، وشرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ٣: ٣٨٣، وأعلام النساء، لعمر رضا كحّالة ١: ٥٠٤.

وقعة (بدر الكبرى) حين سلّوا سيوفهم في وجه رسول الله ﷺ وقصدوا قتله وإبادة كلّ المسلمين ومَحْوَ الإسلام، هؤلاء الذين قال القرآن عنهم ﴿أَئِمَّةَ الْكُفْرِ﴾.. يتمنّى يزيد لو كانوا أحياءً ولم يُقتَلوا، حتّى يشهدوا وينظروا جزعَ أهل بيت رسول الله ﷺ في مصيبتهم بابن رسول الله ﷺ.. الحسين عليه السلام!

٢ ـ إبداء يزيد فرحَه بقتل القَرْم من سادات أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجسَ وطهّرهم تطهيراً! (القَرْم: السيّد المعظَّم).

٣ ـ انتقامه مِن الرسول ﷺ بقتل أهل بيته إزاء قتل الرسول ﷺ للمشركين في (وقعة بدر)، وأنّ هذه بتلك!

٤ ـ تسمية النبوّة والسفارة الإلهيّة بـ(المُلْك)؛ إنكاراً للرسالة والرسول!

٥ ـ توصيف أتعاب النبيّ ﷺ وما لاقاه في سبيل الدعوة إلى الله من العنت والمصائب.. بـ(اللَّعِب)!

٦ ـ إنكار الوحي المُعجِز (القرآن الكريم)!

٧ ـ تكذيب إخبار الله تعالى نبيَّه بما أخبره به!

٨ ـ افتخار (يزيد) بانتسابه إلى (خِنْدَف)، وما خندف إلّا امرأة جاهليّة؛ إيغالاً منه في إحياء آثار الجاهليّة!

٩ ـ إظهار (يزيد) حقدَه الدفين على رسول الله ﷺ، وانتقامَه من أولادِ أشرف الأوّلين والآخِرين؛ لما فعله رسول الله ﷺ بأشياخه

يوم بدر وأُحد وحُنَين والأحزاب، حيث لم يمكنه الانتقام من شخص رسول الله ﷺ![1]

وكان ما كان من الآثار الوخيمة لحكم يزيد بن معاوية ما جرّ الويلات مِن ذلك اليوم إلى يومنا هذا على الإسلام والمسلمين، وما تزال وهي ماضيةٌ تَبِعاتُها خطيرةً، وخطيرةً جدّاً[2].

ويطيب لنا هنا أن نقرأ أبياتاً من قصيدة الشاعر المسيحيّ بولس سلامة بعنوان (يزيد بن معاوية)[3]، حيث يقول فيها:

---

(١) يزيد بن معاوية فرع الشجرة الملعونة: ٧٧ ـ ٧٨. ويُراجَع في مفاسد يزيد كتاب: المناقب والمثالب للقاضي النعمان المغربيّ ص٢٨٧ ـ ٢٩٦.

(٢) يُراجَع في ذلك: الغدير للأمينيّ ٣: ٢٥٧ ـ ٢٦٣، حول أضرار خلافة يزيد!

(٣) قال بولس سلامة في هامش هذه القصيدة: نأخذ النبذة التاريخيّة في هذا الفصل وفي ما يليه من الفصول حتّى ختام مأساة كربلاء عن كتاب (الشهيد الخالد) لحسن أحمد لطفي، و(تاريخ الحسين)، و(أشعّة من حياة الحسين) لصديقنا العالم الشيخ عبدالله العلايليّ، وعن كتاب (الإرشاد) وعن (تاريخ التمدّن الإسلامي) لجرجي زيدان.

كان يزيد بن معاوية هذا فاسقاً فاجراً خليعاً. قال القرمانيّ فيه «إنّه عُرف بشرب الخمر واللعب بالكلاب، والتهاون بالدين»، وفي (الفخري) لابن طباطبا: «إنّه كان موفَّر الرغبة في اللهو والقنص والخمر والنساء وكلاب الصيد، حتّى إنّه كان يُلبِسها الأساور من الذهب والجلال منسوجة منه، ويهب لكلّ كلب عبداً يخدمه، هذا فضلاً عن هيامه بالقرود»، فقد ذكر المؤرّخ المسعوديّ: «إنّ الأمويّين استكثروا من الخيول وتفنّنوا في تضميرها، وكان لهم حلبة يخرجون إليها في أيّام معيّنة للسباق، فمن حاز قصب السبق أجازوه، وقصب السبق قصبة

←

⬅ يغرسونها في آخر الحلبة، فمن سبق إليها واقتلعها فهو الفائز. ومن غريب ما ذكروه أنّ يزيد بن معاوية كان له قرد يكنّى (أبا قيس) يُحضِره مجلس منادمته، ويطرح له مُتّكأً، وكان نبيهاً خبيثاً يحمله على أتان وحشيّة قد رُبضت وذُلّلت لذلك، بسرج ولجام، وكان يسابق بها الخيل يوم الحلبة، فجاء (أبو قيس) في بعض الأيّام سابقاً وتناول القصبة ودخل الحجرة قبل الخيل، وعليه قباء من الحرير الأحمر والأصفر، وعلى رأسه قُلُنْسوة من الحرير، وعلى الأتان سرج من الحرير الأحمر المنقوش... وقد أراد معاوية تعويد يزيد الفتح والبطولة، وسيّر جيشاً إلى بلاد الروم وأراد من يزيد أن يتولّى قيادته، فرفض الماجن أن يضحّي بمجونه وعبثه في سبيل الجهاد! وأُصيب أفراد ذلك الجيش بجوع ومرض شديد في موقع يُعرَف بالغَرْقدونه. فأنشأ يزيد يقول:

ما أن أُبالي بما لاقت جموعُهمُ بالغرقدونةِ مِن حُمّى ومن مومِ
إذا اتّكأتُ على الأنماط مرتفعاً بدَيرِ مروانَ عندي أمُّ كُلثومِ

غير أنّ معاوية ألحّ فأرسله في الحملة الثانية فاصطحب يزيد جماعةً من رفاق مجونه، فكان كلّما وجد سانحة انصرف معهم إلى شتّى أنواع العبث. وقد أرغم معاوية الناس على مبايعة يزيد رغم نصائح الحكماء من كبار الصحابة، وكتب إلى مروان بن الحكم واليه على المدينة يأمره بأخذ البيعة ليزيد ويَعِده بجعله وليّاً لعهد يزيد. وبعد وفاة معاوية بايع أهل الشام يزيد، وكتب يزيد إلى الوليد ابن عتبة واليه على المدينة أن يأخذ له البيعة ممّن تخلّف عنها من وجوه المسلمين، ولمّا طلب الوالي من الحسين أن يبايع يزيد بالخلافة أجابه الحسين: لا أراك ترضى بيعتي سرّاً، فأمهِلْني إلى غد أرى رأيي. وكان معهما مروان بن الحكم، فقال للوليد: واللهِ لئن فارقك الحسينُ الساعة ولم يبايع، لا قدرت منه على مثلها أبداً، ولكن احبس الرجل لا يخرج حتّى يبايع أو تضرب عنقه! فقال الحسين لمروان: ويلي عليك يا ابن الزرقاء، أأنت تأمر بضرب عنقي أم هو؟! كذبتَ ـ واللهِ ـ ولَؤُمت. ثمّ التفت إلى الوليد وقال بجرأة عظيمة: يا أمير، ⬅

رافــعَ الصـــوتِ داعــياً لِـــلفَلاحِ
إخفضِ الصوتَ فـي أذانِ الصـباحِ
وتَــرفَّقْ بـــصاحبِ العـرشِ مَشْـ
ــغولاً عــن الله بــالقِيانِ المِـلاحِ
ألفُ «أللهُ أكـــــبرُ» لا تُســـــاوي
بـــينَ كـــفَّي يـــزيدَ نـــهلةَ راحِ
إنَّ سَمْعَ الخليعِ وَقْـفٌ عـلىٰ صَـدْ
حِ المـــثاني ورَنَّـــةِ الأقْـــداحِ
لا تـــعكِّرْ صَـفْوَ المـليكِ بِـذِكرِ اللهِ
فـــالذِّكـــرُ مَأتـــمُ الأفــراحِ
فسَليبُ النُّـهىٰ صـريعُ الغَـوانـي
نَـــذَرَ العـــمرَ لِـــلغرامِ السِّـفاحِ
وصَـــحا مِـــن دُوارِه ذاتَ يـــومٍ
فَــدعا بــالخيولِ دُهــم الوشـاحِ

⊃ نحن أهل بيت النبوّة ومعدن الرسالة ، بنا فتح اللهُ وبنا يختم ، ويزيد فـاسقٌ فاجر ، ومِثلي لا يـبايع مـثله . وقـال مـروان للـوليد وقـد غـادرهما الحسـين : عصيتَني ! لا والله لا يُمكّنك من نفسه أبداً ، فقال الوليد : ويحك ! إنّك أشرتَ علَيّ بذهاب ديني ودنياي ، واللهِ ما أُحبّ أن أملك الدنيا بأسرها وإنّي قتلتُ حسيناً ، والله ما أظنّ أحداً يلقى الله بدم الحسين إلّا وهو خفيف الميزان ، لا ينظر الله إليه يوم القيامة ولا يزكّيه ، وله عذاب أليم !

لا لمـــجدٍ يُـــريدها أو جــهادِ
فـمتىٰ كـان مِـن غُـواة الرمـاحِ!
جِــيء بـالخيلِ للسِّـباقِ تَـنزّىٰ
بـــينَها كـــلُّ أجـــردٍ سَـــبّاحِ
بَطِرَت في مـرابـطِ البَـذْخِ كَسْـلىٰ
فـــتمطّت فــي سأمـــةِ المــرتاحِ
لم تُـــضَمَّرْ خُـصورُها لجِـلادِ
لم تُـخَضَّبْ نـحورُها فـي الكـفاحِ
أُطـلِقَت فـي عـنانِها نـاشداتِ
قَـصَبَ السَّـبق، أنـبلَ الأربـاحِ
خابَ فَأْلُ الفُرسان تُدمي خُصورَ الْـ
خـيلِ غـمزاً بـالمهمزِ الجـرّاح
(فأبــو القـيس) وهْـوَ قِـردُ يـزيدٍ
فـضَحَ الخـيلَ وانـثنىٰ بِـنجاحِ
واسـتوىٰ فـوقَ سـدّةٍ مِـن حـريرٍ
رافـــلاً فـــي كسـائِه اللَّـماحِ
فـيزيدٌ يكسـو القـرودَ حـريراً
واليــتامىٰ فــي غُـصَّةِ المُـلتاحِ

يَستُرون العُرْيَ المُذِلّ بأسْـ
مالِ تَقيهِم مِن ذِلّةٍ وافتضاحِ
ملأ القصرَ بالقرود، ولم يُهـ
ـمِلْ كلاباً سخيّةً بالنّباحِ
ويزيدٌ يُثيرها لهراشٍ
في مقاصيرِ دارِه المِمْراحِ
قاصدُ القصرِ ليس يَسمعُ إلّا
عَرْبَداتٍ مَوصولةً بِصياحِ
بين قردٍ مُقَهقِهٍ لِشَرابٍ
أو هريرٍ مِن ناهسٍ نَبّاحِ
يا ابنَ هندٍ أبيتَ إلّا يزيداً
رايةً لِلرشادِ والإصلاحِ!
يا ابنَ هندٍ وقد حتمتَ على
مَروانَ أخذَ العُهود بالإلحاحِ
بيعةً تَطلبونها أم غِلاباً
أعقوداً أم وثبةَ المُجتاحِ؟!
يا ابنَ هندٍ قد كان موتُك عِيداً
لِيزيدَ المُخْضَوضَرِ المِفْراحِ[1]

(١) عيد الغدير: ٢٢٦ ـ ٢٣١.

يزيد في الحديث النبويّ

والآن.. وقد تبيّن الكثير من أفعال يزيد، تعالَوا نتعرّف عليه مِن خلال النصوص النبويّة الشريفة، نقلها من كتب العامّة ومصادرها الموثوقة لديهم فقط:

* أخرج السيوطيّ الشافعيّ عن الرُّويانيّ في مسنده عن أبي الدَّرداء قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: أوّلُ مَن يُبدِّل سُنّتي رجلٌ مِن بني أُميّة يُقال له «يزيد»[1].

* وقال ﷺ: لا يَزال هذا الأمر مُعتدِلاً قائماً بالقسط حتّىٰ يَثلِمَه رجلٌ مِن بني أُميّة يُقال له «يَزيد»[2].

* وأخرج المتّقي الهنديّ، بسنده عن النبيّ ﷺ أنّه قال ـ في حديث له ـ: لا بارك اللهُ في يزيد الطَّعّان، اللَّعّان! أما إنّه نُـعِيَ إليّ حبيبي حسينٌ، وأُتيتُ بتربته، ورأيت قاتلَه..[3]. قال: أخرجه ابن عساكر عن ابن عَمْرو.

* وأخرج ابن حجر الهيثميّ، عن مُعاذ بن جبل، قال ـ في

---

(١) تاريخ الخلفاء ٢٣٢. وقريب منه ما ورد في الخصائص الكبرىٰ للسيوطيّ ٢: ١٣٩، تطهير الجَنان واللسان لابن حجر الهيثميّ المكّيّ ـ في هامش: الصواعق المحرقة ص١٤٥. وفي نسخةٍ أخرىٰ: «أوّلُ مَن يُبدِّل سُنّتي لَرجلٌ مِن بني أُميّة».

(٢) الخصائص الكبرىٰ ٢: ١٣٩، تطهير الجَنان واللسان ـ هامش الصواعق المحرقة ١٤٥، قال: مسند رجاله رجال الصحيح، إلّا أنّ فيه انقطاعاً.

(٣) كنز العمّال ١٢: ١٢٨/ خ ٣٤٣٢٤.

حديث ـ: .. فقال النبيّ ﷺ: يزيد.. لا بارك الله في يزيد! ثمّ ذرفت عيناه بالدموع، ثمّ قال: نُعِيَ إليّ حسينٌ وأُتيت بتربته، وأُخبرت بقاتله. ثمّ قال ﷺ: واهاً لفراخ آل محمّد من خليفةٍ يُستخلَف مُترَف، يقتل خَلَفي وخلَفَ الخَلَف![1]

* وعن ابن عبّاس، قال: لمّا أتت على الحسين سنتان مِن مولده.. خرج النبيّ ﷺ في سفرٍ له، فلمّا كان في بعض الطريق وقف فاسترجع، قال: إنّا لله وإنّا إليه راجعون! ودمعت عيناه، فسُئل عن ذلك، فقال: هذا جبرائيل يُخبرني عن أرضٍ بشاطئ الفرات يُقال لها «كربلاء»، يُقتَل بها ولدي الحسينُ ابن فاطمة.

فقال نفر: مَن يقتله يا رسول الله؟! فقال: رجلٌ يُقال له «يزيد»، لا بارك الله في نفسه.. وكأنّي أنظر إلى مصرعه (أي مصرع الحسين عليه السلام) ومَدفنه بها، وقد أُهدِيَ برأسه! واللهِ ما ينظر أحدٌ إلى رأس ولدي الحسين فيفرح إلّا خالف اللهُ بين قلبه ولسانه.

إلى أن قال ﷺ: فلعنة الله على قاتله وخاذلِه إلى آخر الدهر[2].

* وبألفاظ أُخرى.. أخرج المتّقي الهنديّ أنّ رسول الله ﷺ قال: أنا محمّد النبيّ، أُوتيت فواتحَ الكَلِم وخواتِمَه، فأطيعوني ما دُمت

(١) مجمع الزوائد ٩: ١٩٠.

(٢) الفتوح، لابن أعثم الكوفيّ ٤: ٢١٦ ـ ٢١٩. ومقتل الحسين عليه السلام للخوارزميّ ١: ١٦٣ ـ ١٦٤.

بين أظهركم ـ إلى أن قال: ـ يزيد.. لا بارك الله في يزيد! نُـعي إليّ الحسينُ وأُوتـيت بـتربته، وأُخـبرت بـقاتله. والذي نـفسي بـيده، لا يُقتَل بين ظهرانَي قوم لا يمنعونه إلّا خـالف اللهُ بـين صـدورهم وقلوبهم، وسلّط عليهم شرارَهم، وألبسَهم شِـيَعاً. واهـاً لفـراخ آلِ محمّدٍ مِن خليفةٍ مُستخلَفٍ مُترَف، يَقتل خَلَفي وخَلفَ الخَلَف![1]

ثمّ قال المتّقي الهنديّ: أخرجه الطبرانيّ عن مُعاذ.

* نعم.. وذكر الهيثميّ ما يقرب منه[2]، قال: وعن معاذ بن جبل قال: خرج علينا رسول الله ﷺ متغيّرَ اللّون، فقال: أنا محمّد.. أُوتيتُ فواتحَ الكلام وخواتمَه ـ إلى أن قال: ـ تناسختِ النبوّةُ فصارت مُلكاً، رحِمَ الله مَن أخذها بحقّها، وخرج منها كما دخلها. امسكْ يا مُعاذ واحصِ. قال معاذ: فلمّا بلغَتْ خمساً قال: يزيد.. لا بارك الله فـي يزيد! ثمّ ذرفت عيناه، ثمّ قال: نُعيَ إليَّ حسين.. وساق الحديثَ كما تقدّم، ثمّ قال الهنديّ: رواه الطبرانيّ.

* أجل.. وذكره المناويّ أيضاً في (فيض القدير) باختصار وقال: أخرجه ابن عساكر عن سَلَمة بن الأكوع. هذا في المتن، أمّا فـي الشرح فقال: ورواه عنه أبو نُعَيم والديلميّ.

* وروى أحمد بن أعثم الكوفيّ عن ابن عبّاس أنّه قال: لمّا أتت

---

(١) كنز العمّال ١١: ١٦٦/ خ ٣١٠٦١.

(٢) في مجمع الزوائد ٩: ١٨٩.

على الحسين سنتانِ مِن مولده، خرج النبيّ ﷺ في سفر.. ثمّ ساق الحديثَ الذي ذكرناه قبل قليل، حتّى قال ابن عبّاس:

ولمّا قفل النبيُّ ﷺ من سفره كان مغموماً، فصَعِد المنبر ووعظ المسلمين، وقد حمل حفيدَيهِ وريحانتَيه الحسنَ والحسين عليهما السلام، فرفع رأسه صوب السماء وقال: اللّهمَّ إنّي محمّدٌ عبدُك ونبيّك، وهذانِ أطايب عترتي، وخيار ذرّيّتي وأَرُومتي، ومَن أُخلِّفْهم في أُمّتي. اللّهمّ وقد أخبرني جبرئيلُ بأنّ ولدي هذا ـ وأشار إلى الحسين ـ مقتولٌ مخذول. اللّهمّ باركْ له في قتله، واجعله من سادات الشهداء، إنّك على كلّ شيء قدير. اللّهمّ ولا تبارك في قاتله وخاذله!

فبكى الصحابة.. فقال لهم النبيّ ﷺ: أتبكون ولا تنصرونه؟! اللّهمّ فكُن له أنت وليّاً وناصراً.

قال ابن عبّاس: وبقيَ النبيّ متغيّرَ اللّون مُحمَرَّ الوجه، فصعد المنبر مرّة أُخرى، وخطب الناسَ خطبة بليغةً موجزةً وعيناه تهملان دموعاً، ثمّ قال:

أيُّها الناس! إنّي قد خلّفتُ فيكمُ الثقلَين: كتابَ الله وعترتي وأَرُومتي، ومزاج مائي وثمرتي، لن يفترقا حتّى يَرِدا علَيّ الحوض. ألا وإنّي لا أسألكم في ذلك إلّا ما أمرني ربّي أن أسألَكم المودّةَ في القُربى، فانظروا أن لا تلقوني غداً على الحوض وقد أبغضتُم عترتي. ألا وإنّه سيَرِدُ علَيّ في القيامة رايات من هذه الأُمّة: رايةٌ سوداءُ

مظلمةٌ قد فزعت لها الملائكة، فتقف عليَ فأقول: مَن أنتم؟ فينسَون ذِكْري ويقولون: نحن مِن أهل التوحيد من العرب، فأقول: أنا أحمدُ نبيُّ العرب والعجم، فيقولون: نحن من أُمّتك يا أحمد، فأقول لهم: كيف خلفتموني مِن بعدي في أهلي وعترتي وكتاب ربّي؟ فيقولون: أمّا الكتاب.. فضيّعناهُ ومزّقناه، وأمّا عترتك.. فحرصنا على أن نُبيدَهم مِن جديد الأرض. فأُولّي عنهم وجهي، فيَصْدرون ظِماءً عَطاشىٰ مُسوَدّةً وجوهُهم.

ثمّ ترِدُ علَيّ رايةٌ أُخرى أشدّ اسوداداً من الأُولى، فأقول لهم: مَن أنتم؟ فيقولون كما تقول الأُولى أنّهم مِن أهل التوحيد: نحن مِن ملّتك، فأقول لهم: كيف خلفتموني في الثقلين: الأصغر والأكبر، في كتاب الله وفي عترتي؟ فيقولون: أمّا الأكبر.. فخالَفْنا، وأمّا الأصغر.. فخذَلْنا، ومزّقناهم كلَّ مُمَزَّق! فأقول: إليكم عنّي! فيصدرون ظِماءً عَطاشىٰ مُسْوَدّةً وجوهُهم.

ثمّ ترد علَيّ راية أُخرى تلمع نوراً، فأقول لهم: مَن أنتم؟ فيقولون: نحن كلمة التوحيد، نحن أُمّة محمّدٍ ﷺ، ونحن بقيّة أهل الحقّ الذين حملنا كتابَ ربّنا فأحللْنا حلاله، وحرّمنا حرامَه، وأحببْنا ذرّيّة نبيّنا محمّدٍ ﷺ فنصرناهم بما نَصَرنا أنفسنا، وقاتلْنا معهم، وقاتلْنا مَن ناوَأَهم، فأقول لهم: أبشِروا، أنا نبيّكم محمّد.. ولقد كنتم في دار الدنيا كما وصفتُم. ثمّ أُسقيهم من حوضي فيصدرون مَرْويّين.

ألا وإنّ جبرئيل قد أخبرني بأنّ أُمّتي تقتلُ ولدي الحسينَ بأرض كربٍ وبلاء.. ألا لعنة الله على قاتله وخاذله إلى آخر الدهر!

قال ابن عبّاس: ثمّ نزل عن المنبر، ولم يبقَ أحدٌ من المهاجرين والأنصار إلّا استيقن أنّ الحسين مقتول[١].

* وأخرج القاضي نعمان المصريّ، عن النبيّ ﷺ أنّه نظر يوماً إلى معاوية يتبختر في حَبرةٍ وينظر إلى عِطفَيه.. فقال مخاطباً إيّاه:

أيّ يومٍ لأُمّتي منك! وأيّ يومٍ لذرّيّتي منكَ مِن (جروٍ) يخرج من صُلْبك! يتّخذ آياتِ الله هُزُواً، ويستحلّ من حُرمتي ما حرّم اللهُ عزّ وجلّ[٢].

* وروى الخوارزميّ الحنفيّ عن ابن عبّاس أنّه قال: قد قال النبيّ ﷺ: ما لي وليزيد! لا بارك الله في يزيد؛ فإنّه يقتل وَلَدي ووَلَدَ ابنتي، الحسينَ بن عليّ، فَوَالذي نفسي بيده، لا يُقتَل وَلَدي بينَ ظَهرانَي قومٍ فلا يمنعونه إلّا خالَفَ اللهُ بين قلوبهم وألسنتهم[٣].

* وروىٰ أيضاً عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام قولَ رسول الله ﷺ: إنّ قاتل الحسين في تابوتٍ من نار، عليه نصف عذاب أهل النار، وقد شُدّت يداه ورِجْلاه بسلاسلَ مِن نار، يُنكَّس في النار حتّىٰ يقع في

---

(١) الفتوح، لابن أعثم الكوفيّ ٤: ٢١٦ ـ ٢١٩. ومقتل الحسين عليه السلام للخوارزميّ ١: ١٦٣ ـ ١٦٤.

(٢) المناقب والمثالب: ٧١.

(٣) مقتل الحسين عليه السلام ١: ٢٧٨ ـ الفصل ١٠/ ح١.

قعر جهنّم، وله ريحٌ يتعوّذ أهلُ النار إلىٰ ربّهم مِن شدّة نتنها..[١]

* كذلك روى الخوارزميّ الحنفيّ عن رسول الله ﷺ أنّه قال: إنّ موسى بن عمران سأل ربَّه فقال: يا ربِّ إنّ أخي هارونَ مات، فاغفرْ له. فأوحى الله إليه أن: يا موسىٰ، لو سألتَني في الأوّلين والآخِرين لَأجبتُك، ما خلا قاتلَ الحسين بن عليّ؛ فإنّي أنتقم له منه![٢]

* ومن كتب الخاصّة.. نكتفي بهذه الرواية، ينقلها العلّامة المجلسيّ عن ابن نما رحمه الله من كتابه (مثير الأحزان) مُسنِدَها إلى ابن عبّاس الذي قال:

لمّا اشتدّ برسول الله ﷺ مرضُه الذي مات فيه.. ضمَّ الحسينَ عليه السلام إلى صدره يسيل مِن عَرَقِه عليه، وهو يجود بنفسه ويقول:

ما لي وليزيد! لا بارك الله فيه، اللّهمّ العنْ يزيد. ثمّ غُشي عليه طويلاً وأفاق، وجعل يقبّل الحسينَ وعيناه تذرفان ويقول له: أما إنّ لي ولقاتلِك مقاماً بين يدَي الله عزّ وجلّ[٣].

---

(١) مقتل الحسين عليه السلام ٢: ٩٥ ـ ٩٦ ـ الفصل ١٢/ ح١، ومناقب عليّ بن أبي طالب عليه السلام لابن المغازليّ الشافعيّ ٦٦ ـ ٦٧/ ح٩٥.

(٢) مقتل الحسين عليه السلام ٢: ٩٧ ـ الفصل ١٢/ ح٦. وروىٰ ذلك أيضاً: الشيخ الصدوق في (عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ١٤٧/ ح١٧٩ ـ الباب ٣١) وفيه: «ما خلا قاتلَ الحسين بن عليّ بن أبي طالب؛ فإنّي أنتقم له مِن قاتلِه!».

(٣) بحار الأنوار ٤٤: ٢٦٦ / ح٢٤ ـ عن: مثير الأحزان. كذلك رواها من قبل: ابن حاتِم الشاميّ العامليّ في (الدرّ النظيم: ٥٤٠).

نهاية يزيد

وأخيراً.. كيف انتهت حياة يزيد؟ أفي سُوح الجهاد شـهيداً، أم في دياره وهو يطوي ساعات ليله في القيام، وساعات نـهاره فـي الصيام؟! هل مات تائباً عابداً منيباً مستغفراً، أم مات في المـلاهي مستهتراً؟! دَعُونا نقلّب أوراق التاريخ فنقرأ ما جاء فيها من صور:

* قال عبدالرحمان الغَنويّ: فوَاللهِ لقد عُوجِل المـلعون يـزيد، ولـم يتمتّع بعد قتله ـ أي للإمام الحسين عليه السلام ـ، ولقد أُخذ مُغافصةً.. بات سكراناً وأصبح ميّتاً متغيّراً كأنّه مطليٌّ بِقار[1].

وهذا ما أكّده المظفّريّ في تاريخه، ولكنْ.. هنالك تفصيل آخر في مِيتة يزيد، نطالعها في الكتب القديمة:

* قال ابن كثير: اشتهر يزيد بالمعازف وشرب الخمور والغناء والصيد، واتّخاذِ القيان والكلاب والنطاح بـين الأكـباش والدِّبـاب والقرود، وما من يوم إلّا ويُصبح فيه مخموراً.. وقيل: إنّ سبب وفاته أنّه حمل قِردةً وجعل ينقّزها، فعضّته..[2].

* وقال البلاذريّ يروي عن شيخ من أهل الشام: إنّ سبب وفاة يزيد أنّه حمل قردةً على الأتان، وهو سكران، ثـمّ ركـض خـلفها

(١) كامل الزيارات، لابن قولويه: ١٣٢/ ح١٤٩ ـ عنه: بحار الأنوار ٤٤: ٢٣٦ ـ ٢٣٧/ ح٢٧ و٤٥: ٣٠٩/ ح١٠.. مغافصةً: أي فُجاةً وبلا مهلة، والقار: النـفط الأسـود (الزفت).

(٢) تاريخ ابن كثير ٨: ٤٣٦. ويُنقّزها: أي يوثّبها ويرقّصها.

فسقط فاندقّت عنقه أو انقطع في جوفه شيء[١].

* ورُوي عن ابن عيّاش أنّه قال: خرج يزيد يتصيّد بـ(حوّارين) وهو سكران، فركب وبين يديه أتانٌ وحشيّة قد حمل عليها قرداً، وجعل يُركّض الأتانَ ويقول:

«أبـا خلفٍ»! إحتَلْ لنفسِك حيلةً

فليس عليها ـ إن هلكتَ ـ ضَمانُ

فسقط واندقّت عنقه[٢].

ودُفن يزيد في الرابع عشر من ربيع الأوّل سنة أربع وستّين من الهجرة في دمشق بعد أنْ حُمل إليها بمقبرة باب الصغير، فأصبح قبره ـ وما زال ـ مزبلةً يتزاحم عليها الذباب، كقبر أبيه معاوية، وقد خاطبه الشاعر السوريّ المعاصر (محمّد مجذوب) قائلاً:

أين القصورُ أبا يزيد ولهوُها — والصافناتُ وزهوُها والسُّؤْددُ؟!

هذا ضريحُك لو بصرتَ ببؤسهِ — لَأسال مَدمعَك المصيرُ الأسودُ

كُتَلٌ مِن التُّربِ المَهين بخربةٍ — سكَرَ الذبابُ بها فراحَ يُعربدُ

خَفِيَتْ معالمُها على سكّانِها — فكأنّها في مَجهلٍ لا يُقصَدُ

ومشى بهاركْبُ البِلى.. فجدارُها — عانٍ يكادُ من الضراعة يسجدُ

أأبا يزيد! وتلك حكمةُ خالقٍ — ماذا أقولُ وباب سمعِك مُوصَدُ؟!

---

(١) أنساب الأشراف ٤: ٢. والأتان هي الحمارة.

(٢) أنساب الأشراف ٤: ٢. ويبدو أنّ أبا خلف هو قرده الآخر غير قرده أبي قيس.

قُمْ وارمق النـجفَ الأغـرَّ بـنظرةٍ   يــرتدَّ طَــرْفُك وهْـو بـاكٍ أرمـدُ

تــلك العــظامُ أعـزَّ ربُّك شأنَـها   فــتكاد لولا خـوفُ ربِّك تُـعبَدُ

أبــداً تُـباكـرها الوفـود.. يـحثُّها   مِن كـلّ صـوبٍ شـوقُها المـتوقِّدُ

وبمثل هذه القصيدة يستطيع كلُّ شاعر أن يخاطب يزيدَ فيقولَ له: قمْ وارمق كربلاءَ المُعلّاةَ بنظرة، ليرتدّ طرفُك بعد ذاك وهو باكٍ أرمدُ! لا سيّما ـ يا يزيد! ـ إذا وجدتَ قبرك قد أصبح خربةً تتزاحم عليها الحشرات، والقاذورات.

وهل هذا فحسب؟ لا.. فإنّ العذاب مستمرّ، وإنّ المنقلبَ لَإلى خُسرانٍ مبين، وهولٍ مُفزِعٍ للظالمين!

قال الإمام الصادق جعفر بن محمّد عليه السلام: «ولقد خرجَتْ نفسُ عُبيدالله بن زياد ويزيد بن معاوية، فشهقت جهنّمُ شهقةً.. لولا أنّ الله حبسها بخُزّانها لأحرقتْ مَن على الأرض مِن فورها»[1].

وكان هلاك يزيد بن معاوية في يوم الخميس لأربع عشرة ليلةً خلت من شهر ربيع الأوّل سنة ثلاثٍ وستّين، وقيل: سنة أربعٍ وستّين، وعمرُه ـ على الخلاف فيه ـ ثمانٍ وثلاثون سنة، وكانت مدّة حكمه سنتين وثمانية أشهر، وقد خلّف أحدَ عشر ولداً، منهم:

(١) كامل الزيارات: ١٦٨/ ح٢١٩ ـ عنه: بحار الأنوار ٤٥: ٢٠٧/ ح١٣، مستدرك الوسائل ١٠: ٣١٤/ح١٢٠٧٧.

معاوية الثاني الذي بُويع له بالشام[١].

وكان هلاك يزيد في قريةٍ بالشام يُقال لها «حُوّارين» أو «حَوران» مات فذاب ذَوَبانَ الرصاص، ونُبِش قبره في زمان السفّاح فوجدوا فيه حُطاماً كأنّه الرَّماد!![٢]

(١) بحار الأنوار ٤٥: ٣٥٤ ـ الباب ٤٩، باب أحوال المختار وما جرىٰ علىٰ يديه.

(٢) يراجع: تاريخ الخميس ٢: ٣٣٥، الكامل لابن الأثير ٥: ٤٣٠، تاريخ الطبريّ ٥: ٤٩٩، الفخريّ في الآداب السلطانيّة لابن الطقطقا: ١٥٢.

عودة إلى معاوية الثاني

بعد أن تعرّفنا على بعض أعلام بني أُميّة، ومَن كان أُميّة، ومَن هُم أحفاده.. من أبي سفيان إلى معاوية فيزيد، ومن حَمامة إلى هند بنت عتبة إلى غيرهما! يواجهُنا هنا سؤال تاريخيّ مُلفتٌ وعجيب: هل يُتوقَّع أن يخرج رجلٌ من هذا البيت يخالف أهله، ويشير إلى الحقّ، ويُدين الظلم والفجور ولو كانا في أُسرته؟!

الجواب ـ وبكلّ بساطة ـ: نعم، ذلك ممكن، فإذا عرَفَ اللهُ تعالى في قلبِ عبدِه طلباً صادقاً للحقيقة، وتجرّداً عن التعصّب الأعمى.. نفخ في عقله وضميره وقلبه عرفانَ الحقّ ونبذَ الباطل، وأجرى على لسانه البيانَ الصادع والقول البليغ والكلمة الصادقة.

وكان المثل الساطع في هذا هو ابن يزيد، معاوية.. المسمّى بـ(معاوية الثاني) تمييزاً له عن جدّه معاوية بن أبي سفيان، والمسمّى بـ(معاوية الأصغر) مرّةً أُخرى، وإن كان هو الأكبر عقلاً ونفساً وشخصيّةً.

* ذكر البلاذريّ عن محمّد بن مصفّىٰ الحِمصيّ قوله: كان (معاوية الثاني) فتىً صالحاً، كثير الفكر في أمر معاده[1].

---

(١) أنساب الأشراف ٥: ٣٨٢ (طبعة دار الفكر ـ بيروت).

* وعبّر عنه اليعقوبيّ في وصفه إيّاه قائلاً: وكان له مذهب جميل[١].

أمّا مَن هو (معاوية بن يزيد)؟.. فذلك ما لم يحدّثنا التاريخ عنه إلّا بنَزْرٍ يسيرٍ من الأخبار المقتضَبة، وذلك لأمرين:

الأوّل: لأنّه تُوفّي عن عمر لم يتجاوز الواحد والعشرين عاماً على أغلب الروايات.

والثاني: لأنّه كان معارِضاً للبيت الأمويّ، فعُتِّم عليه وقُبر ذِكْرُه مِن قِبل بني أُميّة؛ إذْ لم يكن على هواهم، ولم ينسج نسجَهم. ولكن.. لابدّ من البحث حوله، إذ لا يسقط الميسور بالمعسور، وما لا يُدرَك كلُّه لا يُترَك كلّه.

توليته

يوم الأربعاء، في الرابع عشر من شهر ربيع الأوّل سنة ٦٤ من الهجرة النبويّة.. هلك يزيد بن معاوية يجرّ معه إلى قبره عظائم الذنوب وكبرى الجرائم[٢].

وبما أنّ معاوية بن أبي سفيان قد جعل الخلافة وراثةً يرثها الأبناء عن الآباء، لذا كان ليزيد وليُّ عهد، وهو ابنه معاوية بن يزيد، المعروف بـ(معاوية الثاني).

---

(١) تاريخ اليعقوبيّ ٢: ٢٥٤. المذهب هنا: هو الطريقة والسلوك والأُسلوب.

(٢) يراجع: تتمّة منتهى الآمال، للشيخ عبّاس القمّيّ: ٤٨.

فكيف أتته التولية يا تُرى ؟!

* قال القاضي النعمان:.. فلمّا مات يزيد وَلِيَ معاويةُ بعده، فقيل: إنّه تَحرّج منها وعَلِم اغتصاب أبيه وجدّه إيّاها[١]!

* وقال البلاذريّ: ولّاه أبوه يزيد عهدَه في صحّته، ويُقال: بايع له حين احتُضر، فلمّا مات يزيد بايع الناسُ معاويةَ (الثاني)، وأتته بيعةُ الآفاق إلّا ما كان من عبدالله بن الزبير...

قال هشام بن عمّار: سمعت الوليد بن مسلم يقول: كانت أُمّ معاوية بن يزيد ـ وهي أُمّ هاشم بنت أبي هاشم بن عُتبة بن ربيعة بن عبد شمس ـ امرأةً بَرْزة[٢].. فدعا يزيد يوماً بمعاوية بن يزيد وأُمّه حاضرة، فأمره بأمر، فلمّا ولّى معاوية (أي ذهب لذلك الأمر) قالت له: لو ولّيت معاويةَ عهدَك! فقال: أفعل. وناظرَ يزيدُ حسّانَ بن مالك بن بَجْدل الكلبيّ في أمره فشجّعه على البيعة له، فأحضر يزيدُ الناسَ وأعلمهم أنّه قد ولّاه الخلافة بعده، فبايع له ابن بجدل والناس. فلمّا مات يزيد بحوّارين بُويع لمعاوية (الثاني) بالخلافة وهو كاره!

---

(١) المناقب والمثالب: ٢٩٨.

(٢) البَرْزة: المرأة التي تُجالِس الرجال (المعجم الوسيط ١: ٤٩). وفي (لسان العرب ٥: ٣١٠ ـ مادّة بَرَز): وقيل: امرأةٌ بَرْزةٌ مُتجالّةٌ تَبْرُز للقوم، يجلسون إليها ويتحدّثون عنها.

وأكّد ذلك هشام الكلبيّ (النسّابة) قائلاً: كان معاوية بن يزيد كارهاً للخلافة!

كذلك قال الحمصيّ راوياً عن مشايخه قائلاً: إنّ معاوية بن يزيد قَبِل البيعةَ وهو لها كاره!

وعن الواقديّ.. ينقل البلاذريُّ أنّ صالح بن كيسان قال: ولّى يزيدُ بن معاوية معاويةَ بنَ يزيد ابنَه الخلافة بعده،وكان (معاوية الثاني) كارهاً لها!!

ولعلّ من مصاديق ذلك ما أورده البلاذريّ بقوله: لم يعزلْ معاوية ابن يزيد أحداً مِن عمّال أبيه ولا حرّك شيئاً، ولا أمر ولا نهى![1]

كذلك ما أورده ابن خيّاط في (تاريخه): من قوله: فأقرّ معاوية ابن يزيد عمّالَ أبيه ولم يُوَلِّ أحداً[2].

ولكنّ (معاوية الثاني) هذا لم يحكم ـ على أغلب الروايات والأخبار ـ إلّا أربعين يوماً، وهي مدّة خلافته في الشام[3]. أجل.. بُويع له بالخلافة يومَ موت أبيه فأقام فيها أربعين يوماً، على بعض التعابير[4]، وعلى بعضها الآخر: وَلِيَ الأمرَ أربعين

---

(١) أنساب الأشراف ٥: ٣٧٩ ـ ٣٨٢ (طبعة دار الفكر ـ بيروت).

(٢) تاريخ ابن خيّاط: ٢٥٥.

(٣) يراجع: المناقب والمثالب: ٢٩٩، وتتمّة منتهى الآمال، للشيخ عبّاس القمّيّ: ٤٨.

(٤) حياة الحيوان، للدَّميريّ ١: ٨٨ ـ باب الإوَزّ. ومجالس المؤمنين، للشهيد السيّد

ليلة[١]. وذلك ما يؤكّده المؤرّخ اليعقوبيّ في تاريخه حيث يقول: ثمّ مَلَكَ معاوية بن يزيد بن معاوية .. أربعين يوماً[٢].

* وكتب المسعوديّ: ومَلَك معاوية بن يزيد بن معاوية بعد أبيه، فكانت أيّامُه أربعين يوماً إلى أن مات[٣].

* وهذا ما أكّده الحلبيّ أيضاً في سيرته حيث قال: إنّ معاوية بن يزيد مكث في الخلافة أربعين يوماً[٤].

* وكتب القاضي القُضاعيّ: بُويع له النصفَ من شهر ربيع الأوّل سنة أربعٍ وستّين، وتُوفّي لخمسٍ بقين من شهر ربيع الآخِر سنة أربعٍ وستّين، فكانت ولايته أربعين يوماً[٥].

وهو ما عليه أكثرُ المؤرّخين، ثمّ يُردفون ما ذهبوا إليه بـ(قيل)، حيث يُنقل عن البعض أنّه يرى خلافة معاوية الثاني كانت أكثر مِن

⮌ القاضي نور الله التستريّ ٢: ٢٥٢. ويراجع: الطبقات الكبرىٰ، لابن سعد ٤: ١٦٩ و٥: ٣٩، فتوح البلدان للبلاذريّ ١: ٢٧٠، تاريخ دمشق ٨: ٤٢، مروج الذهب ٣: ٨٨.. وغيرها.

(١) الاختصاص، للشيخ المفيد: ١٣١.

(٢) تاريخ اليعقوبيّ ٢: ٢٥٤.

(٣) مروج الذهب ٣: ٨٢.

(٤) السيرة الحلبيّة ١: ١٦٩.

(٥) الإنباء بأنباء الأنبياء وتواريخ الخلفاء وولايات الأُمراء، المعروف بـ«تاريخ القضاعيّ» للقاضي أبي عبدالله محمّد بن سلامة بن جعفر (ت ٤٥٤ هـ) ص٢٠٩/ الرقم ١٤٩.

أربعين يوماً. فيذهب السيّد الشهيد نور الله القاضي التستريّ إلى أنّ خلافة معاوية بن يزيد كانت ثلاثة أشهر[١]، بينما يذكر اليعقوبيّ أكثر من ذلك يسبقه الرأيَ بـ (قيل)، فيقول: وقيل: بل أربعة أشهر[٢]. في حين يقول الدِّميريّ: وقيل: أقام فيها ـ أي الخلافة ـ خمسة أشهر وأيّاماً[٣]. وتردّد ابن حجر فقال: وكانت مدّة خلافته أربعين يوماً، وقيل: شهرين، وقيل: ثلاثة أشهر[٤].

* قال المسعوديّ: وقيل: (مَلَك) شهرين، وقيل غير ذلك، وكان يُكنَى بأبي يزيد، وكُنّي حين وليَ الخلافة بأبي ليلى؛ وكانت هذه الكُنْية للمستضعَف من العرب، وفيه يقول الشاعر:

إنّــي أرى فــتنةً هــاجَت مـراجـلُها

والمُلْك بعد أبي ليـلى لِـمَن غَـلَبا[٥]

* وفي خلافة معاوية الثاني يقول ابن قتيبة:

لمّا مات يزيد بن معاوية، استخلف ابنَه معاويةَ بن يزيد، وهو

---

(١) مجالس المؤمنين ٢: ٢٥٢، ولعلّه أخذ ذلك عن أنساب الأشراف ٥: ٣٧٩ (طبعة دار الفكر ـ بيروت)، أو عن تاريخ اليعقوبيّ ٢: ٢٢٦، أو تاريخ الطبريّ ٧: ١٦، أو الكامل لابن الأثير ٤: ٥١.

(٢) تاريخ اليعقوبيّ ٢: ٢٥٤.

(٣) حياة الحيوان ١: ٨٨.

(٤) الصواعق المحرقة: ١٣٤.

(٥) مروج الذهب ٣: ٨٢.

يومئذٍ ابن ثماني عشرة سنة، فلبث والياً شهرين وليالِيَ محجوباً لا يُرى، ثمّ خرج بعد ذلك... (ثمّ ذكر خَلْعَ نفسه، وعلّق بعد ذلك بهذه العبارة): وماج أمرُ بني أُميّة واختلفوا![1]

والآن نتساءل: لماذا لم تستمرّ حكومة معاوية بن يزيد أكثر من ثلاثة أشهر أو أربعة أشهر، أو خمسة أشهر وأيّام على أكثر الفروض؟ هل تُوفّي أم عُزل؟ أم ماذا؟!

يُجيبُنا على ذلك الدَّميريُّ بوضوح فيقول:.. ثمّ خَلَع نفسَه![2]

فنعود نتساءل: ولماذا خلع هذا الشابّ نفسه من الحكم وهو مُلْك عظيم ذلك اليوم، ومعاوية يومذاك كان شابّاً في ريعان شبابه؟ وقد جاءته هيّنة، فلماذا زهد بها وعزف عنها؟ أليس ذلك بالأمر العجيب، والموقف الغريب؟!

وكيف خلع نفسه ومتى.. ثمّ كيف استطاع ذلك؟!

الخلع

* قال الدميريّ: وذكر غيرُ واحدٍ أنّ معاوية بن يزيد لمّا خلع نفسه صَعِد المنبر فجلس طويلاً، ثمّ حَمِد الله وأثنى عليه بأبلغ ما يكون من الحمد والثناء، ثمّ ذكر النبيّ ﷺ بأحسن ما يُذكَر به، ثمّ

---

(١) الإمامة والسياسة ٢: ١٧ ـ ١٨.

(٢) حياة الحيوان ١: ٨٨.

قال: أيّها الناس! ما أنا بالراغب في الائتمار عليكم؛ لعظيم ما أكرهه منكم، وإنّي لأعلمُ أنّكم تكرهوننا أيضاً، لأنّا بُلِينا بكم، وبُليتُم بنا...[١].

ولكنْ.. كيف كان ذلك وبأيّة مناسبة؟ هل دعا معاوية الثاني الناسَ إلى خُطبةٍ مهمّة لِيخبرهم فيها ما أراد من خلع نفسه عن الخلافة؟

على مايبدو.. لا، وإنّما كان ذلك يومَ الجمعة، وفي خطبة صلاة الجمعة، حيث ارتقى معاوية الثاني منبرها، فأخبر المصلّين ـ على ما يُروى ـ أنّه أعجزُ مِن أن ينهض بأعباء الخلافة ومسؤوليّاتها الثقيلة الجسيمة، وأنّه غير لائق لمثل هذا المنصب الكبير، والمقام الخطير[٢].

والآن.. دَعُونا نقفْ على نصّ خطبة معاوية الثاني.

الخطبة

نُقلت خطبة (معاوية الثاني) في عددٍ من كتب السيرة بنصوص متفاوتة تفاوتاً يسيراً في الألفاظ والطُّول والقِصر، وإن اتّفقت في المضامين وتقاربت في المطالِب.

---

(١) حياة الحيوان ١: ٨٨.

(٢) يراجع: مجالس المؤمنين ٢: ٢٥٢.

* يرويها البلاذريّ عن طريقين، بصورتين:

الأولى: عن ابن عيّاش الهمدانيّ، عن أبي أسماء السَّكْسكيّ قال:

كان معاوية بن يزيد يُظهر التألّه[١]، وكان ضعيفاً في أمر دنياه[٢]، فكُنّي أبا ليلى، فلمّا أفضى الأمر إليه قام خطيباً فقال:

أيّها الناس، إن يكنْ هذا الأمر خيراً فقد استكثر منه آلُ أبي سفيان، وإن يكنْ شرّاً فما أولاهم بتركه! واللهِ ما أُحبّ أن أذهبَ إلى الآخرة وأدعَ لهمُ الدنيا..

والثانية: عن صالح بن كيسان ـ كما روى الواقديّ ـ أنّه قال:

ولّىٰ يزيد بن معاوية ابنَه معاوية بن يزيد الخلافة بعده، وكان كارهاً لها، فلمّا مات أبوه خطب الناس فقال:

إن كانت الخلافة خيراً فقد استكثر آلُ أبي سفيان منه، وإن كانت شرّاً فلا حاجة لنا فيه، فاختاروا لأنفسكم إماماً تُبايعونه هو أحرص على هذا الأمر منّي، واخلعوني فأنتم في حِلٍّ من بيعتي..[٣].

* وروى اليعقوبيّ قصّة الخلع هكذا:

.. فخطب الناسَ فقال: أمّا بعدَ حمدِ الله والثناء عليه.. أيّها الناس!

---

(١) التّألُّه: التّنَسُّك والتّعبُّد.

(٢) أي غير راغبٍ فيها، ربّما هكذا قصد الراوي.

(٣) أنساب الأشراف ٢: ٣٨١، ٣٨٢.

فإنّا بُلينا بكم وبُليتم بنا، فما نجهل كراهتَكم لنا وطعنكم علينا. ألا وإنّ جَدّي معاوية بن أبي سفيان نازع الأمرَ مَن كان أَولى به منه في القرابة برسول الله، وأحقَّ في الإسلام، سابِقَ المسلمين، وأوّلَ المؤمنين، وابنَ عمٍّ رسول ربّ العالمين، وأبا بقيّةِ خاتَم المرسَلين. فركب (أي معاوية) منكم ما تعلمون، وركبتُم منه ما لا تُنكرون، حتّى أتته منيّته وصار رهناً بعمله. ثمّ قلّدَ أبي (أي يزيد) وكان غيرَ خليق للخير، فركب هواه، واستحسن خَطاه، وعظم رجاؤُه فأخلفه الأمل، وقصُر عنه الأجل، فقلّت مَنَعتُه، وانقطعت مدّته، وصار في حفرته رهناً بذنبه، وأسيراً بجرمه!

ثمّ بكى (معاوية الثاني) وقال: إنّ أعظم الأُمور علينا علمُنا بسوء مصرعه، وقُبح منقلبه (أي يزيد بن معاوية)، وقد قتَلَ عترةَ الرسول، وأباح الحرمة، وحرّق الكعبة![1] وما أنا المتقلِّدَ أُمورَكم، ولا المتحمّلَ تَبِعاتِكم، فشأنكم أمرُكم. فوَاللهِ لئن كانت الدنيا مَغنماً لقد نِلْنا منها حظّاً، وإن تكن شرّاً فحَسْبُ آل أبي سفيان ما أصابوا منها[2].

* ونقلها ابن قتيبة هكذا، قال:

---

(١) إشارة إلى الجرائم الثلاث: قتل أهل البيت عليهم السلام في كربلاء، وإباحة المدينة المنوّرة في واقعة الحَرّة، وضرب الكعبة بالمنجنيق وإحراقها.

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢: ٢٥٤.

فجمع الناسَ فحَمِد الله وأثنى عليه ثمّ قال: أيّها الناس، إنّي نظرتُ بعدكم فيما صار إليّ مِن أمركم، وقُلِّدتُه من ولايتكم، فوجدتُ ذلك لا يَسعُني فيما بيني وبين ربّي، أن أتقدّم على قوم فيهم مَن هو خيرٌ منّي، وأحقُّهم بذلك، وأقوى على ما قُلِّدتُه[1].. فاختاروا منّي إحدى خَصلتين: إمّا أن أخرج منها وأستخلف عليكم مَن أراه لكم رضيً ومقنعاً، ولكم اللهُ علَيَّ ألّا آلُوَكُم نصحاً في الدين والدنيا، وإمّا أن تختاروا لأنفسكم وتُخرجوني منها.

قال: فأنِف الناس من قوله، وأبَوا من ذلك، وخافت بنو أُميّة أن تزول الخلافة منهم، فقالوا: ننظر في ذلك يا أمير المؤمنين ونستخير الله، فأمهِلْنا. قال: لكم ذلك، وعجِّلوا علَيّ.

قال: فلم يلبثوا بعدها إلّا أيّاماً حتّى طُعِن، فدخلوا عليه فقالوا له: استخلِفْ على الناس مَن تراه لهم رضيً. فقال لهم: عند الموت تريدون ذلك؟! لا والله لا أتزوّدها، ما سعدتُ بحلاوتها، فكيف أشقى بمرارتها!

ثمّ هلك ﵀ ولم يستخلف أحداً.. فلمّا دُفن معاوية بن يزيد، وسُوّيَ عليه التراب وبنو أُميّة حول قبره، قال مروان بن الحكم: أما واللهِ ـ يا بني أُميّة ـ إنّه لأبو ليلى! ثمّ قال:

※ المُلْكُ بَعدَ أبي ليلىٰ لِمَن غَلَبا! ※

---

(١) لعلّه يشير معاوية الثاني هنا إلى آل عليّ، أو إلى الإمام علـيّ بـن الحسـين ﷺ على وجه التعيين.

وماجَ أمرُ بني أُميّة واختلفوا(١).

* أمّا الدمِيريّ.. فقد ذكر تفصيلاً أكثر للخطبة، فقال: ذكرَ غيرُ واحدٍ.. أنّ معاوية بن يزيد لمّا خلع نفسه صَعِد المنبر فجلس طويلاً، ثمّ حَمِد الله وأثنى عليه بأبلغ ما يكون من الحمد والثناء، ثمّ ذكر النبيّ ﷺ بأحسن ما يُذكر به، ثمّ قال:

أيُّها الناس! ما أنا بالراغب في الائتمار عليكم؛ لعظيم ما أكرهه منكم، وإنّي لأعلم أنّكم تكرهوننا أيضاً، لأنّا بُلينا بكم وبُلِيتُم بنا. ألا إنّ جدّي معاوية.. قد نازع في هذا الأمر مَن كان أَولى به منه ومِن غيره (أي علياًعليه السلام)؛ لقرابته من رسول الله ﷺ، وعِظم فضله وسابقته.. أعظم المهاجرينَ قدْراً، وأشجعهم قلباً، وأكثرهم علماً، وأوّلهم إيماناً، وأشرفهم منزلة، وأقدمهم صحبة، ابنُ عمّ رسول الله ﷺ، وصهرُه وأخوه، زوّجه ﷺ ابنتَه فاطمة وجعله لها بعلاً باختياره لها، وجعلها له زوجة باختيارها له، أبو سِبطَيه سيِّدَي شباب أهل الجنّة، وأفضلِ هذه الأُمّة، تربيةِ الرسول، وابنَي فاطمة البتول، مِن الشجرة الطيّبة الطاهرة الزكيّة.

فركب جدّي منه ما تعلمون، وركبتُم معه ما لا تجهلون(٢)، حتّى انتظمت لجَدّيَ الأُمور.. فلمّا جاءه القَدَرُ المحتوم، واخترمَتْه أيدي

---

(١) الإمامة والسياسة ٢: ١٧ ـ ١٨.

(٢) أي: من قتاله في (صفّين)، وقتل أبنائه، وملاحقة ذراريه، ومِن سبّه على المنابر قرابة ثمانين عاماً.. وغير ذلك من المآثم العظمى.

المنون، بقيَ مُرتهَناً بعمله، فريداً في قبره، ووجدَ ما قدّمت يداه، ورأى ما ارتكبه واعتداه.

ثمّ انتقلت الخلافة إلى يزيدَ أبي، فتقلّد أمرَكم لهوىً كان أبوه فيه[١].. ولقد كان أبي يزيد ـ بسوء فعله وإسرافه على نفسه ـ غيرَ خليق بالخلافة على أُمّة محمّد ﷺ، فركب هواه، واستحسن خَطاه، وأقدمَ علىٰ ما أقدَم: مِن جُرأته على الله، وبغيهِ علىٰ مَن استحلّ حُرمتَه مِن أولاد رسول الله ﷺ.. فقلّت مدّته، وانقطع أثرُه، وضاجع عملَه، وصار حليفَ حفرتِه، رهينَ خطيئتِه، وبقيت أوزاره وتبعاته، وحصل على ما قدّم، وندم حيث لا ينفع الندم. وشغَلَنا الحزنُ له عن الحزن عليه، فليت شعري ماذا قال، وماذا قيل له؟! هل عُوقب بإساءته، وجُوزيَ بعمله؟! وذلك ظنّي.

ثمّ اختنقته العَبرةُ فبكى طويلاً وعلا نحيبُه، ثمّ قال: وصرتُ أنا ثالثَ القوم، والساخطُ علَيّ أكثرُ مِن الراضي. ما كنتُ لأتحمّلَ آثامَكم، ولا يراني الله جلّت قدرته متقلّداً أوزارَكم، وألقاه بتبعاتكم، فشأنكم أمركم فخُذوه، ومَن رضِيتُم به عليكم فولُّوه، فلقد خلعتُ بيعتي مِن أعناقكم، والسلام[٢].

---

(١) لعلّ في ذلك إشارةً إلى هوى معاوية أن تكون السلطة وراثيّةً متداوَلة في بني أُميّة لا تخرج من أيديهم.

(٢) حياة الحيوان ١: ٨٨. وروىٰ ذلك أيضاً: ابن الدمشقيّ في جواهر المطالب ٢:

* وأمّا ورّام، فقد رواها هكذا:

رُويَ أنّه لمّا نزع معاويةُ بن يزيد بن معاوية نفسه من الخلافة قام خطيباً فقال: أيُّها الناس، ما أنا الراغب في التأمُّر عليكم، ولا بالآمن لكراهتكم، بل بُلِينا بكم وبُلِيتُم بنا. ألا إنّ جَدّي معاوية نازَعَ الأمرَ مَن كان أَولىٰ بالأمر منه في قديمه وسابقتِه، عليَّ بن أبي طالب، فرَكِب جَدّي منه ما تعلمون، ورَكِبتُم معه ما لا تجهلون، حتّىٰ صار رهينَ عمله وضجيعَ حفرته، تجاوز الله عنه، ثمّ صار الأمر إلىٰ أبي، ولقد كان خليقاً أن لا يركبَ سيّئةً؛ إذ كان غيرَ خليقٍ بالخلافة، فركب ردعَه، واستحسن خطأَه، فقلّت مدّته، وانقطعت آثاره، وخمدت ناره، ولقد أنسانا الحزنُ به الحزنَ عليه، فإنّا للّه وإنّا إليه راجعون!

ثمّ أَخْفَتَ يترحّم علىٰ أبيه [وفي بعض النسخ: ثمّ أخفّ الترحُّمَ علىٰ أبيه]، ثمّ قال:

وصرتُ أنا الثالثَ من القوم، الزاهدُ فيما لَدَيّ أكثرُ من الراغب، وما كنتُ لأتحمّلَ آثامَكم، شأنَكم وأمرَكم خُذُوه، ومَن شئتُم ولايتَه فَوَلُّوه.

قال: فقام إليه مروانُ بن الحكم فقال: يا أبا ليلىٰ! سنّةٌ عمريّةٌ سيّئة؟! فقال له: يا مروان! أتخدعُني عن دِيني؟! إيتِني برجالٍ كرجال عمر (أي الذين رشّحهم) أجعلها بينهم شورىٰ.

⮌ ٢٦١، والدياربكريّ في تاريخ الخميس ٢: ٣٣٥ ـ ط ١ بمصر سنة ١٣٠٢ هـ، وابن حجر المكّيّ في الصواعق المحرقة: ١٢٤ ـ ط مصر سنة ١٣١٢ هـ.

ثمّ قال: واللهِ إن كانت الخلافة مَغْنماً، لقد أصَبْنا منها حظّاً، ولئن كانت شرّاً، فحَسْبُ آل أبي سفيان ما أصابوا منها.

ثمّ نزل، فقالت له أُمُّه: ليتَك كنتَ حيضة! فقال: وأنا وَدَدتُ ذلك ولم أعلم أنّ للّهِ ناراً يُعذّب بها مَن عصاه وأخذَ غيرَ حقّه[١].

* وقد نقل الخطبة بمضمون مختصر.. الشهيد السيّد نور الله القاضي التُّستريّ، وأشار إلى تنصّل (معاوية الثاني) عن الخلافة المكلَّلة بجرائم جدّه معاوية وأبيه يزيد. كما بيّن للحاضرين في صلاة الجمعة أنّهم لو أرادوا أن يعرفوا مَن هو أَولى بالخلافة وأحقّ بها فهو الإمام عليّ بن الحسين زين العابدين عليه السلام، فليذهبوا إليه ويبايعوا هذا الرجلَ الذي لا شائبة عليه ولا طعنَ في سيرته[٢].

* كما نقل المحدّثُ الشيخ عبّاس القمّيّ مضموناً آخَرَ جاء في خطبة معاوية الثاني، وهو: لعنُه لجدّه وأبيه، والتبرّؤُ من أفعالهما.. وأنّه حينما ذكر ذلك في خطبته بكى بكاءً شديداً[٣].

إشارات

والآن.. لا بدّ لنا أن نتنبّه إلى المضامين التي طرقها (معاوية الثاني)

---

(١) تنبيه الخواطر ونزهة النواظر، المعروف بـ«مجموعة ورّام» لأبي الحسين ورّام ابن أبي فراس (ت٦٠٥ هـ) ٢: ٢٩٩ ـ ٣٠٠، عنه: بحار الأنوار ٤٦: ١١٨ ـ ١١٩/ ح٧.

(٢) مجالس المؤمنين ٢: ٢٥٢.

(٣) تتمّة منتهى الآمال: ٤٨.

في خطبته، فهي إشارات خطيرة هزّت البيت الأمويَّ بأسْره، وأحدثت ما أحدثت بين الناس من الإيقاظ!

الإشارة الأُولى: بيّن (معاوية الثاني) أنّ السلطة الأمويّة كانت قائمةً على الترغيب والترهيب، والخداع والإضلال، ولم تكن يوماً قائمةً على محبّة الناس واعتقادهم بها. فالسلطة الأمويّة كانت تُغدق الأموال على شراء الضمائر وكسب الألسن والأقلام لصالحها، وقد انساق بذلك عنقٌ من الناس إلى بلاط معاوية ويزيد. وكانت ـ مِن جهة أُخرى ـ تقسو على المعارضين الأحرار، بقتلهم أو حبسهم في الزنزانات الرهيبة، وتقطيع أيديهم وأرجلهم وتسميل عيونهم، إضافةً إلى تشريدهم وإبعادهم، فمَن التفّ حول السلطة كان يعلم أنّه يركن إلى الظالمين ويُعينهم على جرائمهم.

وهذه حالة النفاق التي تسرّبت إلى صفوف الأُمّة، كانت إحدى الظواهر التي فتكتْ بها. فأشار إليها معاوية الثاني إشارةً لطيفة، وصارح الناس فيها صراحةً ظريفة.. فقال لهم: فما نجهل كراهتَكم لنا وطعنكم علينا[١]. أو قال لهم: وإنّي لأعلم أنّكم تكرهوننا أيضاً[٢].

فالناس يجارون الظَّلَمة فيما يشتهون، مع ما في أنفسهم من الكراهة لهم، والاحتقار في أنفسهم.

---

(١) كما أسلفنا عن: تاريخ اليعقوبيّ ٢: ٢٥٤.

(٢) كما مرّ في: حياة الحيوان ١: ٨٨.

الإشارة الثانية: اعترف (معاوية الثاني) بأنّ الأَولى بمنصب الخلافة هم أهلُ بيت النبيّ ﷺ؛ لفضلِهمُ الذي لا يُدانى، ولقُرباهم من رسول الله ﷺ فهم أهل بيت الوحي، ولسابقتهم في الإسلام، وأوّلُهم أميرُ المؤمنين عليّ بن أبي‌طالب عليه السلام.. والذي كلّله رسولُ الله ﷺ بأحاديث التجليل الفريدة، وزوّجَه ابنته فاطمة الزهراء سيّدةَ نساء العالمين عليها السلام.

وكانت كلمات (معاوية الثاني) تعرض بعضَ أدلّة الإمامة، أو لِنقُلْ علاماتِ الأحقّ بالخلافة بعد المصطفى ﷺ، معرِّجاً بذلك على خصائص البيت النبويّ ومَلَكاتهِ الإلهيّة، وخصائصه وفضائله التي لا يشاركه فيها بيت آخر.

وهل كالإمام عليٍّ عليه السلام ظهيرٌ للنبوّة وللنبيّ؟[1] وهل جاءت في يره أنّه بعد الرسول هو الوصيّ؟ فيومَ كان أبو سفيان يحاول قبر الإسلام واغتيال رسوله.. كان الإمام عليّ عليه السلام الناصرَ والمحامي، والأخَ المعاضد. ويوم كان معاوية يشنّ على الإسلام غاراته في بدر وأُحد وغيرهما مع أبيه أبي سفيان وأُمّه هند آكلة الأكباد، كان الإمامُ عليّ عليه السلام يحمل راية المسلمين، ويقود عساكرَهم دفاعاً عن بيضة

(١) يراجع في ذلك: الدرّ المنثور في ذيل الآية ٤ من سورة التحريم، وكنز العمّال ٢: ٥٣٩/خ ٤٦٧٥، وفيه: قال رسول الله ﷺ في قوله تعالى: ﴿ **وصالحُ المؤمنينَ بعدَ ذلك ظَهير** ﴾: «هو عليّ بن أبي طالب»، وفتح الباري ١٣: ٢٧، ومجمع الزوائد ٩: ١٩٤.

الإسلام. ويوم كان أبو سفيان يتردّد على ذوات الرايات والأعلام، وينحدر إلى نوادي الخمور، ومجالس الفجور.. كان الإمام عليّ عليه السلام يصحب النبيَّ صلى الله عليه وآله إلى غار (حِراء)، حتّى قال في خطبةٍ له:

وقد علمتُم موضعي من رسول الله صلى الله عليه وآله بالقرابة القريبة، والمنزلة الخصيصة. وَضَعني في حِجْرِهِ وأنا ولدٌ يَضُمّني إلى صدره، ويَكْنُفُني في فراشه، ويُمِسُّني جسَدَه، ويُشِمُّني عَرْفَه... ولقد كنتُ أتّبعُهُ اتّباعَ الفصيل أثَرَ أُمِّه، يرفع لي في كلِّ يومٍ من أخلاقهِ عَلَماً، ويأمرُني بالاقتداء به. ولقد كان يُجاوِر في كلِّ سنةٍ بـ(حِراء) فأراه، ولا يراه غيري. ولم يَجمعْ بيتٌ واحدٌ يومئذٍ في الإسلام غيرَ رسول الله صلى الله عليه وآله وخديجةَ وأنا ثالثُهما. أرى نورَ الوحي والرسالة، وأشُمّ ريحَ النبوّة..[١].

هناك كان الإمامُ عليّ عليه السلام.. فأين كان معاوية؟! أين قضى أيّامه.. حتّى إذا كبر نازع الإمامَ علياً عليه السلام الخلافة؟! ألم يحرّم رسولُ الله صلى الله عليه وآله الخلافة على الطلقاء كما أشار إلى ذلك عمر، وروى عنه عبدالرحمان بن أبزي؟![٢] وإن كان عمر قد ولّاه على الشام فيما بعد، ومعاوية طليقٌ ابن طلقاء، تحكي ذلك قصّةُ فتح مكّة.. وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الخلافة مُحرَّمةٌ على آل أبي سفيان![٣]

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة ١٩٢ المعروفة بـ«القاصعة».

(٢) أُسد الغابة ٤: ٣٨٧.

(٣) مقتل الحسين عليه السلام للخوارزميّ ١: ١٨٥.

الإشارة الثالثة: خلَعَ (معاوية الثاني) نفسه عن الخلافة معرباً عن جملةٍ من الأُمور:

منها: تأنيب ضميره أن ينهض بخلافة هي ولاية الله في الأرض، تتطلّب القيام بمسؤوليّات رساليّة عظمى.

ومنها: إيماؤُه إلى أنّ الخلافة لها أهل، حاضرون هناك قد نحّاهم سلاطينُ الجور ودفعوهم عن مَقامهم.

ومنها: عرْضُ براءته ممّا ارتكبه جدّه معاوية وأبوه يزيد من الجرائم المَهولة بحقّ الدين وأئمّة المسلمين وشعائر المؤمنين. حتّى قيل أنّ معاوية الثاني قد أنشأ ـ بعد الخلع ـ يقول:

ياليتَ لي بيزيدٍ حين أنتسبُ
أباً سواه.. وإن أَزرىٰ به النسَبُ
بَرِئتُ مِن فعلِه واللهُ يشهد لي
أنّي برئتُ.. وذا في الله قد يَجبُ[١]

تعالَوا ـ بعد هذا ـ نتبيّنْ فيما رُوي من أنّ (معاوية الثاني) قد كشف هذا الأمر في خطبة الخلع:

* روى أبو المحاسن قال: خطب معاوية بن يزيد الناسَ فقال: أيُّها الناس! إنّ جدّي معاويةَ نازَعَ الأمرَ أهلَه ومَن هو أحقُّ به لقرابته من رسول الله ﷺ، وهو عليّ بن أبي طالب، ورَكِب لكم ما

---

(١) مجالس المؤمنين ٢: ٢٥٢.

تعلمون.. حتّى أتته منيّتُه فصار في قبره رهيناً بذنوبه، وأسيراً بخطاياه.

ثمّ تقلّد أبي الأمر، فكان غيرَ أهلٍ لذلك، وركب هواه، وأخلفَه الأمل، وقصر به الأجَل، وصار في قبره رهيناً بذنوبه، وأسيراً بجرمه..[١].

* وفيما أخرج ابن حجر ـ في بيان موت يزيد ـ قال: إنّ معاوية ابن يزيد قال ـ فيما قال ـ:

ومِن أعظم الأُمور علينا علمُنا بسوء مصرعه (يعني أباه يزيد)، وبؤسِ مُنقلبه، وقد قتَلَ عترةَ رسول ﷺ، وأباح الخمر، وخرّب الكعبة! ولم أذقْ حلاوة الخلافة، فلا أتقلّد مرارتها، فشأنكم أمركم. واللهِ لئن كانت الدنيا خيراً فقد نلنا منها حظّاً، ولئن كانت شرّاً فكفى ذرّيّةَ أبي سفيان ما أصابوا منها[٢].

قال ابن حجر بعد ذلك: فرَحِمه الله، أنصفَ مِن أبيه، وعرَف الحقَّ لأهله. وكان ابن حجر قد ذكر أنّ معاوية الثاني قد قال في أوّل خطبته: إنّ هذه الخلافة حبلُ الله، وإنّ جدّي معاوية نازع الأمرَ أهله ومَن هو أحقُّ به منه، عليَّ بنَ أبي طالب، وركبَ بكم ما تعلمون، حتّى أتته منيّتُه فصار في قبره رهيناً بذنوبه. ثمّ قلّد أبي الأمرَ وكان

(١) النجوم الزاهرة ١: ١٦٤.
(٢) الصواعق المحرقة: ١٣٤.

غيرَ أهلٍ له، ونازع ابنَ بنت رسول الله ﷺ[١]، فقُصف عمره، وانبتر عقِبُه، وصار في قبره رهيناً بذنوبه.

ثمّ بكى، وقال: من أعظم الأُمور علينا علمُنا بسوء مصرعه!![٢]

* وقال ابن السبكيّ: إنّ معاوية بن يزيد بن معاوية لمّا خلع نفسه صَعِد المنبر فجلس طويلاً، ثمّ حَمِد اللهَ وأثنى عليه بأبلغ ما يكون من الحمد والثناء، ثمّ ذكر النبيَّ ﷺ بأحسن ما يُذكر به، ثمّ قال:

أيُّها الناس! ما أنا بالراغب في الائتمار عليكم؛ لعظيم ما أكرهه منكم، وإنّي أعلم أنّكم تكرهونا أيضاً، لأنّا بُلينا بكم وبُليتم بنا، ألا إنّ جَدّي معاوية نازع هذا الأمرَ مَن كان أَولى به منه ومن غيره؛ لقرابته من رسول الله ﷺ، وعظيم فضله وسابقته، أعظمُ المهاجرين قدْراً، وأشجعهم قلباً، وأكثرهم علماً، وأوّلهم إيماناً، وأشرفهم منزلة، وأقدمهم صُحبة، ابنُ عمّ رسول الله ﷺ وصهره وأخوه، زوّجه ابنتَه رضي الله عنها وجعله لها بعلاً باختياره لها، وجعلَها له زوجة باختيارها له، أبو سِبطَيه سيّدَي شباب أهل الجنّة، وأفضلِ هذه الأُمّة، تربيةِ الرسول، وابنَي فاطمة البتول رضي الله تعالى عنها. حتّى انتظمت لجدّي معاوية الأُمور، فلمّا جاءه القَدَر المحتوم، واخترمَتْه أيدي المنون، بقيَ مُرتهناً بعمله، فريداً في قبره، ووجد ما قدّمَتْ يداه، فرأى ما ارتكبه واعتداه.

(١) أي الإمام الحسين عليه السلام.
(٢) الصواعق المحرقة: ١٣٤.

ثمّ انتقلتِ الخلافة في أبي يزيد، فتقلّد أمرَكم لهوىً كان أبوه هَوِيه فيه، ولقد كان أبي يزيدُ ـ بسوء فعله وإسرافه على نفسه ـ غيرَ خليق بالخلافة على أُمّة محمّد ﷺ، فركب هواه، واستحسن خَطاه، وأقدم على ما قَدِم مِن جرأته على الله تعالى، وبغيهِ على من استحلّ حرمته من أولاد رسول الله ﷺ، فقلَّت مدّته، وانقطع أثره، وضاجع عملَه، وصار حليفَ حفرته، رهينَ خطيئته، وبقيت أوزاره وتبعاته، فهل عُوقب بإساءته، وجُوزي بعمله؟! وذلك ظنّي.

ثمّ خنقته العبرة فبكى طويلاً، وعلا نحيبه، وحمد الله ثمّ قال: وصرتُ أنا ثالثَ القوم، والساخطُ عَلَيّ أكثرُ من الراضي، وما كنتُ لأتحمّل آثامَكم، ولا يراني الله جلّت قدرته متقلِّداً أوزاركم، وألقاه بتبعاتكم، فشأنكم وأمركم فخُذُوه، ومَن رَضِيتُم به عليكم فوَلُّوه، فلقد خلعتُ بيعتي من أعناقكم، والسلام.

فقال له مروان بن الحكم ـ وكان تحت المنبر ـ: أسُنَّةً عمريّةً يا أبا ليلى؟ فقال: اغدُ عنّي! أعَن ديني تخدعوني؟! فوَاللهِ ما ذقتُ حلاوة خلافتكم فأتجرّع مرارتها، ائتِني برجال مثل رجال عمر، على أنّه كان ـ حين جعلها شورى، وصرفها عَمَّن لا يُشكّ في عدالته ـ ظَلوماً! واللهِ لئن كانت الخلافة مَغنماً، لقد نال أبي معها مَغرماً ومأثماً، ولئن كانت شرّاً فحَسْبُه منها ما أصابه!

ثمّ نزل فدخل عليه أقاربه وأُمّه فوجدوه يبكي، فقالت له أُمّه:

ليتك كنت حِيضة، ولم أسمع بخبرك، فقال: وددتُ واللهِ ذلك! ثمّ قال: ويلي إن لم يرحَمْني ربّي!

ثمّ إنّ بني أُميّة قالوا لمؤدّبه المقصوص ـ وكان أحد تلامذة أبي ذرّ الغفاريّ ـ: أنت علّمتَه هذا ولقّنته إيّاه، وصددته عن الخلافة وزيّنت له حبّ عليّ وأولاده، وحملته على ما وَسَمَنا به من الظلم، وحسّنت له البدع حتّى نطق بما نطق وقال ما قال!! فقال: والله ما فعلتُه، ولكنّه مجبول ومطبوع على حبّ عليّ وأولاده. فلم يقبلوا منه ذلك، وأخذوه ودفنوه حيّاً حتّى مات رحمه الله(١).

عناصر شاخصة

إذا التزَمْنا الإنصاف وجانَبْنا الانحياز الباطل، وتوقّفنا عند خطبة معاوية الثاني بجميع روايات نصوصها، فإنّا نستطيع القول وباطمئنان أنّ أبرز عناصرها كنصٍّ تاريخيّ:

١. الإقرار الصريح بأحقّيّة أهل البيت عليهم السلام في الخلافة النبويّة المقدّسة، ومغصوبيّتهم إيّاها في حين أنّهم الأليق بها، فضلاً عن ورود النصّ عليهم فيها.

٢. الذمّ اللّاذع الصريح لأُسرته عامّة، ولجَدّه وأبيه خاصّة، مبيّناً

---

(١) سمط النجوم العوالي ٣: ٢١٢ ـ ٢١٣.

ـ باختصار ـ عِظمَ جرائمهما واغتصابهما للخلافة الشرعيّة من أهلها بالباطل؛ ولَعاً بالتسلّط والطغيان والانتقام.

٣ ـ العَرْض الواضح لبراءتهِ مِن كلّ ظُلم وفسادٍ وانحرافٍ وَرِثه عن أسلافه؛ لإنقاذ نفسه مِن تَبِعات ذلك أوّلاً، ولإيئاس أُسرته وحاشية مُلك بني أُميّة من الاستمرار علىٰ ذلك علىٰ يديه ثانياً.

٤. تجرّده عن الحكم، وخلع نفسه بنفسه بشجاعةٍ وصراحة وقاطعيّة، إعراباً منه عن تأثّمه واستشكاله علىٰ منصبٍ مغصوب، وإحساساً منه بحُرمة الاستمرار فيه، وخشيةً مِن تبعاته والمساءلة فيه والمحاسبة الأُخرويّة عليه!

٥. تذكيره بالموت والإيقاف والسؤال والآخرة، والعقاب المهول.

وقد يقول قائل: ربّما في أمر الخُطبة وطيّاتها لعبةٌ سياسيّة أُريد بها امتصاص النقمة المتفاقمة ضدَّ بني أُميّة بعد جرائمهم العظمىٰ: قتل سيّد شباب أهل الجنّة أبي عبدالله الحسين عليه السلام، إحراق الكعبة بيت الله الحرام، هتك مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله في واقعة الحَرّة بقتل الصحابة والتابعين وقرّاء القرآن، وهتك أعراض النساء، وإشاعة دُور الفجور والخمور.. إلىٰ غير ذلك ممّا سبق من يزيد ومعاوية.

ولكنّنا نتساءل هنا لو كان الأمر لعبةً سياسيّة:

ماذا أُريد بهذه اللُّعبة وقد:

ـ خُزِي بنو أُميّة وكشفت حقائقهم الإجراميّة.

ـ صُرِخ مِن علىٰ أوسع وسيلة إعلاميّة (منبر الجمعة) مِن قبل أعلىٰ منصبٍ في الحكومة الأُمويّة (معاوية بن يزيد)، في أخطر تجمّع يحضره زعماء الدولة والأُسرة الحاكمة وقادة البلاد وعموم الناس.. صُرِخ بأحقّيّة أهل البيت عليهم السلام بالخلافة.

ـ خَسِر البيتُ الأُموي ابناً لهم، فقُتِل بعد أن خلع نفسَه، ولم يُوصِ لأحدٍ مِن أُسرته، حتّى تلاقفها مروان بن الحكم بعد اغتيال الوليد بن عُتبة بن أبي سفيان، فقُتل معاوية بن يزيد وكان يُطمَع فيه أن يُثبّت الحكم لبني أُميّة ويستمرّ فيه لهم، وقُتِل مَن طَمِع في الحكم ـ وهو الوليد ـ فذهب الأمر إلى بني مروان غنيمةً باردة.

فأين هي اللُّعبة، وما هدفها، ولأيّ سبب كانت؟! لا ندري، إنّما الذي نراه بيّناً أنّ معاوية بن يزيد قد أدّىٰ بنفسه حتّى سُمّ، وكان قبل ذلك قد فضح عائلته وأخزاها، وأحدث ارتباكاً في العائلة السفيانيّة حيث لم يعيّن حاكماً للشام بعد خلع نفسه، ممّا أدّىٰ ذلك إلى استغلال العائلة المروانيّة لهذا الخلل وتلك الشُّقّة، فقفزت إلى السلطة بدهاء وغدر، فأصبح مروان زعيماً بعد ذلك، حتّى أنّ آل أبي سفيان ضاقوا به فاغتالته زوجة يزيد (أُمّ معاوية الثاني) بخنقه بوسادته!

ونبقىٰ مع عناصر خطبة معاوية الثاني، لا نجزم مِن خلالها علىٰ ما لا نطمئنّ؛ إذ حُسْنُ الفعل لا يَدلُّ بالضرورة والقاطعيّة علىٰ حُسنِ

الفاعل، إلّا أنّنا نحتمل تأثّر معاوية الثاني بأُستاذه الذي كان يميل إلى أهل البيت عليهم السلام، فانتفض ليقول حقائقَ لا يفوه بها إلّا مَن تمكّن مِن قلبه اعتقاد، ونهضت به همّةٌ شجاعة، فهاجمَ أُسرته معترضاً عليها أمامَ الملأ العامّ بشدّة وداخلَ بيته بصلابة، فحاججَ مروانَ وكذا جابه أُمّه، وأشار بوضوح إلى أفضليّة ومظلوميّة أهل البيت عليهم السلام، دون غيرهم، وهذا في ظاهره حسن، فيُرجَأ أمرُه إلى الله تبارك وتعالى، ونُودِع شأنه إلى ما هو مسكوتٌ عنه حيث لم يَرِد مدحٌ ولا قدح فيه.

ولا بأس أن يُكرَم موقفٌ للمسلمين في ظلّ الإعلام الأُمويّ الماكر، أن يُجانبوا العداءَ لأهل البيت عليهم السلام علىٰ أقلّ الفروض، أو يميلوا إليهم بقلوبهم وأفكارهم وإن لم يُصرِّحوا بذلك ـ لتقيّةٍ ـ أو يُجاهدوا دونهم. فقد مرّت على المسلمين حُقَبٌ من الإرهاب والإرعاب ما مَنَعَتهم عن الإباحة بالحقّ أو بالتصريح بالولاء لأهل البيت عليهم السلام، هذا فيما ذهب الكثير إلى مجاراة الظالمين وخدمتهم والتملّق لهم وإعلان معاداتهم لآل الرسول تزلّفاً للسلطة القاسية.

فجرأةٌ هي يومَها ممّن لم يُوالِ بني أُميّة ولم يعلن ولاءه لهم ظاهراً علىٰ أقلّ الفروض ـ، وجُرأةٌ هي كذلك ممّن يُصرّح بِمَيله لأهل البيت النبويّ الشريف ولاءً أو اعتقاداً، فكيف بمَن يصرخ بخزي بني أُميّة ومظلوميّة أهل البيت وأحقّيّتهم بالخلافة، كما فعل معاوية الثاني ؟!

لا ندري بعد هذا ماذا نقول في هذا الرجل، وكيف نقيّمُه أو نقيّم موقفَه وهو في طليعة بني أُميّة؟!

ولا ندري كيف نفهم عبارات خطبته، وهي واضحة وصريحة بما لا تتحمّل تأويلات وشكوكاً كثيرةً ولا قليلة؟!

هذا وقد كان لعلمائنا شروط عديدة في الراوي، كما كانت لهم مسامحات تجعلهم يقبلون ـ ضمن حالاتٍ وقيودٍ معيّنة ـ حتّىٰ مِن المخالف..

* جاء في (تلخيص مقباس الهداية) في بيان شرائط الراوي لقبول روايته:

٤ ـ **الإيمان**: والمراد به كونه إمامياً اثنَي عَشَريّاً، وقد اعتبر هذا الشرط جمعٌ، منهم الفاضلان والشهيدان وصاحب «المعالم» و«الكَرَكيّ» وغيرهم. ومقتضاه عدم جواز العمل بخبر المخالفين ولا ساير فرق الشيعة، وخالف في ذلك الشيخ رحمه الله في محكيِّ العُدّة، حيث جوّز العمل بخبر المخالفين إذا رَوَوْا عن أئمّتنا عليهم السلام إذا لم يكن في روايات الأصحاب ما يُخالفه ولا يُعرَف لهم قولٌ فيه، لِما رُويَ عن الصادق عليه السلام أنّه قال: «إذا نزلت بكم حادثةٌ لا تجدون حُكمَها فيما روي عنّا، فانظروا إلى ما رَوَوه عن عليّ عليه السلام فاعملوا به».

قال: «ولأجل ما قلناه، عملت الطائفة بما رواه حفصُ بن غياث، وغياثُ بن كَلّوب، ونوح بن دُرّاج والسكونيّ وغيرهم من العامّة

عن أئمّتنا عليهم السلام فيما لم يُنكِروه ولم يكن عندهم خِلافُه».

وقال في مَحكيّ «العُدّة» أيضاً: «أنّ ما رواه سائر فرق الشيعة والفطحيّة والواقفيّة والناووسيّة وغيرهم إن كان ليس هناك ما يُخالفه ولا يُعرَف من الطائفة العمل بخلافه، وجب أن يُعمَلَ به إذا كان متحرِّجاً في روايته موثوقاً به في أمانته وإن كان مُخطِئاً في أصل الاعتقاد، ولأجل ما قلناه عملت الطائفة بأخبار الفطحيّة مثل عبدالله ابن بُكير وغيره، وأخبار الواقفيّة مثل سَماعة بن مِهران وعليّ ابن أبي حمزة وعثمان بن عيسى، ومَن بعد هؤلاء بما رواه بنو فضّالٍ وبنو سماعة والطاطِريّون وغيرهم فيما لم يكن عندهم فيه خلافٌ ـ انتهى»[١].

ماذا كان بعد الخلع؟

لابدّ أنّ بني أُميّة كانوا حاضرين في صلاة الجمعة، وقد سمعوا معاوية الثاني وهو يذكر فضائح زعمائهم.. فماذا كان موقفهم؟

تذكر بعض الأخبار أنّ أقرباءه بعد أن نزل من المنبر دخلوا عليه مع أُمّه، فكان حينئذٍ كلامٌ وجواب. وليس ذلك فحسب، بل عمدوا إلى مؤدّبه فقتلوه![٢]

(١) تلخيص مقباس الهداية للمامقانيّ الشيخ عبدالله، تلخيص وتحقيق: علي أكبر الغفّاريّ ص٧٩ ـ ٨٠.

(٢) يراجع: حياة الحيوان ١: ٨٩.

أمّا أُمّه.. فماذا قالت يا تُرى؟! بل ـ وقبل كلّ شيء ـ مَن هي أُمُّه يا تُرى؟

* قال اليعقوبيّ: وأُمّه أُمّ هاشم بنت أبي هاشم بن عتبة بن ربيعة[1]. فهي حفيدة (عتبة بن ربيعة) أحد المفسدين في الأرض وأحد الفجّار، كذلك سمّاه الله تعالى في كتابه المجيد: ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾[2]؟ ـ كما جاء عن ابن عبّاس ـ حيث قال: نزلت هذه الآية في ثلاثة من المسلمين.. فهُمُ المتّقون الذين آمنوا وعملوا الصالحاتِ، وثلاثةٍ من المشركين.. فهمُ المفسدون في الأرض. فأمّا الثلاثةُ من المسلمين: فعليٌّ بن أبي طالب وحمزة وعُبيدة، وأمّا الثلاثة من المشركين: فعُتبةُ بن ربيعة وشيبة [أخو عتبة] والوليد بن عتبة، وهمُ الذين تبارزوا يوم (بدر).. فقتل عليٌّ الوليد، وقتل حمزةُ عتبة، وقتل عبيدةُ شيبة[3].

فأُمّ هاشم هذه ـ والتي هي أُمّ معاوية الثاني ـ سليلةُ المفسدين الفجّار، ووريثة أحقادهم، وهي الحريصة كلَّ الحرص على أن تبقى الزعامة في بني أُميّة لا تخرج عن أيديهم، لاسيّما وقد تُوِّج بها زوجها يزيد، ثمّ ورّثها إلى ولدها معاوية.

---

(١) تاريخ اليعقوبيّ ٢: ٢٥٤.

(٢) سورة ص: ٢٨.

(٣) تفسير فرات الكوفيّ: ٣٥٩/ ح٤٨٨.

فكانت خطبة معاوية الثاني صاعقةً نزلتْ على قلبها، فتحطّم كيانها وخابت آمالها، وضاع منها أمرٌ خامَرَ أحلامها دهراً.. فماذا كان ردُّ فعلها بعد أن نزل معاوية ابنها عن منبره، وعن إمرته؟

* يذكر البلاذريّ: أنّ أُمّ معاوية الثاني ـ وهي أُمّ هاشم سليلة آل أبي سفيان ـ قالت له بعد خطبته تلك:

ـ لَوَددتُ يا بُنيّ أنّك كنتَ نَسْياً مَنْسيّاً، وأنّك لم تَضعف هذا الضَّعْف!

فقال لها: وددتُ ـ واللهِ ـ أنّي كنتُ نسياً مَنْسيّاً ولم أسمع بذِكْر جهنّم![1]

* ويذكر الدَّميريّ أنّ معاوية لمّا نزل دخل عليه أقاربُه وأُمّه، فوجدوه يبكي، فقالت له أُمّه: ليتَك كنتَ حِيضة ولم أسمع بخبرك! فقال: وددتُ ـ واللهِ ـ ذلك. ثمّ قال: ويلي إن لم يرحمْني ربّي![2]

أو يُروى أنّ أُمّه قالت له: ليتك كنت حِيضةً في خِرقة، فقال: وأنا وددتُ ذلك يا أُمّاه، أما علمتِ أنّ للهِ تعالى ناراً يعذّب بها مَن عصاه وأخذ غيرَ حقّه![3]

فكان في جوابه مؤدَّباً مع أُمّه ـ وإن أرادت به سوءً، ولامتْه على

---

(١) أنساب الأشراف ٥: ٣٨٢.

(٢) حياة الحيوان ١: ٨٩. والحِيضة: الخِرقة التي تضعها المرأه لتتلقّى بها دم الحَيض.

(٣) عن: أدب الطفّ للسيّد جواد شبّر ٣: ١٣.

تنكّب طريق جهنّم ـ، فقد بيّن لها موقفه مقروناً بـالدليل الواضـح والبيان الصريح، وحاججها بكلماتٍ قليلةٍ كانت عَرْضاً للحقّ فـي صورة جليّة، وبرهاناً قاطعاً لا محيص عن مغالطته أو الفرار عنه.

ورُوي أنّها كانت قد قالت له: ليتك كنت حِيضةً ولم أسمع ما قلتَه على المنبر. أو قالت: ليتك كنتَ حَيضةً فلم تُخلَق ولم أكـن أرى يومك! فأجـابها: وَدَدتُ ذلك والله، ولم أكـن أتـقلّد هـذا الأمـر.. أأتحمّل وِزْر الخلافة ويفوز بحلاوتها بنو أُميّة؟! ذلك لن يكون[١].

* وكتب البلاذريّ: فلمّا احتُضر قيل له: لو بايعتَ لأخيك خالد ابن يزيد، فإنّه أخـوك لأبـيك وأُمّك. فـقال: سـبحان الله، كُـفِيتُها حياتي، وأتقلّدها بعد موتي![٢]

* وكتب المسعوديّ: ولمّا حضرته الوفاة، اجتمعتْ إليه بنو أُميّة فقالوا: اعهدْ إلى مَن رأيتَ من أهل بيتك، فقال: واللهِ ما ذُقْتُ حلاوة خلافتكم، فكيف أتقلّد وِزْرَها؟! وتتعجّلون أنتم حلاوتها، وأتعجّل مرارتها! اللّهمّ إنّي بريء منها، مُتخلٍّ عنها.. فقالت له أُمُّه: ليتَ أنّي خِرقةُ حيضة ولم أسمع منك هذا الكلام! فقال لها: وليتني ـ يا أُمّاه ـ خِرقة حيض ولم أتقلّد هذا الأمر، أتفوز بنو أُميّة بحلاوتها، وأبوء بِوِزْرها ومنعِها أهلَها؟! كلّا، إنّي لبريء منها[٣].

---

(١) تتمّة منتهى الآمال: ٤٨.

(٢) أنساب الأشراف ٥: ٣٨٢.

(٣) مروج الذهب ٣: ٨٢.

* وذكر القاضي القضاعيّ أنّه قيل لمعاوية الثاني بعد أن خلع نفسه: اعهَدْ إلىٰ أخيك خالد، فقال: واللهِ ما ذقتُ حلاوة خلافتكم، فلا أتقلّدُ وزرَها[١].

أجل.. فقد كان البعض يتربّص لها، أن يعيش في ظلّها أميراً أو والياً أو نائلاً مِن خلالها لأغراضه الدنيويّة ـ وإن كانت عن طريق الخداع والسرقة والظلم ـ.

والآن.. ماذا كان موقف مروان بن الحكم من خلع معاوية الثاني نفسَه عن الخلافة؟ بل مَن هو مروان هذا ـ أوّلاً ـ ؟!

مع مروان بن الحكم

بشكل مختصر:

* أخرج الحاكم النيسابوريّ من طريق عبدالرحمان بن عوف أنّه قال: كان لا يولد لأحدٍ بالمدينة ولدٌ إلّا أتى به إلى النبيّ ﷺ.. فأُدخل عليه مروانُ بن الحكم، فقال ﷺ: هو الوزَغُ ابنُ الوزغ، الملعون ابن الملعون![٢]

---

(١) الإنباء بأنباء الأنبياء وتاريخ الخلفاء.. ص٢١٠/ الرقم ١٤٩.

(٢) المستدرك على الصحيحين ٤: ٤٧٩. وذكره أيضاً: الدميريّ في حياة الحيوان ٢: ٣٩٩، وابن حجر في الصواعق المحرقة: ١٠٨، والحلبي في السيرة الحلبيّة ١: ٢٣٧.

* وأخرج ابن النجيب وابن عساكر من طريق جُبَير بن مُطعِم، قال: كنّا مع رسول الله صلى الله عليه وآله فمرّ الحَكَم، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: ويلٌ لأُمّتي ممّا في صُلْب هذا![1]

* وأخرج ابن الأثير وغيره أنّ مروان بن‌الحكم وعبدالرحمان بن أبي بكر اختصما يوماً، فسمعت عائشة أنّ مروان يعيّر أخاها ويقول له: ألستَ الذي قال لوالدَيه **(أُفٍّ لَكُما)**؟!

وفي رواية: ألستَ هذا الذي قال الله فيه: ﴿ **وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ: أُفٍّ لَكُمَا** ﴾[2]؟! فأجابته عائشة: كَذِب مروان، كذِب مروان.. ولكنّ رسول الله لعنَ أبا مروانَ ومروانُ في صلبه، فمروانُ فضَضٌ مِن لعنة الله. وفي لفظٍ آخر: ولكنَّ رسول الله لعنَ أباكَ وأنت في صلبه، فأنت فضضٌ مِن لعنة الله![3]

فمروان ـ بنصّ الأحاديث الشريفة ـ وَزَغ، والوزغ حيوان أبرص سامّ، ومروان ملعون وهو في صلب أبيه؛ لأنّه أحد جنود إبليس، وصاحب فتنٍ وبدعٍ في الإسلام. قال البلاذريّ: كان مروان يُلقَّب

---

(١) أُسد الغابة ٢: ٣٤، والإصابة ١: ٣٤٦، وكنز العمّال ١١: ١٦٧/ خ٣١٠٦٦، والسيرة الحلبيّة ١: ٣٣٧.
(٢) الأحقاف: ١٧.
(٣) أُسد الغابة ٢: ٣٤. ويراجع أيضاً: المستدرك على الصحيحين ٤: ٤٨١، وتفسير القرطبيّ ١٦: ١٩٧، وتفسير الزمخشريّ ٣: ٩٩، وتفسير ابن كثير ٤: ١٥٩، وتفسير الفخر الرازيّ ٧: ٤٩١، ومصادر أخرىٰ.

(خيطَ باطل)؛ لدقّته وطوله شبه الخيط الأبيض الذي يُرى في الشمس[١].

ومَن أراد الاستزادة في التعرّف على شخصيّة مروان فيكفيه الرجوع إلى كتاب العلّامة الأميني (الغدير)[٢]. وهنا نكتفي بما وصفه الإمام الحسن عليه السلام في مجلس معاوية وقد اجتمع هذا بمعاوية مع جلاوزته: عمرو بن عثمان بن عفّان، وعمرو بن العاص، وعتبة بن أبي‌سفيان، والوليد بن عقبة بن أبي مُعَيط، والمُغيرة بن شعبة.. وقد تواطأوا جميعهم على أمرٍ واحد، وبعثوا إلى الإمام الحسن عليه السلام فسبّوا بني‌هاشم ورهطَ رسول الله صلى الله عليه وآله وتعرّضوا لأهل بيته بالطعن والتهمة وبذيءِ القول. فأجابهم الإمام الحسن المجتبى عليه السلام بما يُفحمهم ويُخزيهم، ويُبيّن فضائل أهل بيت الرسالة عليهم السلام، فأُخرِسوا بما فيهم معاوية، وقد بيّن الإمام مثالب آل أبي‌سفيان ومَن حضر لسبِّ آل أبي طالب.

فلمّا سمع مروان بن الحكم بما لقيَ معاويةُ وأصحابه المذكورون من الإمام الحسن بن عليّ عليهما السلام جاء إلى المجلس فقال: أفَلا أحضرتُموني ذلك، فواللهِ لَأَسُبّنّه ولأسبّنَّ أباه وأهل البيت سبّاً تتغنّى به الإماءُ والعبيد!

---

(١) أنساب الأشراف ٥: ١٢٦.

(٢) الجزء الثامن ص٢٥٧ ـ ٢٦٧.

فأُرسل إلى الحسن عليه السلام ، فحضر وقال لمروان:

وما الذي أردتَ؟ قال مروان: واللهِ لَأَسبّنّك وأباك وأهلَ بيتك سبّاً تتغنّى به الإماءُ والعبيد.

فقال الإمام الحسن عليه السلام : أمّا أنتَ يا مروان.. فلستُ سببتُك ولا سببتُ أباك، ولكنَّ الله عزّ وجلّ لعنَكَ ولعنَ أباك، وأهلَ بيتك وذرّيّتَك، وما خرج مِن صُلب أبيكَ إلى يوم القيامة، على لسان نبيّه محمّد صلى الله عليه وآله . واللهِ يا مروان! ما تُنكِر أنتَ ولا أحدٌ مِمّن حضر هذه اللّعنةَ مِن رسول الله صلى الله عليه وآله لك ولأبيك مِن قَبلِك. وما زادك اللهُ يا مروانُ بما خوّفك إلّا طغياناً كبيراً..

فوثب معاوية فوضع يده على فم الحسن..[1].

ويوم خطب (معاوية الثاني) خطبتَه تلك وأظهر فيها مثالب بني أُميّة، لاسيّما آل أبي سفيان، وخصوصاً يزيدَ أباه ومعاويةَ جَدَّه.. ماذا كان من مروان بن الحكم، وهو يومئذٍ هناك يتربّص بالخلافة بعد معاوية، ولا يرضى لنفسه ـ وقد قاتل الإسلام وكاد به خمسين عاماً ـ إلّا بإمرة الشام إن لم يتسنَّ الأمرُ له بإمرة كلّ بلاد المسلمين؟

* ذكر البلاذريّ أنّ أوّل المتصدّين لمعاوية الثاني بعد خطبته تلك ـ إهانةً له، واقتناصاً للغنيمة ـ هو مروان، فقيل: دخل عليه قائلاً له:

---

(١) الاحتجاج ١: ٢٧٨ ـ ٢٧٩.

لقد أَعطيتَ من نفسك ما يعطي الذليلُ المَهين! ثمّ رفع صوته فقال:

ـ من أراد أن ينظر في خالفةِ آل حرب بن أُميّة فلْينظر إلى هذا!

فقال له معاوية الثاني: يابن الزرقاء! أُخرجْ عنّي، لا قَبِلَ اللهُ لك عذراً يوم القيامة![1]

---

(١) أنساب الأشراف ٥: ٣٨١. يعلّق أحد الكتّاب علىٰ هذه الحادثة فيقول: وهي حادثةٌ تَدلّ على نظرة معاوية الثاني السلبيّة إلىٰ مروان، حيث دعا عليه أن يُدخله اللهُ النارَ بجرائمه، ولا يقبلَ له عذراً! وتدلّ علىٰ أنّه يعتقد بما وصف النبيُّ ﷺ وأهل البيت عليهم‌السلام به مروانَ بأنّهُ «ابن الزرقاء» وهو طعنٌ في نسبه؛ فقد روى ابن حمّاد في (الفتن والملاحم ١: ١٢٩) عن راشد بن سعد أنّ مروان بن الحكم لمّا وُلِد دُفع إلىٰ رسول الله ﷺ لِيدعوَ له، فأبىٰ ﷺ أن يفعل، ثمّ قال: ابنُ الزرقاء؟! هلاكُ عامّة أُمّتي علىٰ يَدَيه ويَدَي ذُرّيّته!!». وقد وصفه بذلك الإمامان الحسنان عليهما‌السلام ـ كما في (تاريخ دمشق ١٣: ٢٩٢) ـ، والإمام زين العابدين عليه‌السلام ـ كما في (الكافي ٦: ١٩) ـ، والأحنف بن قيس ـ كما في (الطبقات الكبرىٰ ٧: ٩٦)، و(تاريخ دمشق ١: ٣٦٠)، و(تاريخ الطبريّ ٤: ٢٥١)، وهذا يشير إلىٰ أنّ ثقافة معاوية بن يزيد كانت شيعيّة، فالزرقاء لقبٌ لأُمّ مروان، واسمها أرنب أو أُميّة، لُقّبت به لأنّها كانت بغيّة! (يراجع: تذكرة خواصّ الأُمّة لسبط ابن الجوزيّ ١١٩، مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ٣: ١٨٤)... وقد شهدت بذلك عائشة فشتمَتْه به في نزاعها معه مِن أجل أخيها عبدالرحمان (تاريخ دمشق ٣٥: ٣٦، الإشراف علىٰ مناقب الأشراف لابن أبي الدنيا: ١٢٢/الرقم ٢٢٣، المنتظم لابن الجوزيّ ٥: ٣٢٣)، والصحابي أبو سعيد الأنصاريّ (المعجم الكبير للطبرانيّ ٢٢: ٣٠٦، الآحاد والمثاني لابن أبي عاصم ١: ٣٩٤ و٤: ٢٤٧). كما وصف به عمرُو بن سعيد الأشدق الأمويّ عندما أراد عبدالملك أن يقتله (تاريخ

⟵

هذا بعد ما كان معه في المسجد.

* ويذكر بعض المؤرّخين أنّ معاوية الثاني لمّا خطب النـاسَ تلك الخطبة كان مروان تحت المنبر، فلمّا خلع معاوية الثاني بيعتَه من أعناق الناس قال له مروان ـ ومعاويةُ ما زال على المنبر لم ينزل بعد ـ: أسُنّةً عُمَريّةً يا أبا ليلى؟ فأجابه معاوية الثاني (مُعرِضاً): أُغْدُ عنّي.. أعن ديني تخدعُني؟! فواللهِ ما ذقتُ حلاوة خلافتكم فأتجرّع مرارتَها!.. ثمّ قال: ـ واللهِ لئن كانت الخلافة مَغنماً، لقد نال أبي منها مَغرماً ومَأثماً، ولئن كانت سوءاً فحَسْبُه منها ما أصابه!

ثمّ نزل فدخل عليه أقاربه وأُمّه فوجدوه يبكي..[1].

ويبدو أنّ عبارة مروان هكذا: سُنّةً عُمَريّة! على صيغة التحضيض أو التوبيخ، أي أراد أنْ يقول له: هلّا جعلتَها سُنّةً عُمريّة! أو: لماذا لم تجعلها سُنّةً عُمريّة؟! أو: هلّا تجعلُها سُنّةً عُمريّة! ما زال في الحال فُسْحة! أي تجعلها قسمةً بينكم (يا بني أُميّة) وبيننا نحن (آل مروان)، نتشاطر الخلافة ونتعاقبها إنْ أنت عزفتَ عنها، كما أوصى عمر بن

⊃ الطبريّ ٤: ٥٩٩، النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ٦: ٢٧٢، المنتظم ٦: ٩١، تاريخ الكامل لابن الأثير ٤: ٨٨).

[جواهر التاريخ، عليّ الكَورانيّ ٣: ٤٣٣ ـ ٤٣٥. ولا بأس ـ في هذا الموضوع ـ بمراجعة كتاب (الأسرار فيما كُنّيَ وعُرِف به الأشرار، للشيخ عبدالأمير الفاطميّ النجفيّ ١: ٩٠ ـ ٩٢)].

(١) حياة الحيوان ١: ٨٨ ـ ٨٩.

الخطّاب ـ وهو على فراش الموت ـ أن تكون الخلافة من بعده شورى ـ بلا أيّ دليل شرعيّ ـ في ستّة رجال ـ كما سنبيّن ـ.

ودليلُ ما ذهبنا إليه أنّ الذي طرحه مروان بن الحكم على معاوية الثاني من الرأي.. هو ما يُروى:

أنّ مروان قال له: يا أبا ليلى! سُنّةٌ عُمَريّة! فقال: يا مروان! تخدعُني عن ديني... واللهِ لئن كانت الخلافة مغنماً فلقد أصابَنا منها حظّ، وإنْ كانت شرّاً فحسْبُ آل أبي سفيان ما أصابوا منها! ثمّ نزل..[1].

وهذا ما أكّده المحدّث الشيخ عبّاس القمّيّ، حيث روى أنّ مروان ـ ومِن تحت المنبر ـ قد خاطب معاويةَ الثاني بـ«يا أبا ليلى!»، وهي كُنْيةٌ تُطلق على ضعفاء العرب، وطلب منه أنْ يجعل أمر الخلافة شورى كما فعل عمر.. إنْ كان غير راغبٍ هو (أي معاوية الثاني) فيها[2].

ولعلّ مروانَ هذا قصَدَ أن تكون الخلافة منشطرةً في جماعتين: الشطر الأوّل: في بني أُميّة أو مِن آل أبي سفيان، والشطر الثاني: في آل مروان وعلى رأسهم ابن الحكم مروان.

---

(١) يراجع: تاريخ اليعقوبيّ ٢: ٢٥٤.. وفيه: فقال له مروان بن الحكم: سُنَّها فينا عُمَريّة! فأجابه معاوية: ما كنتُ أتقلّدكم حيّاً وميّتاً.

(٢) يراجع: تتمّة منتهى الآمال: ٤٨. قال المسعويّ في (التنبيه والإشراف ص٢٦٥): وإنّما كُنّيَ أبا ليلىٰ؛ تقريعاً له لعجزه عن القيام بالأمر، وكانت العرب تفعل ذلك بالعاجز من الرجال.

والآن.. اقتضى السياق أن نتعرّف على السُّنّة العُمَريّة التي دعا إليها مروانُ بن الحكم.. وهي في الاستخلاف، كما تشير إليه قرينة الحال.

السُّنّة العُمَريّة

* قال اليعقوبيّ: وصيّر (عمر) الأمرَ ـ أي الخلافة ـ شورى بين ستّة نفر مِن أصحاب رسول الله: عليّ بن أبي طالب، وعثمان بن عفّان، وعبدالرحمان بن عوف، والزبير بن العوّام، وطلحة بن عبيدالله، وسعد بن أبي وقّاص. فقيل له في ابنه عبد الله بن عمر، فقال: حسب آل الخطّاب ما تحمّلوا منها! إنّ عبد الله لم يُحسن أن يطلّق امرأته!

وأمر صهيباً أن يصلّيَ بالناس حتّى يتراضَوا من الستّة بواحد. واستعمل أبا طلحة زيدَ بن سهل الأنصاريّ وقال: لئن رضيَ أربعة، وخالفَ اثنان.. فاضربْ عنُقَ الاثنين. وإنْ رضي ثلاثة، وخالفَ ثلاثة.. فاضرب أعناق الثلاثة الذين ليس فيهم عبدالرحمان. وإن جازت الثلاثةَ أيّامٌ ولم يتراضَوا بأحدٍ.. فاضرب أعناقَهم جميعاً![1]

وهذا أمرٌ عجيب! بل عجيبٌ جدّاً جدّاً! إذْ لم نسمعْ به مِن قبلِ هذا ولامِن بعد، لا في شرائع الله تبارك وتعالى ولا في شرائع الناس،

---

(١) تاريخ اليعقوبيّ ٢: ١٦٠.

ولا في أحكام العقلاء. إذ كيف يكون المرءُ مِن أفضل رجال الأُمّة، ويُعَدّ للخلافة خلافة رسول الله ﷺ، فإذا لم يتراضَ عليه الخمسة الذين معه ضُرب عنقه، فإنْ هو لم يتراضَ معهم ضُرِبت أعناقُهم جميعاً؟!

وكيف إذْ هم خيار المسلمين، فإن اختلف الرأي بينهم وانشطروا تُقتل الجماعة التي ليس فيها فلان (عبدالرحمان بن عوف)؟! وبأيّ دليل يُقتَل شَطْرُ أفاضل الأُمّة؟! وما هو امتياز عبدالرحمان هذا من العصمة والحَصانة كي تُصانَ جماعتُه وتُضرب أعناق الجماعة المقابلة التي ترى غيرَ ما يراه من الرأي؟!

أيّةُ سُنّة تلك؟! وأيُّ حكم ذاك؟! حتّى لَيكون الرجل: إمّا خليفة لرسول ربّ العالمين، وإماماً مطلقاً على رؤوس المسلمين، وإمّا قتيلاً حاله كحال أسوأ المجرمين!

ثمّ ما الدليل على حصر الشورى في ستّة.. يا عمر؟! ثمّ: هل غفل الإسلام عن حُكمٍ مِن أعظم أحكام الشرع الحنيف ـ وهو الاستخلاف ـ لكي يُؤتى فيه برأي لا دليل فيه ولا برهان، كهذا؟!

* قال الكاتب عبد الله العلايليّ: إنّ عمر تردّد بين أن يَتّبع طريقة أبي‌بكر أو طريقة النبيّ ﷺ، وخاف الاختلاف فجمع الطريقتين. غير أنّ الستّة الذين حصر الانتخاب بهم اختلفوا وهو حيّ... وعبد الرحمان بن عوف لعب دوراً مهمّاً حين وسّع دائرة الانتخاب،

وانتقل به الشعب حتّى لم يُتمّ مدّة الشورى. وذلك أنّ عليّاً عليه السلام كان الفائزَ ـ لا محالة ـ في الانتخاب التداوليّ الذي حصل بين الستّة؛ فإنّ المؤهّلات التي اجتمعت له لم تجتمع لواحدٍ منهم..(١).

* عن عامر بن واثلة، قال: كنتُ في البيت يوم الشورى، فسمعتُ عليّاً عليه السلام وهو يقول: استخلفَ الناسُ أبا بكرٍ وأنا ـ واللهِ ـ أحقُّ بالأمرِ وأَولى به منه، واستخلف أبو بكر عمرَ وأنا ـ واللهِ ـ أحقُّ بالأمر وأَولى منه.. إلّا أنّ عمرَ جعلني مع خمسةٍ أنا سادسُهم لا يُعرَف لهم علَيّ فضل، ولو أشاء لَاحتججتُ عليهم بما لا يستطيع ـ عربيُّهم ولا عجميُّهم، المعاهِدُ منهم والمشرك ـ تغييرَ ذلك.

ثمّ قال: نشدتُكم بالله أيُّها النفر! هل فيكم أحدٌ وحَّدَ اللهَ قَبلي؟! قالوا: اللّهمّ لا. قال: نشدتُكم بالله، هل فيكم أحد قال له رسول الله صلى الله عليه وآله: أنت منّي بمنزلة هارونَ مِن موسى إلّا أنّه لا نبيَّ بعدي، غيري؟! قالوا: اللّهمّ لا...(٢).

ثمّ أخذ عليه السلام يعدّد فضائله، وأدلّة أفضليّته على غيره بما يقرب ـ في نقله ـ من أربع عشرة صفحة، والقوم يصدّقون على ما يقول بـ: اللّهمّ نعم، حتّى ختم عليه السلام حديثَه الشريف بقوله: اللّهمَّ اشهدْ.

---

(١) الإمام الحسين عليه السلام، أو سموّ المعنى في سموّ الذات: ٢٦٦ ـ ٢٦٧.

(٢) الخصال، للشيخ الصدوق: ٥٥٤ ـ ٥٦٣/ ح ٣١ ـ عنه: بحار الأنوار ٣١: ٣١٥ ـ ٣٢٩. يراجع في هذا الموضوع: الغدير ١: ١٥٩ ـ ٢١٣، باب المناشدة والاحتجاج بحديث الغدير.

والآن نتساءل.. ألم تكن طريقة النبيّ الأكرم ﷺ في الاستخلاف هي التبليغ بأنّ عليّاً هو أمير المؤمنين، وخليفة رسول ربّ العالمين، وبايَعَه على ذلك مائة وعشرون ألفاً أو في حدود ذلك في واقعة الغدير العظمى؟!

وتلك آيتان شاهدتان: ﴿**يَا أَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ وَإِن لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ إِنَّ ٱللَّهَ لاَ يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْكَافِرِينَ**﴾[1].

وهذه آية التبليغ.. فلمّا بلّغ المصطفى ﷺ بأمر الله على مسمعِ ومشهد عشرات آلاف المسلمين في خطبة عظيمة مطوّلة.. نزلت آية إكمال الدين، وهي قوله تعالى: ﴿**ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلإِسْلاَمَ دِيناً..**﴾[2].

وتلك مصادر المسلمين: من التفاسير إلى كتب الحديث، إلى كتب السيرة والتاريخ... كلُّها نقلت الواقعة بإيجاز أو تفصيل، نذكر منها القليل ونُرجئ الكثير إلى مَن يريد التحقيق في ذلك. يراجع: الكشف والبيان في تفسير القرآن، للثعلبيّ. فرائد السمطين، للجُوَينيّ الشافعيّ. الفصول المهمّة، لابن الصبّاغ المالكيّ. صحيح مسلم ١٥: ١٨٨. صحيح البخاريّ ٥: ٨٣. مسند أحمد ٤: ٢٨١.

---

(١) سورة المائدة: ٦٧.

(٢) سورة المائدة: ٣.

مناقب عليّ بن أبي طالب عليه السلام، لابن المغازليّ الشافعيّ... وغيرهم. حتّى أُحصي مِن علماء السنّة خمسةٌ وعشرون عالماً نقلوا في كتبهم رواية الغدير بشأن ولاية أمير المؤمنين عليّ عليه السلام.

واختصاراً للمسافة، وتجنّباً للعناء.. نشير إلى مراجعة كتاب الغدير للشيخ الأمينيّ ـ الجزء الأوّل (بأكمله).

نعود إلى العلايليّ فنسأله: كيف تردّد عمر بين طريقة النبيّ وطريقة أبي بكر في الاستخلاف؟ ألم يكن يعلم أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان معصوماً، وكان مبلِّغاً عن الله تبارك وتعالى فكان منه صلى الله عليه وآله خطبة الغدير الكبرىٰ وبيعتها العظمىٰ للإمام عليّ عليه السلام؟ أم كان عمر شاكّاً في ذلك؟! ثمّ ألم يقلْها عمر صريحةً: كانت بيعةُ أبي بكر فلتة، وقى اللهُ المسلمين شرَّها.. ثمّ أعقبَ ذلك بقوله: فمَنْ عاد إلى مثلِها فاقتلوه[1]؟!

فكيف يتردّد عمر في فلتةٍ أمرَ بأن يُقتَل مَن يعود إليها؟! ثمّ ماذا كانت طريقة أبي بكر في الاستخلاف؟

(١) يراجع على سبيل المثال: صحيح البخاريّ ١٠: ٤٤، مسند أحمد ١: ٥٥، تاريخ ابن كثير ٥: ٢٤٦، تاريخ الطبريّ ٣: ٢٠٠ ـ ٢٠٥، سيرة ابن هشام ٤: ٣٣٨، السيرة الحلبيّة ٣: ٣٨٨ ـ ٣٩٢، الكامل في التاريخ ٢: ١٣٥، ٣٢٧، أنساب الأشراف ٥: ١٥، النهاية لابن الأثير ٣: ٢٣٨، الصواعق المحرقة: ٥، ٨، ٢١، تاج العروس للزَّبيديّ ١: ٥٦٨، التمهيد للباقلّانيّ: ١٩٦، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢: ١٩ و ١: ١٢٣ ـ ١٢٤.. وغيرها.

* قال ابن أبي‌الحديد: أحضر أبو بكر عثمانَ ـ وهو (أي أبو بكر) يجود بنفسه ـ، فأمره أن يكتب عهداً، وقال: اكتبْ: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما عَهِد به عبد الله إلى المسلمين، أمّا بعدُ.. ثمّ أُغميَ عليه، فكتب عثمان: قد استخلفتُ عليكمُ ابنَ الخطّاب.

وأفاق أبو بكر فقال: إقرأْ. فقرأه عثمان، فكبّر أبو بكر وسُرّ وقال: أراكَ خِفتَ أن يختلف الناسُ إن مِتُّ في غَشيتي! قال: نعم، قال: جزاك الله خيراً عن الإسلام وأهله. ثمّ أتمَّ العهدَ وأمره أنْ يُقرأ على الناس، فقُرئ. ثمّ أوصى عمرَ[1].

فأين أبو بكر إذن من طريقة النبيّ ﷺ؟! وأين عمر هنا من طريقة أبي‌بكر في الاستخلاف؟! وهل كان الإسلام ـ حاشاه ـ بهذه السطحيّة حتّى يتركَ أمراً خطيراً كالخلافة والاستخلاف، فلا يعيّن شخصاً ولا طريقة في ذلك؟! ثمّ أين الشورى التي زُعمتْ في خلافة أبي بكر.. لِمَ لم تُجْرَ في خلافة عمر؟! ألم يكن دليل أبي بكر في خلافته أنّ الشورى من الناس، بل من الأُمّة، كانت هي المعيِّنة له خليفةً لرسول الله بعد رسول الله؟! لماذا إذن لم يَدَع أبو بكر تلك الأُمّة التي زعم أنّها عيّنَتْه أن تعيّن الخليفة مِن بعدِه؟! وما الدليلُ الشرعيّ الذي خوّله أن يستبدّ برأيه فيعيّنَ شخصاً بعينه دون أنْ يرجع إلى أحدٍ من أعيان الأُمّة فيستشيره؟! ولا ندري: أكان تعيين عمر أمراً تَعجّل به عثمان

---

(١) شرح نهج البلاغة ١: ١٦٥.

أم اقتراحاً اقترحه فأمضاه أبو بكر وهو في سكرات الموت؟! ثمّ إنْ كان هذا صواباً.. فلِمَ لم يأخذ به عمر فيعيّن مَن يرغب، واحداً من الناس، دون أنْ يجعلها ستّةً يعرّضهم - إذا اختلفوا - إلى ضرب الأعناق؟! ومتى كان ضرب الأعناق حُكْماً شرعيّاً يُجرى على من اختلف رأيُه مع الآخرين، أو كان في الجماعة المقابلة لجماعة عبد الرحمان بن عوف في جماعة مرشّحة للخلافة؟!

نعود إلى السُّنّة العُمَريّة.. فنقول: هل استقرّ رأي عمر على مَن عيّنَهم من مجلس الخلافة في ستّة نفر؟

* قال اليعقوبيّ - وروايته جواب -: رُويَ عن ابن عبّاس أنّه قال: طرَقَني عمر بن الخطّاب بعد هَدْأةٍ من اللّيل فقال: أُخرج بنا نحرسْ نواحي المدينة.. فقلت له: يا أميرَ المؤمنين! ما أخرجك إلى هذا الأمر؟ قال: غُصْ غوّاص... قلتُ: ذكرتَ هذا الأمرَ بعينه (أي أمر الخلافة) وإلى مَن تُصيّره، قال عمر: صدقت، فقلت له: أين أنت من عبد الرحمان بن عوف؟ فقال: ذاك رجلٌ مُمْسِك! (أي بخيل)، وهذا الأمر لا يصلح إلّا لمُعطٍ في غير سرَف، ومانعٍ مِن غير إقتار. فقلت: سعد بن أبي وقّاص؟ قال: مؤمنٌ ضعيف. فقلت: طلحة بن عبيد الله؟ قال: ذاك رجلٌ يُناوِل للشرف والمديح، يُعطي ماله حتّى يصلَ إلى مال غيره، وفيه بأْوٌ[1] وكِبْر. فقلت: فالزبير بن العوّام؟

(١) البأو: الكِبر والتعظيم للنفس.

فهو فارس الإسلام، فقال: ذاك يومٌ إنسان، ويوم شيطان، وعفّة نفس إن كان ليكادح على المِكْيلة مِن بكرةٍ إلى الظهر حتّى تفوته الصلاة. فقلت: عثمان بن عفّان؟ قال: إنْ وليَ حمل ابنَ مُعَيط وبني أُميّة على رقاب الناس، وأعطاهم مال الله، ولئن وليَ ليفعلنَّ والله، ولئن فعل لتسيرنَّ العرب إليه حتّى تقتله في بيته. ثمّ سكت.. قال ابن عبّاس: فقال (عمر): إمضِها يا ابنَ عبّاس! أترى صاحبَكم (أي عليّاً عليه السلام) لها موضعاً؟ قلت: وأين يتبعّد من ذلك مع فضله وسابقته، وقرابته وعمله؟! قال: هو واللهِ كما ذكرت.. ولو وَلِيَهم تَحَمّلهم على منهج الطريق، فأخذ المحجّةَ الواضحة، إلّا أنّ فيه خصالاً (فطعن واتّهم حتّى قال أنّ فيه حداثةَ السنّ). قال ابن عبّاس: فقلت: هلّا استحدثتم سِنَّه يوم الخندق إذ خرج عمرُو بنُ ودّ، وقد كعم[1] عنه الأبطال وتأخّرت عنه الأشياخ! ويومَ بدرٍ إذ كان يقطّ الأقرانَ قطّاً، ولا سبقتموه بالإسلام إذ كان جعلتهالسّعب[2] وقريش يستوفيكم؟! فقال عمر: إليك يا ابنَ عبّاس! أتريد أنْ تفعل كما فعل أبوك وعليٌّ بأبي بكر يوم دخلا عليه؟ قال ابن عبّاس: فكرِهتُ أن أُغضبه، فسكتّ.

فقال (عمر): واللهِ يا ابنَ عبّاس! لَإنّ عليّاً ابن عمّك لَأحقُّ الناس

(١) عُقل لسانهم عن الكلام؛ خوفاً.
(٢) هكذا في الأصل.

به (أي بأمر الخلافة)، ولكنّ قريشاً لا تحتمله، ولئن وَلِيهم ليأخذنّهم بمُرِّ الحقّ لا يجدون عنده رخصة، ولئن فعلَ لَينكُثُنّ بيعتَه، ثمّ ليتحاربُنّ(١).

والآن سؤالنا إلى عمر: إنْ كان هؤلاء الستّة همْ خِيرة الأُمّة، وقد انتخبتَهم أنت بنفسك واستخلفتهم.. فلماذا تطعن فيهم؟! وإنْ كنتَ تراهم هكذا فلماذا استخلفتَهم؟! وإن كنت استخلفتهم فلماذا أبديت عدمَ رضاك فيهم؟!

* كتب ابن أبي الحديد: قالوا:.. وهذا عمر بن الخطّاب يشهد لأهل الشورى أنّهم النَّفَر الذين تُوفّيَ رسول الله صلى الله عليه وآله وهو عنهم راضٍ، ثمّ يأمر بضرب أعناقهم إن أخّروا فصلَ حال الإمامة، هذا بعد أن ثَلَبهم، وقال في حقّهم ما لو سَمِعتْه العامّة اليومَ من قائل لَوضعتْ ثوبَه في عنقه سَحْباً إلى السلطان، ثمّ شهدتْ عليه بالرفض واستحلّت دمَه، فإن كان هذا الطعن على بعض الصحابة رفضاً فعمرُ ابن الخطّاب أرفضُ الناس وإمام الروافض كلّهم!

ثمّ ما شاع واشتهر من قول عمر: كانت بيعةُ أبي بكر فلتةً وقى اللهُ شرَّها، فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه! وهذا طعنٌ في العَقْد، وقدْحٌ في البيعة الأصليّة. ثمّ ما نُقل عنه مِن ذِكْر أبي بكر في صلاته، وقولِه عن عبدالرحمان ابنه (ابن أبي بكر): دُوَيبّةُ سوء! ولَهُوَ خيرٌ من أبيه! ثمّ

(١) تاريخ اليعقوبيّ ٢: ١٥٨ ـ ١٥٩.

عمر القائل في سعد بن عُبادة ـ وهو رئيس الأنصار وسيّدها ـ: اقتلوا سعداً، قَتَلَ اللهُ سعداً، اقتلوه فإنّه منافق! وقد شتم (عمر) أبا هريرة وطعن في روايته، وشتم خالدَ بن الوليد وطعن في دِينه وحكم بفِسقه وبوجوب قتله! وخوّن عَمرَو بن العاص ومعاويةَ بن أبي سفيان ونسبهما إلى سرقة مال الفيء واقتطاعه.

وكان (عمر) سريعاً إلى المَساءة، كثيرَ الجَبْه والشتم والسبّ لكلّ أحد، وقلّ أن يكون في الصحابة مَن سَلِم من معرّة لسانِه أو يده؛ ولذلك أبغضوه ومَلّوا أيّامه مع كثرة الفتوح فيها، فهلّا احترم عمرُ الصحابةَ كما تحترمُهم العامّة! إمّا أن يكون عمر مخطئاً، وإمّا أن تكون العامّة على الخطأ![1]

* وكتب ابن أبي الحديد أيضاً (في ذكره قصّة الشورى أنّ عمرَ قال للستّة الذين عيّنهم للشورى): أمّا أنت يا زبير! فوَعقٌ لَقِس[2]، مؤمنُ الرضى كافرُ الغضب، يوماً إنسان، ويوماً شيطان.. ولعلّها لو أفضتْ إليك ظِلتَ يومك تلاطمُ بالبطحاء على مُدٍّ مِن شعير، أفرأيتَ إنْ أفضتُ إليك.. فليت شعري مَن يكون للناس يوم تكون شيطاناً، ومن يكون يوم تغضب؟! أما وما كان اللهُ ليجمع لك أمرَ هذه الأُمّة وأنت على هذه الصفة!

---

(١) شرح نهج البلاغة ٢٠: ٢١.

(٢) الوَعِق: الضجِر المتبرّم، واللّقِس: الذي لا يستقيم على وجه.

ثمّ أقبل على طلحة فقال له: أقول أم أسكت ؟! قال: قل .. قال: أما إنّي أعرفك منذ أُصيبت إصبعك يوم أُحد والبأْو الذي حدث لك، ولقد مات رسول الله ساخطاً عليك بالكلمةِ التي قُلتَها يومَ أُنزلت آية الحجاب[١].

ثمّ أقبل على سعد بن أبي وقّاص، فقال: إنّما أنت صاحب مقنب[٢] من هذه المقانب تقاتل به، وصاحب قَنْصٍ وقوسٍ وأسهُم.. وما زُهرة[٣] والخلافةُ وأُمور الناس!

ثمّ أقبل على عبد الرحمان بن عوف، فقال: وأمّا أنت يا عبدالرحمان بن عوف! فلو وُزن إيمان المسلمين بإيمانك لرجح إيمانك به، ولكنْ ليس يُصلح هذا الأمرَ مَن فيه ضَعفٌ كضعفك، وما زُهرة وهذا الأمر!

ثمّ أقبل على عليّ عليه السلام فقال: للهِ أنت! (ثمّ أراد أنْ يطعن فلم يجد إلّا أن يتّهم) فقال: لولا دُعابة فيك! (حاشاه وهو العابد المتوجّه بكلّه إلى الله، المُقبلُ على الناس بإصلاحهم وتنفيس كُرَبهم) ثمّ قال: أما

---

(١) أي الآية: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ .. ﴾ [الأحزاب: ٣٣] أو ﴿ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ ﴾ [الأحزاب: ٣٢]. فقال طلحة: ما الذي يغنيه حِجابُهنّ اليوم! وسيموت غداً فننكحَنّ. كما نقل الجاحظ.

(٢) المقنب: جماعة من الفرسان والخيل.

(٣) زُهرة: قبيلة سعد بن أبي وقّاص، وأشار إلى أنّها غير لائقة للخلافة.

واللهِ لئن وَليتَهم لَتحملنّهم على الحقّ الواضح والمحجّة البيضاء.

(إذن لِمَ لم تجعل جهته هي الراجحة إذا اختلف رجال الشورى وانشطروا يا عمر؟!).

ثمّ أقبل على عثمان فقال له: هيهاتَ إليك! كأنّي بك قد قلّدَتْك قريش هذا الأمرَ لحبّها إيّاك، فحملتَ بني أُميّة وبني أبي مُعَيط على رقاب الناس، وآثرتَهم بالفيء، فسارت إليك عصابة من ذؤبان العرب فذبحوك على فراشك ذبحاً، واللهِ لئن فعلوا لَتفعلنّ[1]، ولئن فعلتَ ليفعلُنّ![2] ثمّ أخذ بناصية (عثمان) فقال: فإذا كان ذلك فاذكرْ قولي، فإنّك كائن.

ثمّ قال ابن أبي الحديد: ذكرَ هذا الخبرَ كلّه شيخُنا أبو عثمان (الجاحظ) في كتاب «السفيانيّة»، وذكره جماعةٌ غيرُه[3].

هذه هي السُّنّة العمريّة، وقصّة الشورى العُمريّة، التي كانت فيها بدعٌ وبدع، يُشير إليها العلّامة المجلسيّ ويعدّدها، ونحن ننقلها ـ على إيجاز ـ:

من تلك البدع: أنّه خرج عن النصّ والاختيار معاً!..

---

(١) أي: لئن فعل رجال قريش بأن قلّدوك الأمر لَتحملُ بني أُميّة على رقاب الناس.

(٢) أي: لئن استخلفتُك لَيقتلونك.

(٣) شرح نهج البلاغة ١: ١٨٥ ـ ١٨٦. وقد ذكر المحبّ الطبريّ في (الرياض النضرة ١: ٤١٣ ـ ٤١٤) أنّ عمر زكّى الستّة من أصحاب الشورى حينما طعن وأشرف على الموت. وما ندري كيف كان عمر لا يستقرّ على رأي؟!

ومنها: أنّه وصف كلَّ واحد منهم بوصفٍ زعم أنّه يمنع من الإمامة، ثمّ جعل الأمرَ فيمَن له هذه الأوصاف!!..

ومنها: أنّه أمر بضرب أعناق قوم ـ أقرّ بأنّهم أفضلُ الأُمّة ـ إن تأخّروا عن البيعة أكثر مِن ثلاثة أيّام، ومعلومٌ أنّهم بذلك لا يستحقّون القتل، لأنّهم إذا كانوا إنّما كُلِّفوا بأن يجتهدوا بآرائهم في اختيار الإمام.. فربّما طال زمان الاجتهاد وربّما قَصُر، بحسب ما يُعرَض فيه من العوارض، فأيُّ معنًى للأمر بالقتل إذا تجاوزوا الأيّام الثلاثة؟! ثمّ إنّه أمر بقتل مَن يخالف الأربعة، وبقتل مَن يخالف العددَ الذي فيه عبد الرحمان، وكلّ ذلك ممّا لا يُستحقّ به القتل!!..

ومنها: أنّهم رَوَوا أنّ عمر قال ـ بعد ما طُعِن ـ: لو كان (سالم)[1] حيّاً لم يخالجني فيه شكٌّ واستخلفتُه. مع أنّ الخاصّة والعامّة ـ إلّا شذوذاً لا يُعبأ بهم ـ اتّفقت على أنّ الإمامة لا تكون إلّا في قريش، وتظافرت بذلك الروايات. ورووا أنّه شهد عمر يوم السقيفة بأنّ النبيّ ﷺ قال: الأئمّة من قريش. وذلك مناقضة صريحة ومخالفة للنصّ والاتّفاق!..[2].

---

(١) وهو سالم مولى أبي حُذَيفة.

(٢) بحار الأنوار ٣١: ٦٠ ـ ٨٧/ الطعن الثامن عشر! ويراجع: شرح نهج البلاغة ٩: ٢٨ ـ ٣٠.

عودة إلىٰ مروان

والآن.. نعود إلى مروان بن‌الحكم ـ مرّة أُخرى ـ ونُسائله عن طلبه من معاوية الثاني أن يجعل الخلافة على نهج السُّنّة العمريّة، أو عن توبيخه لماذا لم يجعلها سُنّةً عُمريّة، أو عن حثّه ـ إنْ كان هناك فسحة من الوقت والحال ـ أن يجعلها سُنّةً عمريّة.. ماذا كان يقصد مروان بالسُّنّة العُمريّة؟

ولَنِعمَ ما أجابه معاوية الثاني: أُغدُ عنّي، أعن ديني تخدعني؟![1] وقد قيل له ـ كما يُروى ـ: إعهدْ إلى مَن أحببتَ، فإنّا له سامعون مطيعون. فقال: أتزوّد مرارتَها، وأترك لبني أُميّة حلاوتَها؟!

فقال له مروان بن الحكم: سُنَّها فينا عُمريّة! قال (معاوية الثاني): ما كنتُ أتقلّدُكم حيّاً وميّتاً..[2].

فتبرّأ من الوضع الفاسد الظالم الذي كان عليه آل أبي سفيان، وتنزّه عن أن يُدخل نفسه في أمر يُسأل عنه غداً، ويتحمّل مسؤوليّته أمام الله تعالى وأمامَ الناس.

قال ما قال، ثمّ عَمِل بما قال.. فقد ذهب إلى بيته ولم يخرج، وسدّ الباب في وجه مَن يريد أن يعاتبه أو يُقنعه بالعودة إلى الخلافة، ولم يخرج من منزله ذلك حتّى أُخرِج ميّتاً!

---

(١) حياة الحيوان ١: ٨٨.

(٢) كما جاء في تاريخ اليعقوبيّ ٢: ٢٥٤.

* قال ابن حجر: ولم يخرج (معاوية الثاني) إلى الناس، ولا صلّى بهم، ولا أدخل نفسَه في شيء من الأُمور..[١]. بعدها قال: ثمّ تغيّب في منزله حتّى مات بعد أربعين يوماً ـ كما مرّ ـ فرحمه الله..[٢].

وفاة معاوية الثاني

اتّفقت أكثرُ المصادر على أنّ (معاوية الثاني) مات بعد خلع نفسه من الحكم ودخوله منزله بأربعين يوماً أو أربعين ليلة. هذا ما أكّده ابن حجر، فقال: ثمّ تغيّب في منزله حتّى مات بعد أربعين يوماً ـ كما أسلفنا قبل قليل ـ.

وقد بذل البعض جهدَه ـ مغالِطاً ـ في أن يُغطّيَ وفاة معاوية الثاني بمرض غيّبه عن الناس، حتّىٰ مات ولم يُذكَر لذلك سببٌ أو توجيه، وبذلك يتجاوز المُغالِط قصّة الخطبة التاريخيّة التي هزّ بها معاوية الثاني أركانَ الحكم الأُمويّ، فأدّت إلىٰ اغتياله بعد خلع نفسه من الإمرة الباطلة بأربعين يوماً أو أقلّ بقليل أو أكثر بأيّام قلائل.

* أمّا البلاذريّ فيذكر أكثرَ من رأي، فيقول: حُدِّثتُ عن ابن الكلبيّ أنّه قال: وَليَ أبو ليلى معاوية بن يزيد أربعين يوماً، وتُوفّي وهو ابن ثلاثٍ وعشرين سنةً وثمانية عشر يوماً.

---

(١) الصواعق المحرقة: ١٣٤.

(٢) الصواعق المحرقة: ١٣٤.

وقبلها قال البلاذريّ: وكان موته سنة أربع وستّين وهو ابن تسع عشرة سنة، ويُقال: ابن عشرين، ويقال: ابن ثماني عشرة سنة، ويُقال: ابن إحدى وعشرين سنة، ودُفن بدمشق[1].

* والدميريّ هو الآخر ينقل أكثر مِن رأي في هذا الأمر، فيقول: وتُوفّي معاوية بن يزيد ـ رَحِمه الله ـ بعد خلعه نفسَه بأربعين ليلة، وقيل: بسبعين. وكان عمره ثلاثاً وعشرين سنة، وقيل: إحدى وعشرين سنة، وقيل: ثماني عشرة.. ولم يعقّب[2].

* فيما رأى الشيخ المفيد أنّ عمره يوم وفاته كان إحدى وعشرين سنة[3]، ويرى اليعقوبيّ غيرَ ذلك، فيقول: وتوفّي وهو ابن ثلاث وعشرين سنة.. ثمّ يقول: ودُفن بدمشق، وكان بها ينزل[4].

* بينما رأى المحدّث القمّيّ أنّ (معاوية الثاني) قد ودّع الدنيا وعمره اثنتان وعشرون سنة[5].

إذن.. لا يتعدّى عمرُه أن يكون ما بين ثمانية عشر عاماً وثلاثةٍ وعشرين عاماً، وهو عمر ـ كما نعلم ـ قصيرٌ جدّاً، يُشَكّ أنّه لم ينتهِ

---

(١) أنساب الأشراف ٥: ٣٨٠.

(٢) حياة الحيوان ١: ٨٩. ولم يعقّب: أي لم يكن له نسل وذرّيّة.

(٣) الاختصاص: ١٣١.. قال: هلك معاوية بن يزيد وهو ابن إحدى وعشرين سنة، ووليَ الأمر أربعين ليلة.

(٤) تاريخ اليعقوبيّ ٢: ٢٥٤.

(٥) تتمّة منتهى الآمال: ٤٨.

بالقتل. لا سيّما وأنّ معاوية الثاني كان معارضاً ـ بشدّة ـ للبيت الأمويّ وهو منه، وكان جريئاً ـ كما بيّنّا ـ فهو لم يكن يخشىٰ أن يذكر مثالبَ ومخازي هذه الأُسرة الحاكمة بشكل صريح ومفصَّل، لا سيّما ما كان في سيرة جدّه معاوية وأبيه يزيد بن معاوية.

فهو رجلٌ معارض.. فإذا كان قد ختم الأمر بأنْ خلع نفسه وانزوى في داره، وربّما في غرفته، حيث لا يرغب في معاشرة أُسرته كما لا ترغب هي في معاشرته، فإنّ فضيحة أُسرة آل أبي سفيان لم تنتهِ بعد. فقد شرخ فيها (معاوية الثاني) شرخاً كبيراً بعد أن كشف عن جرائمها، ومنها غصبُها للخلافة وأنّها ليست بجديرةٍ بها.

ثمّ إنّ القلوب لا تزال عليه ناقمة حاقدة، ولا يشفي غليلَها إلّا الانتقام. وما يُدريهم إذا كبُر (معاوية الثاني) قليلاً، وتهيّأت بعضُ الفرص أن يُشارَ إليه فيُحتجَّ به أنّه رمز المعارضة للبيت الأُموي، وقد يكون ذريعة للبعض أن ينتفض باسمه ويجعله شعاراً يضرب به آل أُميّة من داخلهم!

ثمّ أين نحن مِن مروان بن الحكم ومكائده، وهو الماكر الذي لا تُرى أفعاله حيث كان صاحبَ مكْرٍ خفيّ حتّى لُقّب بـ(خيط الباطل)؟! أفلا يُظَنّ أنّه قد مَدّ إليه أصابع الخنق أو أظفار السمّ، فقضى عليه؟! وإلّا.. فشابٌّ في العشرين من عمره، يموت ولا يُعلَم سببٌ لموته، وهو الماكث في بيت قد كشف القناعَ عن الوجه الإجراميّ الآثم لذلك البيت، كيف يُترك ويُخلّى عنه؟!

ولهذا وذاك.. يرى البعض أنّ معاوية الثاني قد اغتِيل وقُتل سرّاً داخل منزله، ثمّ دُفن وقُبر ذكْرُه. هكذا أراد له أهله وذووه ـ كما يُظنّ ـ.. لاسيّما وأنّ بعض المصادر تذكر أنّ (معاوية الثاني) قد مات مسموماً!

● ومنها: (المناقب والمثالب)[1] ص٢٩٨ ـ ٢٩٩، حيث جاء فيه: وجعل يزيدُ الأمرَ مِن بعده لابنه معاوية، فلمّا مات يزيد وَلِيَ معاويةُ بعده، فقيل: إنّه تَحرّج منها، وعَلِم اغتصابَ أبيه وجَدّه إيّاها، وأراد أن يسلّمها إلىٰ أهلها، فعَمِل عليه مروان وبنو أُميّة فسُمّ!

وقيل: بل قُتِل، وقيل: بل طُعِن!

وذلك بعد موت أبيه يزيد بأربعين يوماً، وقيل: بل عشرين يوماً.

وزعم الذين قالوا: إنّه تَحرّج من الخلافة وخرج منها، أنّه أَمَر فنُودِي في الناس الصلاةَ جامعة، فاختلفوا في المسجد، فخطبهم فحَمِد اللهَ وأثنىٰ عليه ثمّ قال: أمّا بعد، فقد نظرتُ في أمركم فَضَعفتُ عنه،.. (إلىٰ أن قال:) فأنتم أَولىٰ بأمركم، فاختاروا له مَن أحببتُم.

ثمّ نزل فدخل منزله فلم يخرج إلى الناس حتّىٰ مات، فقيل: دُسّ إليه سمٌّ فسقاه ومات، وقيل: بل طُعِن! وكانت أيّام طاعونٍ فمات.

---

(١) للقاضي النعمان المغربيّ.

● ومنها: كتاب (مروج الذهب)[1] ـ في الجزء الثالث، على الصفحة ٨٢ ـ حيث جاء فيه ما نصّه: وقد تُنوزع في سبب وفاته، فمنهم مَن رأى أنّه سُقي شربة، ومنهم من رأى أنّه مات حتف أنفه، ومنهم مَن رأى أنّه طُعِن، وقُبِض وهو ابن اثنتين وعشرين سنة، ودُفن بدمشق، وصلّى عليه الوليد بن عُتبة بن أبي سفيان؛ ليكون الأمر له مِن بعده، فلمّا كبّر الثانيةَ طُعِن فسقط ميّتاً قبل تمام الصلاة...

وقد أكّد ذلك القاضي القضاعيّ حيث قال: رأيتُ في بعض التواريخ أنّ الوليد بن عتبة بن أبي سفيان صلّىٰ علىٰ معاوية بن يزيد ابن معاوية، فلمّا كبّر تكبيرتينِ مات قبل أن يقضيَ صلاتَه! فصلّىٰ عليه مروان بن الحكم. ودُفن الوليد بجانب قبر معاوية بن يزيد[2].

هذا، فيما كتب البلاذريّ: فلمّا كبّر (أي الوليد) الثانية طُعِن، فسقط ميّتاً قبل تمام الصلاة، فقُدِّم عثمان بن عتبة بن أبي سفيان[3].

● ومنها: كتاب (مجالس المؤمنين)[4] ـ في الجزء الثاني، على الصفحة ٢٥٢ ـ ما ترجمته: «وأخيراً قتلوه بالسمّ...».

---

(١) للمسعوديّ أبي الحسن عليّ بن الحسين.

(٢) الإنباء بأنباء الأنبياء وتاريخ الخلفاء.. ص٢١٠ /الرقم ١٤٩.

(٣) فتوح البلدان ١: ٢٧٠.

(٤) للقاضي الشهيد السيّد نور الله التستريّ.

● ومنها: كتاب (منتهى الآمال)[١] ـ التتمّة، على الصفحة ٤٩ ـ ما ترجمته: «وقال البعض أنّه سَمُّوه بشربةِ زهر، بعد ذلك أراد (الوليد ابن عتبة بن أبي سفيان) أن يصلّي على جنازته ـ وكان الوليد هذا طامعاً بالخلافة ـ، فلمّا كان في التكبيرة الثانية طُعِن فأُلحق بمعاوية، فصلّى عليه غيره، ودُفن بدمشق.. وبدفنه انقرضت سلطة آل أبي سفيان، وانتقلت إلى آل مروان!

أَجَل.. وليس غريباً على بني أُميّة أن يقتلوا ولدَهم (معاوية الثاني) وهم يَرون أنّه خانهم وفضحهم، وقضى على مُلكهم، فكان أن أبدَوا شراستَهم مِن جهة، وحقدَهم على أهل البيت عليهم السلام من جهةٍ أُخرىٰ، فاغتالوه؛ إذ هم مستعدّون لقتل أيٍّ واحد ـ ولو كان ابنَهم ـ إذا عارضهم أو حاد عنهم، أو مال إلىٰ غيرهم، أو كشف حقائقهم[٢].

وكان من انفعالهم أنْ عمدوا إلى مؤدّبه فقتلوه.

* كتب صاحب (البدء والتاريخ ٦: ١٦)[٣]: وكان (معاوية الثاني) قَدْريّاً؛ لأنّه أشخص عَمْراً المقصوص فعلّمَه ذلك فدان به

---

(١) للمحدّث الشيخ عبّاس القمّيّ.

(٢) وإن كنّا نحتمل أنّ مروان هو الذي دبّر قتله، لاسيّما وقد لاحت له الخلافة، ولم يبقَ أحد يزاحمه عليها، فوثب ومكر!

(٣) هذا الكتاب منسوب إلى اثنين: مطهَّر بن طاهر المَقْدسيّ، وأحمد بن سهل البلخيّ.

وتحقّقه[١]، فلمّا بايعه الناس قال للمقصوص: ما ترىٰ؟ قال: إمّا أن تَعتدِل، وإمّا أن تعتزل!

فخطب معاوية فقال: إنّا بُلينا بكم وابتُلِيتُم بنا، وإنّ جَدّي معاويةَ نازَعَ الأمرَ مَن كان أولىٰ به وأحقّ، فركب منه ما تعلمون حتّىٰ صار مُرتَهَناً بعمله، ثمّ تقلّده أبي، ولقد كان غير خليقٍ به، فركب ردعَه واستحسن خطأَه، ولا أُحبّ أن ألقى اللهَ بِتَبِعاتِكم، فشأنَكم وأمرَكم وَلُّوه مَن شئتم، فَوَاللهِ لئن كانت الخلافةُ مَغنَماً لقد أصَبْنا منها حظّاً، وإن كانت شرّاً فحَسْبُ آل أبي سفيان ما أصابوا منها!

ثمّ نزل وأغلق الباب في وجهه، وتخلّىٰ للعبادة حتّىٰ مات... فوثب بنو أُميّة علىٰ عمرو المقصوص وقالوا له: أنت أفسدتَه وعلّمته! فطمروه ودفنوه حيّاً!

* كذلك كتب ابن الدمشقيّ في (جواهرالمطالب): ثمّ نزل فدخل (قصر) الخضراء، فقالت له أُمُّه: ليتَك كنتَ حيضة! فقال: واللهِ لَوَدَدتُ أن كنتُ ذلك ولم أعلم أنّ للّه ناراً يُعذِّب بها مَن عصاه، إن لم يرحمِ اللهُ أبي وجدّي فَوَيلٌ لهما!

ثمّ إنّه مات بعد أربعين يوماً، فوثب بنو أُميّة علىٰ مؤدِّبه المعروف

---

(١) لم يكن معاوية الثاني ولا أُستاذه من القَدْريّة؛ لكنّه اتّهام جاهز كان يُلصَق بمَن خالف السلطات، كما اتُّهِم به الشيعة ومنهم إبراهيم بن أبي يحيى الأسلميّ أُستاذ مالك بن أنس صاحب المذهب. (يراجع: سِير أعلام النبلاء للذهبيّ ٨: ٤٥٠)

بعمر المقصوص[١] وقالوا له: أنت علّمتَه هذا! فـقال: لا والله، إنّـه المطبوع عليه.

* يـقول الدَّمـيريّ:.. ثـمّ إنّ بـني أُميّة قـالوا لمـؤدّبه (عـمر المقصوص): أنت علّمته هذا ولقّنته إيّاه، وصددتَه عـن الخـلافة، وزيّنتَ له حبّ عليّ وأولاده، وحملتَه على ماوسَمَنا به من الظلم، وحسّنتَ له البدعَ حتّى نطق بما نطق، وقال ما قال. فقال: واللهِ ما فعلتُه.. ولكنّه مجبول ومطبوعٌ على حبّ عليّ. فلم يقبلوا منه ذلك، وأخذوه ودفنوه حيّاً حتّى مات[٢].

ولا يخفى أنّ للتربية أثرَها البالغ. ورُويَ بما يقرب من ذلك: .. وكان له مؤدِّبٌ يميل إلى عليّ، فظنّ به آلُ أبي سفيان أنّه دعاه إلى هذه الخُطبة، فأخذوه بعد موته (أي بعد موت معاوية الثاني) فدفنوه حيّاً[٣].

كما رُوي أنّه بعد خلع معاوية بن يزيد نفسَه من الخلافة.. جاء جماعة مِن بني أُميّة إلى (عمر بن المقصوص)[٤] مؤدّبه، فقالوا له: أنت الذي علّمتَه حبّ عليّ وبغض أُميّة، فقال: ليس هكذا، لكـنّه

(١) هكذا.. مرّةً سَمّاه المؤرّخون: عَمْرو المقصوص، ومرّة: عُمَر المقصوص.

(٢) حياة الحيوان ١: ٨٩.

(٣) أدب الطفّ ٣: ١٣ ـ ١٤.

(٤) وفي نسخة أُخرى: عمر القوصيّ.

جُبِل على ذلك. فلم يسمعوا قوله، فأخذوه ودفنوه حيّاً[1].

وهنا يحسن بنا الوقوف ـ ولو قليلاً ـ عند هذا الرجل (المقصوص).

اسمه: عمر بن نعيم العنسيّ، لقبه: المقصوص. عمله: كان معلِّماً لأولاد يزيد بن معاوية. **وثاقته**: وثّقه: أحمد بن حنبل، وابن مَعين، وأبو حاتِم، وأبو زَرعة، وابن حِبّان. **روايته**: يروي عن أُسامة النَّخَعيّ، عن أبي ذرّ الغفاريّ رضوان الله عليه، حيث قضىٰ أبو ذرّ نحو عشرين سنةً في بلاد الشام.

الأقوال فيه: قال ابن حجر: عمر بن نعيم العنسيّ، شاميّ، يروي عن أُسامة بن سلمان، وعنه مكحول، **وثّقه** ابن حبّان وقال: عِداده في أهل الشام، وتبع في ذلك البخاريّ كابن أبي حاتم. (تعجيل المنفعة ص٣٠٤). وقال ابن عساكر: عمر بن نعيم العنسيّ، ويُقال القرشيّ، معلّم بني يزيد بن معاوية، من أهل دمشق، **روىٰ عن**: معاوية وأُسامة بن سلمان النخعيّ الدمشقيّ، روىٰ عنه مكحول.. (تاريخ دمشق ٤٥: ٣٥١).

روىٰ عنه: البزّار، وأحمد بن حنبل، والحاكم النِّيشابوريّ الشافعيّ، وابن الجعد، وابن حبّان، والطبرانيّ، وابن عساكر، وغيرهم.

---

(١) تتمّة منتهى الآمال: ٤٩.

وترجم له: البخاريّ في (التاريخ الكبير ٦: ٢٠٢)، والرازيّ في (الجرح والتعديل ٢: ٢٨٤)، والخطيب البغداديّ في (تاريخ بغداد ٣: ١١٧)، وابن حجر في (تعجيل المنفعة ٢٧)، والحسينيّ في (الإكمال ٣١٠)، وغيرهم.

من كان وراء ذلك ؟

يرى البعض أنّ هداية (معاوية الثاني) واستبصاره كان على يد مؤدّبه ومعلّمه (عمر المقصوص) الذي يُظنّ أنّه كان شيعيّاً موالياً للإمام عليّ أمير المؤمنين عليه السلام[1]، فقد أنفذ الولاءَ والولاية إلى قلب (معاوية الثاني) وبيّن له فضائل أهل البيت عليهم السلام، ومثالب أعدائهم من آل بني أُميّة وغيرهم.

على أنّ ابن فهد الحلّيّ رأى أنّ الذي كان وراء خلع (معاوية الثاني) نفسَه هو ما طرق سمعَه من حديثٍ جرى بين جوارٍ له في قصره.. يقول رحمه الله: وقيل: إنّ السبب المُوجب لنزول معاوية بن يزيد ابن معاوية عن الخلافة أنّه سمع جاريتَين له تتباحثان، وكانت إحداهما بارعة الجمال، فقالت الأُخرى لها: قد أكسبكِ جمالُك كِبْرَ الملوك! فقالت الحسناء: وأيُّ مُلْكٍ يضاهي مُلْكَ الحُسْن ؟! وهو

---

(١) كما يرى الشهيد السيّد نور الله القاضي التستريّ، حيث يعدّه من علماء الشيعة، يراجع كتابه: مجالس المؤمنين ٢: ٢٥٢.

قاضٍ على الملوك فهو المُلْكُ حقّاً. فقالت لها الأُخرى: وأيُّ خير في المُلك.. وصاحبُه إمّا قائمٌ بحقوقه، وعامل بشكرٍ فيه، فذاك مسلوب اللّذّة والقرار، منغَّص العيش، وإمّا منقاد لشهواته، ومُؤْثِرٌ للذّاته، مضيّع للحقوق ومضرب عن الشكر، فمصيره إلى النار!

فوقعت الكلمة في نفس معاوية موقعاً مؤثّراً، وحمَلَتْه على الانخلاع من الأمر، فقال له أهله: إعهدْ إلى أحدٍ يقوم بها مكانك، فقال: كيف أتجرّع مرارة فقْدِها، وأتقلّد تبعة عهدها؟! ولو كنتُ مُؤْثِراً أحداً لآثرتُ بها نفسي. ثمّ انصرف وأغلق بابه ولم يأذن لأحدٍ، فلبث بعد ذلك خمساً وعشرين ليلة ثمّ قُبض.

ورُوي أنّ أُمّه قالت له ـ عندما سمعت منه ذلك ـ: ليتكَ كنتَ حِيضة! فقال: ليتني كنتُ كما تقولين، ولا أعلم أنّ للناس جنّةً ولا ناراً[1].

وإنْ كنّا لا نرى أنّ هذا كان هو العاملَ الوحيد أو الأهمّ ـ على أقلّ الفروض ـ في دفع (معاوية الثاني) إلى خلع نفسه عن الخلافة. ودليلُنا ما جاء في خطبته مِن بيان لأسباب ترك الأمر.. وقد تضمّن: الخشيةَ من الله تعالى، والورعَ في منازعة الإمامةِ أهلَها، والتنزّه عن استلام إمرةٍ ورثها عن الظالمين والمفسدين، والإشارة إلى مَن هم أَولى بالأمر من غيرهم، وهم أهل البيت عليهم السلام.

(١) عُدّة الداعي ونجاح الساعي، لابن فهد الحلّيّ: ١٢٤ ـ ١٢٥.

مع أنّ هذا الحادث لا يتعارض مع سابقه من تأثير معلّمه ومؤدّبه (عمر المقصوص) في عقيدته، وإقناعه بأنّ بني أُميّة غاصبون للخلافة التي هي مِن حقّ آل الرسول ﷺ. كما لا تتعارض رواية ابن فهد الحلّيّ رحمه الله مع مَن يرى أنّ فطرة (معاوية الثاني) كانت مستعدّةً لتلقّي العقيدةِ الحقّة والآراء السليمة، فكانت روحه مستعدّة لمحبّة الإمام عليّ وأولاده عليهم السلام لأنّهم أهلٌ لذلك، إذ هم أهلُ الفضائل والمكارم والمناقب لا يُنازَعون عليها.. كما كانت روحه مبغضة لآل أبي سفيان ـ وإن كانوا أجدادَه وأهله وذويه وبني رَحِمه ـ؛ لأنّهم أهلُ الرذائل والمثالب والمآثم والمخازي.

فجِبِلّته كانت لا تحبّ الظلم وإن كان الظلم في أُسرته، بل كانت تحبّ العدل وإنْ كان ذلك العدل في أعداء عائلته، وكانت روحه تحبّ الحقّ وأهله.. كان مَن كانوا! وتُبغض الباطل وأهله.. كان من كانوا! وكانت فطرتُه تكره الظالمين إلى حدّ تنتفضُ عليهم وإن رأى أنّهم سيقتلونه، وتحبّ المظلومين إلى حدٍّ تبوح بمدحهم وإنْ رأى أنّه سيُقتل بسبب حبِّهم والتظلّم لهم.

وكأنّ الحقيقة قد تمكّنت من قلبه، فرأى هولَ ما عليه أن يكون خليفةً لرسول الله، ويُعزَل عن الخلافة عليُّ بن الحسين.. ابنُ رسول الله. يتأمّر على الناس وليس هو أعلمهم ولا أتقاهم، وبين ظهرانيهم عالِمُ آل محمّد ﷺ. ومَن يا تُرى يستطيع أنْ ينهض بأعباء

هذه المهمّة الثقيلة (الخلافة) إلّا أهلُها، ومَن اختارَهم اللهُ تعالى لها[١]. وإنّ الذي ينازعهم عليها لَظلومٌ جهول، فالله تعالى يقول ـ ولَنِعمَ مايقول ـ: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً﴾[٢]. تلك الأمانة هي الإمامة، أو هي الولاية.. مَن ادّعاها بغير حقٍّ فقد كفر.

وكأنّ (معاوية الثاني) هاله أنْ يدّعي الإمامة، وعظُم عليه أن يُنادى بأمير المؤمنين، وخليفة المسلمين. فأين هو مِن هذا؟ وما الذي أهّله لمثل هذا؟ وماذا سيجيب ربَّه إذا سأله عن كلّ هذا؟!

لذا نُقل عنه أنّه عندما تذكّر ما خلّفه له من الجرائم أبوه يزيد، وما أورثه من الخلافة المغصوبة من أهلها جدُّه معاوية.. بكى بكاءً شديداً وهو على المنبر، وبكى بكاءً حارّاً بعد أن نزل عن المِنبر، وبكى بكاءً مُرّاً بعد أن دخل منزله وغادر المنبر. وحين قالت له أُمّه: ليتكَ كنتَ حِيضةً ولم أسمع بخبرك! قال لها (بلهفة المتمنّي): وددتُ ـ واللهِ ـ ذلك. ثمّ قال: ويلي إنْ لم يرحمْني ربّي![٣] وكان قد ذكّر أُمَّه بالآخرة.. فأرشدها، وبرّر موقفَه لها، فقال لها: أما علمتِ أنّ

---

(١) يراجع في الإمامة والإمام: الكافي، للشيخ الكلينيّ ١: ١٩٨ ـ ٢٠٥، باب نادر جامع في فضل الإمام وصفاته/ح١ و٢.
(٢) الأحزاب: ٧٢.
(٣) حياة الحيوان ١: ٨٩.

للهِ تعالى ناراً يعذّب بها مَن عصاه وأخذ غيرَ حقّه؟!(١) ويعني الخلافة. فالحياة ليست مُلكاً يُستأثر به وحسب، فهناك موت.. وهنالك بعثٌ وقيامةٌ وحساب، وهنالك أشدّ العقاب، وأمرُ العذاب!

حُسن ظنّ

ربّما يطّلع الله جلّ وعلا على قلب عبدٍ فيرىٰ فيه صدقاً في طلب الحقّ، وهمّةً في إصابة الحقيقة.. فيُجلّي له فطرتَه، وينقّي له جِبلّته، ويهيّئ له ما يُبصر به الحقّ، ويغلغله في أعماق قلبه.. وإن كان يعيش في وسط الضلال والفساد. وقد شبّه السيّد الشهيد نور الله التُّستريّ معاويةَ الثاني بمؤمن آل فرعون، وقال بأنّ معرفته بأحقّيّة أهل البيت بالخلافة كانت عن إلهامٍ ربّانيّ، وفطرةٍ سليمةِ المباني(٢). وكأنّه يريد أنْ يقول إنّ (معاوية الثاني) كان مؤمنَ آل أبي سفيان.

ومن هنا.. ترحّم عليه كثيرٌ من علماء الخاصّة والعامّة، وذكروه بعبارات المدح والثناء والتجليل:

* فقال ابن حجر: مات (يزيد) سنة أربع وستّين، لكنْ عن ولدٍ شابٍّ صالح... ومن صلاحه الظاهر أنّه لمّا وَليَ صَعِد المنبرَ فقال: إنّ هذه الخلافة حبلُ الله، وإنّ جَدّي نازع الأمرَ أهله ومَن هو أحقّ به

---

(١) أدب الطفّ ٣: ١٣.

(٢) مجالس المؤمنين ٢: ٢٥٢.

منه.. عليَّ بن أبي‌طالب، وركب بكم ما تعلمون، حتّى أتته منيّتُه فصار في قبره رهيناً بذنوبه! ثمّ قَلّد أبيَ الأمرَ وكان غيرَ أهلٍ له، ونازع ابنَ بنت رسول الله ﷺ، فقُصف عمرُه، وانبتر عقبه، وصار في قبره رهيناً بذنوبه! (إلى آخر الخطبة.. ثمّ قال ابن حجر:) ثمّ تغيّب في منزله حتّى مات بعد أربعين يوماً. فرَحِمَه الله أنصف من أبيه، وعرف الحقّ لأهله[1].

* وذكره الخوارزميّ فوصفه بأنّه كان بارّاً فاضلاً[2].

* كما أثنى عليه اليعقوبيّ فقال: وكان له مذهب جميل[3].

* وعرّف به عماد الدين الحسن بن عليّ الطبريّ (من علماء القرن السابع الهجريّ)، فذكره في فصل خلفاء بني أُميّة، فقال:.. ثمّ معاوية بن يزيد، وكان شيعيّاً، أخذ التشيّعَ من أديبه المتشيّع (أي عمر بن مقصوص)، واستُخلف أربعين يوماً وسَمُّوه فمات منه، وقُتل بعده أديبُه، ودُفنا في حفرةٍ واحدة. فصعد المنبر يوماً ولعن أباه وجدّه وجدّ جدّه، وكانت أُمّه حاضرة، قالت: يا ليتك كنت حِيضةً في خرقة! فلمّا سَمِع منها هذا الكلام، قال لها: وددتُ ـ يا أُمّاه ـ أنّي كنتُ كذلك![4]

---

(١) الصواعق المحرقة: ١٣٤.

(٢) يراجع: أدب الطفّ ٣: ١٣.

(٣) تاريخ اليعقوبيّ ٢: ٢٥٤.

(٤) أسرار الإمامة: ٣٠٠. وانظر: حياة الحيوان ١: ٨٨ـ٨٩، وتاريخ اليعقوبيّ ٢: ٢٥٤.

* وتعرّض له الدميريّ بشيءٍ من التفصيل، فقال فيه: ثمّ قام بالأمر بعده ـ أي بعد يزيد ـ ابنُه معاوية، وكان خيراً من أبيه، فيه دِينٌ وعقل[١].

* وكتب حوله الدياربكريّ فقال: وقيل: لقبُه «الراجع إلى الحقّ»[٢].

* وتعرّض القاضي القضاعيّ لسيرته فقال: وكان نقش خاتَمه: «الدنيا دارُ غُرور»[٣].

* ومدحه السيّد نور الله القاضي التستريّ أيضاً فقال ما ترجمته: معاوية بن يزيد بن معاوية الأُمويّ.. الملقّب بـ«الراجع إلى الله»، بمقتضى الكلام المعجز، قوله تعالى: ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ..﴾[٤]. وقد كان ذا سيرة حسنة وصاحبَ دِين، وكان محبّاً لآل سيّد الأبرار صلى الله عليه وآله[٥].

* ومن الآراء التحقيقيّة الحديثة في شأن معاوية الثاني ما جاء من العبارات في (جواهر التاريخ) ما نصُّه:

كان موت يزيد حادثاً مفاجئاً، وهزّةً قويّةً للنظام الأمويّ، خاصّةً

---

(١) حياة الحيوان ١: ٨٨.

(٢) تاريخ الخميس (أو: الخميس في أحوال أنفس نفيس) ٢: ٣٠١.

(٣) الإنباء بأنباء الأنبياء وتواريخ الخلفاء.. ص ٢١٠/ الرقم ١٤٩.

(٤) سورة الروم: ١٩.

(٥) مجالس المؤمنين ٢: ٢٥٢.

أنّ وليّ عهده قد اتّخذ في أوّل خلافته موقفاً غريباً، فاختلف أركان النظام الأمويّ، وانقسموا، واقتتلوا، وسارع عبدالله بـن الزبـير إلى اغتنام الفرصة، فأعلن نفسه خليفةً وسيطر على: الحـجاز واليـمن وفلسطين، بل سقطت عاصمة الأمويّين بيده لفترة، لأنّ وزير معاوية وحاكم عاصمته بايَعَه، فاضطُرّ الأمـويّون إلىٰ أن يـهربوا مـنها إلىٰ تدمر!...

(وبعد تدوين خطب معاوية الثاني ومواقفه، جاء هذا العـنوان: شابٌّ في مقتَبَل العمر ضحّىٰ بأمبراطوريّته ودمه، ثمّ هذه الفقرات:)

يتّضح ممّا تقدّم أنّ قصد (معاوية الثاني) بعدم تحمّل [مسؤوليّة] الخلافة حيّاً وميّتاً، أنّه ليس مستعدّاً لأن يغصبها، أو يُـعطيَها لغـير أهلها! وأنّه ترك رئاسةَ أمبراطوريّةٍ واسعةٍ مـدى العـمر، وعـرّض حياته لخـطرٍ مـحقّق مِـن أجـل أن يُـوصِل الخـلافة إلى صـاحبها الشرعيّ! وهذا غايةٌ في البذل والتضحية والشجاعة!

ولهذا يترجّح عندنا أنّه كان شيعيّاً، وأنّه أراد أن يُـعطي الخـلافة للإمام زين العابدين عليّ بن الحسين عليهما السلام، فهذا مقتضىٰ مـفردات عقيدته التي أعلنها في عليٍّ والعترة عليهم السلام، والتي شـهد بـها أُسـتاذه الشهيد [المقصوص]، فهي لا تتّفق إلّا مع التشيّع... ويتّضح تشيّعه من خطبته التي رواها الدميريّ في (حـياة الحـيوان ١: ٩٨)، وابـن الدمشقيّ في (جواهر المطالب ٢: ٢٦١)...

[ويستمرّ الباحث المحقّق في حديثه قائلاً:]

أقول: ولا يعارض الحكمَ بتشيّعه المفاهيمُ التي تضمّنتها روايتُهم لكلامه، فلا يُعتمَد علىٰ ما رَوَوه في هذه النقطة؛ لأنّ مقصودهم التعتيم، وكثيرٌ من رواتهم يستحلّون الكذب لتغطية فضائل أهل البيت عليهم‌السلام ومدحِ مخالفيهم! وقد رأيتَ تفاوتَ روايتهم في رأيه في عمر.. فالمظنون أنّهم زادوها في الرواية...

وختاماً: إنّ معاوية الثاني يحتاج إلىٰ مزيد من البحث، فهو ظاهرةٌ بارزة وشاهدٌ مِن أهلها علىٰ فداحة ظُلامة أهل البيت عليهم‌السلام بيد قريشٍ وأُميّة، وشهادةٌ علىٰ بطشهم بِمَن خالف هواهم، حتّىٰ لو كان ابنَهم وخليفتَهم! وتدلّ [هذه الظاهرة] مِن جهةٍ أُخرىٰ علىٰ أنّ طغيان بني أُميّة وخططهم الحديديّة لم تمنع عقائد الإسلام وحبَّ أهل البيت عليهم‌السلام مِن النفوذ إلىٰ قصورهم، وأولادهم![1]

* وكذلك كان للسيّد طيّب الجزائريّ في كتابه (البراهين الاثنا عشر) حسنُ ظنٍّ بمعاوية الثاني، حيث قال فيما قاله قبل عرضه للخطبة: معاوية بن يزيد، وهو (الحاكم) الوحيد الذي أجرى اللهُ الحقَّ علىٰ لسانه، واعترف ببطلان هذه السلطة (سلسلة الحكومة التي بدأت من السقيفة)، وأقرّ بحقّانيّة الخلافة العلويّة، وبكىٰ من خطايا آبائه... (ثمّ عرض خطبته وعلّق عليها بقوله:)

---

(١) جواهر التاريخ ٣: ٤٢٩ ـ ٤٤٠/ الفصل الثاني عشر: انهيار الدولة الأمويّة الأُولىٰ.

إنّ القارئ الواعي البصير، إذا أمعن في هـذه الواقـعة التـاريخيّة العجيبة، يستخرج منها أُموراً غريبة:

الأوّل: إنّ هذا الشابّ الصالح، المولود من والدٍ طالح ـ بالرغم من حداثة سنّه، كـان غـضيضاً فـي غـصنه، محاطاً بأفكـارٍ سخيفة، والتباساتِ السقيفة، ودعاياتٍ أُمويّة، وضغوط قويّة ـ استطاع أن يُدرك الحقائق، ويكشف نور ولاية عليٍّ عليه السلام الفائق، المستور تحت غياهب الظُّلم والعدوان، المقهور بأيدي البغي والعصيان. أليس في هذا برهانٌ واضح علىٰ صلابة إيمانه، وعلوّ شأنه؟!

الثاني: إنّه آنذاك كان صاحبَ سلطانٍ عظيم، وحكومة واسعة، مبسوطةٍ شاسعة، من العراق إلى الحجاز والشامات ومصر وأفريقية، لكنّه مع ذلك كلّه لم يَمِل إلىٰ زهرة الحياة الدنيا، ولم تردعه هـذه الجذبات الدنيويّة عن المقامات الأُخرويّة، فركَلَ هذه الحكومة كلّها مع ما اشتملت عليه من زخارف، واختار مكانها ولاية عليٍّ عليه السلام مع ما احتوت عليه من مصائب ومكاره، فأعـلن بكـامل جـرأتـه عـن استحقاق الإمام عليٍّ عليه السلام للخلافة النبويّة، والولاية الإلهيّة...

الثالث: إنّه لم يَخَف من جبابرة بني مروان، ولا مِن فراعنة حزب الشيطان، مع أنّه كان مهدَّداً مِن قِبلِهم لتركه الخلافة، وقـد عـطفَ عنانها إلىٰ أهل بيت النبوّة، ووقف موقف البطل الكميّ دفاعاً عن الحقّ الواضح لديه، حتّىٰ قُتل رحمة الله عليه.

الرابع: انظر إلى المشابَهة بينه وبين محمّد بن أبي بكر، فكلاهما

رفضا مسلك أبويهما، ودخلا في مذهب الإمام علـيّ وبَـنيه عـليه وعليهم السلام. وفي هذا دليلٌ واضح علىٰ بطلان ما تركه معاوية بن يزيد وصحّةِ ما دخل فيه..[١]

ولذلك.. يَظنّ الكثير أنّه لا تشمله اللّعناتُ المـنصبّة عـلى بـني أُميّة، ممّا جاءت في صريح الأدعية والزيارات، والأخبار والروايات، إنْ كان (معاوية الثاني) قد تنازل عن الخلافة لعرفانه بأنّه ليس أهلاً لها، وإنّما الذين هم أهلٌ لها مَن أوصى بهم النبيّ ﷺ، وكان منهم في زمانه الإمام زينُ العابدين عليّ بن الحسين عليهما السلام، والذي تـظافرت روايات العامّة والخاصّة أنّ رسول‌الله ﷺ قد ذكره بالاسم واللّقب أنّه وصيّه بعد الإمام الحسين عليه السلام[٢].

وإذا كان (معاوية الثاني) ناقماً على بني أُميّة؛ لِما أتوا به من ظلم في حقّ الرسول وآله صلوات الله عليه وعليهم.. فهو ليس مِن بني أُميّة، ولا ينتمي إلى آل أُميّة؛ ذلكَ لأنّ آلَ الرجل أتباعُه، والفعل منه: آلَ يَؤول أَوْلاً ومآلاً، أي رجع، وآلُ فلان مَن يؤولون إليه ويرجعون إليه أَولى فأَولى، بالهوى والاعتقاد والمناصرة.

---

(١) البراهين الاثنا عشر علىٰ وجود الإمام الثـاني عشـر، للسـيّد طـيّب المـوسويّ الجزائريّ، ج١ ص٣٥١ ـ ٣٥٤.

(٢) يراجع في ذلك على سبيل المثال: ينابيع المودّة ج٣ ـ الباب ٧٦ ص ٢٨١ ـ ٢٨٥/ ح١، ٢، والباب ٩٣ ص٣٨٠ ـ ٣٨١/ ح٢، وفرائد السـمطين، للجوينيّ الشافعيّ ٢: ١٣٢/ ح٤٣١، و٢: ٣١٩/ ح٥٧١، وكفاية الطالب، للكَنجيّ الشافعيّ، ومقتل الحسين عليه السلام، للخوارزميّ الحنفيّ ١: ٩٥/ ح٢٠٣.

وقد جاء عن بعض أهل المعنى والمعرفة: أنّ آل النبيّ ﷺ كلّ مَن يؤول إليه، وهم قسمان:

الأوّل: مَن يؤول إليه ﷺ مآلاً صوريّاً جسمانيّاً، كأولاده ﷺ ومَن يحذو حذوهم مِن أقاربه الصوريّين الذين يحرم عليهمُ الصدقة في الشريعة المحمّديّة.

الثاني: مَن يؤول إليه ﷺ معنويّاً روحانيّاً، وهم أولاده الروحانيّون من العلماء الراسخين، والأولياء الكاملين، والحكماء المتألّهين المقتبسين من مشكاة أنواره.. ولا شكّ أنّ النسبة الثانية آكد مِن الأُولى، وإذا اجتمعت النسبتان كان نوراً على نور، كما في الأئمّة المشهورين من العترة الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين.

وكما حُرّم على الأولاد الصوريّين الصدقة الصوريّة.. كذلك حُرّم على الأولاد المعنويّين الصدقةُ المعنويّة، أعني تقليد الغير في العلوم والمعارف[1].

فمعاوية الثاني.. إنْ لم يكن أمره قد آل إلى بني أُميّة فهو ليس مِن بني أُميّة ولا تصيبه اللّعنات التي أصابتهم وما تزال.. جاء عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾[2] قال: واللهِ ما عنى إلّا ابنتَه[3].

---

(١) كتاب الأربعين، للشيخ البهائيّ: ١٦٥.

(٢) سورة غافر: ٤٦.

(٣) معاني الأخبار، للشيخ الصدوق: ٩٤/ح٢.

ذلك أنّ امرأة حزقيل (مؤمن آل فرعون) كانت ماشطة لبنت فرعون، فوقعت المشْطةُ يوماً من يدها فقالت: بسم الله، فقالت بنت فرعون: أبي؟ قالت: لا، بل ربّي وربُّكِ وربُّ أبيكِ. فأخبرتْ فرعونَ فدعا بها وبولدها وقال: مَن ربّكِ؟ فقالت: إنّ ربّي وربّك الله. فأمر بتنّورٍ من نحاس فأُحمي، فدعا بها وبولدها... فأُلقيتْ في التنّور مع ولدها[1].

ولم تكن امرأةُ فرعون مِن آل فرعون.. فقد كانت (آسية بنت مزاحم) مِن بني إسرائيل، وكانت مؤمنةً خالصة، وكانت تعبد اللهَ سرّاً، إلى أن قتل فرعونُ امرأة حزقيل. فدخل عليها فرعون يخبرها بما صنع، فقالت: الويل لك يا فرعون! ما أجرأك على الله جلّ وعلا! فقال لها: لعلّكِ اعتراكِ الجنونُ الذي اعترى صاحبتَكِ! فقالت: ما اعتراني جنون.. بل آمنْتُ باللهِ ربّي وربِّكَ وربِّ العالمين... فأمر بها فرعونُ حتّى مُدّت بين أربعة أوتاد، ثمّ لا زالت تُعذَّب حتّى ماتت[2].

وإنّما آلُ فرعون مَن آلوا إليه دانوا بدينه وصدّقوا ادّعاءَه بالربوبيّة. وآل أبي سفيان مَنْ آلُوا إليه يناصرونه على محاربة الإسلام وقتل رسول الله وأهل بيته عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام، فأولئك همُ المشمولون باللّعنات.

---

(١) قصص الأنبياء، للجزائريّ: ٢٦٠.

(٢) قصص الأنبياء، للجزائريّ: ٢٦٠ ـ ٢٦١.

* رُوي أنّ النبيّ ﷺ لعنَ يوماً «آلَ فلان» فقيل: يا رسولَ الله، إنّ فيهم فلاناً، وهو مؤمن. فقال: إنّ اللّعنة لا تُصيب مؤمناً[1].

* وفي ذكر المواطن السبعة التي لعن فيها رسولُ الله ﷺ أبا سفيان: يومَ جاء أبو سفيان بجمعٍ مِن قريش، وجاء عُيينة بن حصن ابن بدر بغَطَفان، فلعنَ رسولُ الله ﷺ القادةَ والأتباع والساقة إلى يوم القيامة. فقيل: يا رسولَ الله، أما في الأتباع مؤمن؟ قال: لا تُصيب اللّعنةُ مؤمناً مِن الأتباع، أمّا القادةُ فليس فيهم مؤمن ولا مُجيبٌ ولا ناجٍ[2].

فآلُ أُميّة مَن آبُوا إليهم يوافقونهم على الكفر والظلم، ويعاضدونهم على الإثم والعدوان، لا مَن يُنكرون عليهم ذلك ويخالفونهم بالقول والعمل، ويحبّون أهلَ بيت النبيّ الأكرم ﷺ.

* عن أبي حمزة، قال: دخل سعد بن عبد الملك ـ وكان أبو جعفر (الباقر)عليه السلام يُسمّيه (سعدَ الخير)، وهو من وُلْدِ عبدالعزيز بن مروان ـ على أبي جعفرعليه السلام، فبينا ينشج كما تنشجالنساء، قال له أبوجعفرعليه السلام: ما يبكيك يا سعد؟! قال: وكيف لا أبكي وأنا مِن الشجرة الملعونة في القرآن؟! فقال له: لستَ منهم، أنت أُمويٌّ منّا أهلَ البيت،

(١) المحتضر، للشيخ حسن بن سليمان الحلّيّ: ٧١/ح٩٢ ـ باب اللّعنة لا تصيب المؤمن.

(٢) الاحتجاج ١: ٢٧٤.

أما سمعتَ قول الله عزّ وجلّ يحكي عن إبراهيم عليه السلام: ﴿..فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي..﴾[١].

وكان للإمام الباقر عليه السلام منه لهذا المؤمن اعتناءٌ ورحمة، حيث خصّه برسالةٍ طويلة ضمَّنَها وصاياه ومواعظه وعبره، بدأها بهذه العبارات الشريفة:

«بسم الله الرحمن الرحيم. أمّا بعد، فإنّي أُوصيك بتقوى الله؛ فإنّ فيها السلامةَ مِن التَّلَف، والغنيمةَ في المُنقلَب، إنّ الله عزّ وجلّ يَقي بالتقوىٰ عن العبد ما عزب عنه عقلُه، ويُجلّي بالتقوىٰ عنه عَماهُ وجَهْلَه... (وختمها ـ علىٰ رواية محمّد بن يحيىٰ وفيها زيادة ـ بقوله عليه السلام:) وليس الحليم الذي لا يتّقي أحداً في مكان التقوىٰ، والحِلمُ لباسُ العالِم، فلا تَعْرَينّ منه، والسلام»[٢].

فالانتساب.. إنّما يكون بالاعتقاد والمجاراة في الأفعال، أمّا مَن كان نسبُه السلاليّ والعِرقيّ يضرب إلى فلان، وهو مخالف له، فهو ليس منه ولا مِن آله، فالمرء يؤول إلى مَن يتّبع عقيدةً وعملاً.

ويبدو أنّ (معاوية الثاني) تخلّى قلباً وعقلاً عن بني أُميّة، وتبرّأ منهم روحاً وعقيدةً وضميراً، وتجرّد عن معائب أُسرته ومثالبها ومخازيها وجرائمها في حقِّ هذا الدين وأئمّته، وفي حقّ المسلمين.

---

(١) الاختصاص، للشيخ المفيد: ٨٥، والآية في سورة إبراهيم: ٣٦. ونشج الباكي نشيجاً: تردّد البكاء في صدره من غير انتحاب.

(٢) الكافي (الروضة) ٨: ٥٢ ـ ٥٥/ح١٦ ـ عنه: بحار الأنوار ٧٨: ٣٥٨ ـ ٣٦٢/ح٢.

ومن هنا.. كتب اللهُ تعالىٰ لهذا الشابّ أن يكون له ـ دون قومه مِن بني أُميّة في الشام ـ قبرٌ شاخصٌ يعلمه أهل تلك البلاد، فلم يُنبَش كما نَبَش العباسيّون قبورَ الأُمويّين جميعاً، بعد أن وصلت السلطة إليهم، فأخذوا ينتقمون مِن آل أُميّة حتّى أتَوا علىٰ قبورهم فمَحَوها، تاركين قبراً واحداً.. ذاك هو قبر معاوية الثاني، حيث يُزار إلى يومنا هذا وقد وُضِعت عليه عمامةٌ خضراء. وكأنّه أصبح رمزاً شاخصاً شاهداً من بني أُميّة، علىٰ رفضِ بني أُميّة.. في جميع مظالمهم ومفاسدهم وانحرافاتهم.

وقبر معاوية الثاني.. يقع اليوم في محلّة الزينبيّة مِن مدينة دمشق، يضمّه مسجدٌ يُسمّىٰ به (مسجد معاوية الصغير)، تعلوه قبّة ومئذنة، ويُرفَع منه الأذان وتُقام فيه الصلاة، ومع ذلك يتكتّم مُوالو بني أُميّة إلى اليوم عليه ولا يدلّون أحداً إليه!

يُطلّ القبر على الزقاق مِن خلال شبّاك يُرىٰ منه صندوقٌ مغطّىً بقماش أخضر، تعلوه قطعةٌ تُعَنْوِن لصاحب القبر:

في هذا المسجد قبر معاوية الصغير محبّ أهل بيت رسول الله ﷺ قدّس الله سرّه.

وُلد سنة ٤٣ هجريّة.

وتُوفّي سنة ٦٤ هجريّة.

فتُثبِّتُ أنّ عمره يومَ وفاته لم يكن قد تعدّى إحدى وعشرين سنة، كما تشير القطعة إلىٰ أمرٍ يجدر تحقيقُه حولَ هذا الشابّ!



منظر خارجي لقبر معاوية بن يزيد بن معاوية



صورة لقبر معاوية بن يزيد بن معاوية



وهذه صورة اخرى للمنظر الخارجي لقبر معاوية الثاني

على النهج

وهو نهج الرفضِ الصريح القاطع الحازم: للباطل والظلم والانحراف، مِن أيِّ صدر وعمّن كان. وليس بالضرورة أن يكون الموقف الرافض دليلاً على كلِّ شيء، ولكنّه يبقىٰ موقفاً حُجّةً عليه وعلىٰ كلِّ مَن يلوذ بالجبريّة ويدّعي أن لا مناصَ إلى الخروج من حلقات الأجواء والبيئات وإعلانِ ما يخالفها.

* **ومؤمن آل فرعون** الذي عاش في آل فرعون ولم يكن يؤول أمرُه إليه، بل آل إلى ربّه بالطاعة، فآمن بالله ربّاً، وكفر بفرعون.

ولكن.. مَن هو مؤمن آل فرعون؟!

ـ في تفسير الإمام العسكريّ عليه السلام، عن آبائه عن الإمام الصادق عليه السلام قال: كان (حِزْقيل) مؤمن آل فرعون يدعو قومَ فرعون إلى توحيد الله ونبوّة موسى وتفضيل محمّد صلى الله عليه وآله على جميع رسل الله وخَلْقِه، وتفضيل عليّ بن أبي طالب والخيار من الأئمّة عليهم السلام على سائر أوصياء النبيّين، وإلى البراءة من ربوبيّة فرعون.

فوشى به واشون إلى فرعونَ وقالوا: إنّ حزقيل يدعو إلى مخالفتك، ويُعين أعداءَك على مضادّتك، فقال لهم فرعون: إنّه ابن

عمّي، وخليفتي على مُلكي، ووليّ عهدي، إن فعل ما قلتم فقد استحقّ العذاب على كفره نعمتي! وإن كنتُم كاذبين فقد استحققتُم أشدّ العذاب لإيثاركُمُ الدخولَ في مَساءته.

فجاء بحزقيل وجاء بهم، فكاشفوه وقالوا: أنت تجحد ربوبيّة فرعون وتكفر نعماءَه! فقال حزقيل: أيّها المَلِك، هل جرّبتَ علَيّ كذباً قط؟ قال: لا، قال: فسَلهم مَن ربّهم؟ فقالوا: فرعون، قال: ومَن خالقكم؟ قالوا: فرعون، قال: ومَن رازقكم، الكافل لمعاشكم والدافع عنكم مكارهَكم؟ قالوا: فرعون هذا. قال حزقيل: أيّها الملك، فاشهد ومَن حضرك أنّ ربَّهم ربّي، وخالقَهم هو خالقي، ورازقُهم هو رازقي، لا ربَّ لي ولا خالق ولا رازق غير ربّهم وخالقهم ورازقهم، وأُشهدك ومَن حضرك أنّ كلّ ربٍّ وخالقٍ سوى ربّهم فأنا بريءٌ منه ومن ربوبيّته، كافر بإلهيّته.

يقول حزقيلُ هذا وهو يعني أنّ ربّهم هو الله ربّي، ولم يقل: إنّ الذي قالوا ربَّهم هو ربّي.

وخَفِيَ هذا المعنى على فرعون ومَن حضره، وتوهّموا أنّه يقول: فرعون ربّي وخالقي ورازقي، فقال لهم فرعون: يا طلّابَ الفساد في مُلكي، ومُريدي الفتنة بيني وبين ابن عمّي وهو عَضُدي! أنتم المستحقّون لعذابي؛ لإرادتكم فسادَ أمري وإهلاكَ ابن عمّي.

ثمَّ أمر بالأوتاد، فجُعل في ساق كلّ واحدٍ منهم وتدٌ، وأمر أصحابَ أمشاط الحديد فشقّوا بها لحومهم من أبدانهم.

فذلك ما قال الله تعالى: ﴿فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا﴾ به لمّا وشَوا به إلى فرعون ليُهلكوه، ﴿وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ ٱلْعَذَابِ﴾[1] وهُمُ الذين وشوا بحزقيل إليه، لمّا أوتد فيهم الأوتاد، ومشّط عن أبدانهم لحومَهم بالأمشاط[2].

وهنالك من يروي أنّ مؤمن آل فرعون قد وُفّق للشهادة، فكان ذلك وقايةً من الفتنة.

ـ قال أبو عبد الله الصادق عليه السلام: ولقد قطّعوه إرْباً إرباً، ولكنْ وقاه الله أن يفتنوه في دينه[3].

ـ وعن البرقيّ، عن أبيه، عن عليّ بن النعمان، عن أيّوب بن الحرّ، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله: ﴿فَوَقَاهُ ٱللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا﴾ قال: أما لقد سطَوا عليه وقتلوه، ولكنْ.. أتدرونَ ما وقاه؟! وقاه أن يفتنوه في دينه[4].

ونمضي مع «حزقيل» رضوان الله تعالى عليه، فنسمع من الرواة أنّه كان نجّاراً، وهو الذي نجر التابوت لأُمّ موسى حين قذفَتْه في البحر، وأنّه كان خازناً لفرعونَ مائة سنة، وكان مؤمناً مخلصاً يكتم

---

(١) سورة غافر (المؤمن): ٤٥.

(٢) قصص الأنبياء والمرسلين، للسيّد نعمة الله الجزائري ـ الفصل الخامس: ٢٥٨.

(٣) قصص الأنبياء والمرسلين: ٢٥٨.

(٤) تفسير نور الثقلين، للشيخ عبد علي بن جمعة الحويزيّ ٤: ٥٢١ / ح٥٢ ـ عن (المحاسن) للبرقيّ، و(أُصول الكافي) للشيخ الكلينيّ.

إيمانه إلى أن ظهر موسى عليه السلام على السَّحَرة، فأظهر حزقيل يومئذ إيمانه[1]، فأُخِذ وقُتل مع السحرة صلباً.

* **وزوجة مؤمن آل فرعون**.. فإنّها كانت ماشطةَ بنات فرعون، وكانت مؤمنة..

ـ رُوي عن ابن عبّاس أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: لمّا أُسري بي مرّت بي رائحةٌ طيّبة، فقلت لجبرئيل: ما هذه الرائحة؟ فقال: هذه ماشطة آل فرعون وأولادها، كانت تمشّطها فوقعت المشطة من يدها، فقالت: بسم الله، فقالت بنت فرعون: أبي؟ قالت: لا، بل ربّي وربُّكِ وربُّ أبيك. فأخبرَتْ فرعونَ فدعا بها وبوُلْدها، وقال: مَن ربُّكِ؟ قالت: إنّ ربّي وربَّك الله. فأمر بتنّور من نحاسٍ فأُحمي، فدعا بها وبولدها، فقالت: إنّ لي إليك حاجة، وهي أن تجمع عظامي وعظام ولدي فتدفنها، فقال: ذلك لكِ؛ لِما لكِ من حقّ. فأمر بأولادها فأُلقوا واحداً واحداً بالتنّور، حتّى آخر وُلْدها، وكان صبيّاً مرضعاً، فقال: اصبري يا أُمّاه؛ إنّكِ على الحقّ. فأُلقيت في التنّور مع ولدها[2].

* **وآسية بنت مزاحم** امرأة فرعون.. فقد كانت من بني إسرائيل، وكانت مؤمنةً خالصة، وكانت تعبد الله سرّاً إلى أن قتل فرعونُ امرأةَ

---

(١) تُراجع الآيات من ٣٦ ـ ٤٥ من السورة المسمّاة (المؤمن) نسبةً إلى مؤمن آل فرعون.

(٢) قصص الأنبياء والمرسلين: ٢٦٠.

حزقيل، فعاينت حينئذٍ الملائكةَ يعرجون بروحها، فازدادتْ يقيناً وإخلاصاً.

فبينا هي كذلك.. إذ دخل عليها فرعون يُخبرها بما صنع، فقالت: الويل لك يا فرعون، ما أجرأكَ على الله جلّ وعلا! فقال لها: لعلّكِ اعتراك الجنونُ الذي اعترى صاحبتَكِ؟ فقالت: ما اعتراني جنون، بل آمنتُ بالله ربّي وربِّك وربِّ العالمين.

فدعا فرعونُ أُمَّها فقال لها: إنّ ابنتكِ أخبريها، فأُقسم لَتذوقنّ الموت أو لتكفرنّ بإله موسى. فخلَت بها أُمّها فسألتها موافقته في ما أراد، فأبت وقالت: أمّا أن أكفر بالله.. فلا. فأمر بها فرعونُ حتّى مُدّت بين أربعة أوتاد، ثمّ لا زالت تُعذَّب حتّى ماتت.

ـ وعن ابن عبّاس، قال: أخذ فرعون امرأتَه آسية، حين تَبيّن له إسلامُها، يعذّبها لتدخل في دينه، فمرّ بها موسى وهو يعذّبها، فشكت إليه بإصبعها، فدعا اللهَ موسى أن يخفّف عنها، فلم تجد للعذاب ألماً. وإنّها ماتت من عذاب فرعون، فقالت وهي في العذاب: ﴿رَبِّ ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتاً فِي ٱلْجَنَّةِ﴾[1]، وأوحى الله إليها أن ارفعي رأسَكِ. فرفعت رأسَها فرأت البيت في الجنّة بُنيَ لها من دُرّ، فضحكت.

---

(١) التحريم: ١١.

وقيل: إنّها كانت تُعذّب بالشمس، وإذا انصرفوا عنها أظلّتْها الملائكة وجعلت ترى بيتَها في الجنّة[١].

وأصبحت آسية بنت مزاحم رضوان الله تعالى عليها مثلاً إيمانيّاً شريفاً في كتاب الله، فنقرأ قول الله تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا ٱمْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتاً فِي ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّالِمِينَ﴾[٢].

وهكذا اختارت آسية بنت مزاحم جوار ربّها والقُرب منه على أن تكون أنيسةَ فرعون وعشيقته وهي ملكة مصر. وآثرتْ بيتاً يبنيه لها ربُّها على بيت فرعون الذي فيه ممّا تشتهيه الأنفس وتتمنّاه القلوب ما تقف دونه الآمال. فقد كانت عزفت نفسُها عمّا هي فيه من زينة الحياة الدنيا وهي لها خاضعة، وتعلّقت بما عند ربّها من الكرامة والزلفى، فآمنت بالغيب واستقامت على إيمانها حتّى قضت شهيدة.

وهذه المواقف هي التي قدّمتها إلى أن جعلها الله مثلاً للذين آمنوا.. فقد انتزعت مِن كلّ ما يلهيها عن ربّها، فلاذت بربّها تريد القُرب منه تعالى والإقامة في دار كرامته. على أنّ الحضور عنده تعالى والقرب منه كرامة معنويّة، والاستقرار في الجنّة كرامة صوريّة، وسؤالُ الجمع بينهما سؤال الجمع بين الكرامتين.

---

(١) قصص الأنبياء والمرسلين: ٢٦٠ ـ ٢٦١.

(٢) سورة التحريم: ١١.

﴿وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ﴾ تبرٍّ منها، وطلبٌ أن يُنجّيها الله من شخص فرعون ومن عمله الذي تدعو ضرورة الصحبة والمعاشرة إلى التلبّس به.

﴿وَنَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّالِمِينَ﴾ تبرٍّ آخر، والقوم الظالمون هم قوم فرعون، وهذا سؤال أن يُنجّيَها الله من المجتمع العامّ، كما أنّ السؤال السابق كان أن يُنجّيَها من المجتمع الخاصّ[١].

وأمّا في الحديث النبوي الشريف.. فمن تكون آسية بنت مزاحم؟

ـ قال رسول الله ﷺ: حَسْبك من نساء العالمين: مريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمّد[٢].

ـ وعن ابن عبّاس، قال: خطَّ رسولُ الله ﷺ في الأرض أربعة خطوط، وقال: أتدرون ما هذا؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، فقال ﷺ: أفضل نساء أهل الجنّة: خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمّد، ومريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون[٣].

ومن أولئك الذين رفعوا رأس التاريخ أيضاً:

* **وفتية الكهف** وهذا ملخّص قصّتهم:

---

(١) الميزان في تفسير القرآن، للسيّد محمّد حسين الطباطبائيّ ١٩: ٣٤٤.
(٢) الاستيعاب، لابن عبد البَرّ ٣: ٧٢٠.
(٣) أُسد الغابة، لابن الأثير ٥: ٤٣٧.

ـ في (قصص الأنبياء) للراونديّ، بإسناده إلى ابن عبّاس.. أنّ قوماً من أحبار اليهود أتَوا عمرَ بن الخطّاب في عهده فسألوه أسئلةً فنكس رأسَه ثمّ قال للإمام عليّ عليه السلام: يا أبا الحسن، ما أرى جوابَهم إلّا عندك.

فاشترط أمير المؤمنين عليّ عليه السلام أنْ إذا أخبرهم بما في التوراة دخلوا في الإسلام، فقالوا: نعم.

فأجابهم، وكانوا ثلاثة، فوثب اثنان وقالا: أشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله. فوقف الحَبر الآخر وقال: يا عليّ، لقد وقع في قلبي ما وقع في قلوب أصحابي، ولكن بَقِيتْ خَصلة أسألك عنها. فقال عليه السلام: سل. قال: أخبِرْني عن قومٍ كانوا في أوّل الزمان فماتوا ثلاثَمائةٍ وتسعَ سنين، ثمّ أحياهمُ الله.. ما كانت قصّتُهم؟

فابتدأ عليّ عليه السلام وأراد أن يقرأ سورة الكهف، فقال الحَبر: ما أكثرَ ما سمعنا قراءتكم! فإن كنتَ عالماً فأخبرْنا بقصّة هؤلاء وبأسمائهم وعددهم، واسم كلبهم واسم كهفهم، واسم مَلِكهم، واسم مدينتهم.

فقال عليّ عليه السلام: لا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم، يا أخا اليهود! حدّثني محمّد صلى الله عليه وآله أنّه كان بأرض الروم مدينةٌ يُقال لها (أقسوس)، وكان لهم مَلِك صالح فمات ملكهم، فاختلفت كلمتهم. فسمع ملك من ملوك فارس يقال له (دقيوس)، فأقبل في مائة ألفِ

حتّى فتح مدينة أقسوس، فاتّخذها دار مملكته واتّخذ فيها قصراً... ثمّ علا على السرير فوضع التاج على رأسه.

فوثب اليهوديّ فقال: مِمّ كان تاجه؟ قال: من الذهب المشبّك، له سبعة أركان، على كلّ ركن لؤلؤة بيضاء كضوء الصبح في اللّيلة الظلماء... فلمّا نظر المَلِك إلى ذلك عتا وتجبّر، فادّعى الربوبيّة من دون الله، ودعا إلى ذلك وجوهَ قومه.. فكلُّ مَن أطاعه إلى ذلك أعطاه وكساه، وكلّ مَن لم يبايعه قتله! فاستجابوا له رأساً، واتّخذ لهم عيداً في كلّ سنةٍ مَرّة.

فبينا هم ذاتَ يومٍ في عيدٍ لهم، والبطارقة عن يمينه والهراقلة عن يساره.. إذ أتاه بِطْريق فأخبره أنّ عساكر الفرس قد غَشِيتْه، فاغتمّ لذلك حتّى سقط التاج عن ناصيته، فنظر إليه أحد الثلاثة الذين كانوا عن يمينه يقال له (تمليخا) وكان له غلاماً، فقال في نفسه: لو كان دقيوس إلهاً ـ كما يزعم ـ إذن ما كان يغتمّ ولا يفزع ولا يبول ولا يتغوّط، ما كان ينام.. وليس هذا مِن فعل الإله.

وكان الفتية كلَّ يومٍ عند أحدهم، وكانوا ذلك اليوم عند تمليخا، فاتّخذ لهم من طيّب الطعام، ثمّ قال لهم: يا إخوتاه، قد وقع في قلبي شيء مَنعَني الطعام والشراب والمنام، قالوا: وما ذاك يا تمليخا؟! قال: أطلتُ فكري في هذه السماء.. فقلت: مَن رفع سقفها محفوظةً بلا عمد ولا علاقة مِن فوقها؟ ومَن أجرى فيها شمساً وقمراً آيتان

مبصرتان؟ ومَن زيّنها بالنجوم؟ ثمّ أطلت الفكرَ في الأرض فقلتُ: مَن سطّحها على صميم الماء الزخّار؟ ومن حبسها بالجبال أن تمتدّ على كلّ شيء؟ وأطلت فكري في نفسي مَن أخرجني جنيناً مِن بطن أُمّي، ومَن غذّاني ومَن ربّاني؟

إنّ لها صانعاً مدبّراً غير دقيوس المَلِك، وما هو إلّا مَلِك الملوك وجبّار السماوات!

فانكبّت الفتية على رِجْليهِ يقبّلونهما، وقالوا: بك هدانا الله من الضَّلالة إلى الهدى، فأشِرْ علينا. فوثب تمليخا فباع تمراً مِن حائط له[1] بثلاثة آلاف درهم وصرّ في ردنه، وركبوا خيولَهم وخرجوا من المدينة..

فلمّا ساروا ثلاثة أميال قال لهم تمليخا: يا إخوتاه، جاءت مَسكنة الآخرة وذهب مُلْك الدنيا.. انزلوا عن خيولكم وامشوا على أرجلكم، لعلّ الله أن يجعل لكم مِن أمرِكُم فَرَجاً ومَخْرجاً. فنزلوا عن خيولهم ومشوا على أرجلهم سبعة فراسخ في ذلك اليوم، فجعلت أرجلهم تقطر دماً.

فاستقبلهم راعٍ فقالوا له: يا أيُّها الراعي، هل مِن شربةِ لبن أو ماء؟ فقال الراعي: عندي ما تحبّون، ولكن أرى وجوهكم من وجوه الملوك، وما أظنّكم إلّا هِراباً من دقيانوس الملك! قالوا: يا أيّها

(١) أي بستان.

الراعي، لايحلّ لنا الكذب، أفيُنجينا منك الصدق؟ فأخبروه بقصّتهم، فانكبّ الراعي على أرجلهم يقبّلها ويقول: يا قوم، لقد وقع في قلبي ما وقع في قلوبكم، ولكن أمهلوني حتّى أردّ الأغنام على أربابها وألحقَ بكم. فتوقّفوا له، فردّ الأغنام وأقبل يسعى يَتْبعه الكلب.

فوثب اليهوديّ فقال: يا عليّ، ما اسم الكلب وما لونُه؟ فقال له عليّ عليه السلام: لا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم.. أمّا لون الكلب فكان أبلقَ بسواد، وأمّا اسم الكلب فـ(قطمير).

فلمّا نظر الفتية إلى الكلب قال بعضهم: إنّا نخاف أن يفضحنا الكلب بنباحه. فألحّوا عليه بالحجارة، فأنطق اللهُ الكلبَ وقال: ذروني حتّى أحرسَكم مِن عدوّكم.

فلم يزل الراعي يسير بهم.. حتّى علاهم جبلاً فانحطّ به على كهفٍ يقال له (الوصيد)، فإذا بفِناء الكهف عيونٌ وأشجار مثمرة، فأكلوا من الثمر وشربوا من الماء، وجَنّهمُ اللّيل.

فأوحى الله تعالى إلى مَلَك الموت بقبض أرواحهم، ووكّلَ اللهُ بكلّ رجلٍ ملكَينِ يُقلّبانهِ من ذات اليمين إلى ذات الشمال، وأوحى الله إلى خُزّان الشمس فكانت تَزاوَرُ كهفهم ذاتَ اليمين وتَقْرِضهم ذاتَ الشمال.

فلمّا رجع دقيوس من عيده سأل عن الفتية فأُخبر أنّهم خرجوا هرباً، فركب.. فلم يزل يقفو أثرهم حتّى علا فانحطّ إلى كهفهم،

فلمّا نظر إليهم فإذا هم نيام! فقال الملك: لو أردت أن أُعاقبهم بشيء لما عاقبتهم بأكثر ممّا عاقبوا أنفسهم، ولكنِ آئتوني بالبنّائين. فسدّ باب الكهف بالكلس والحجارة، وقال لأصحابه: قولوا لهم يقولون لإلهِهم في السماء لِيُنجّيَهم، وأن يُخرجهم من هذا الموضع.

قال عليّ عليه السلام: يا أخا اليهود! فمكثوا ثلاثَمائةٍ وتسعَ سنين، فلمّا أن أراد الله أن يُحْيِيَهم أمر إسرافيلَ أن ينفخ فيهمُ الروح، فنفخ، فقاموا من رقدتهم...

فأقبل تمليخا [من السوق] حتّى دخل الكهف، فلمّا نظروا إليه اعتنقوه وقالوا: الحمد لله الذي نجّانا من دقيوس، قال تمليخا: دعوني عنكم وعن دقيوسكم، كم لبثتُم؟ قالوا: لبثْنا يوماً أو بعض يوم، قال تمليخا: بل لبثتم ثلاثمائة وتسع سنين، وقد مات دقيوس وقرن بعد قرن، وبعث الله نبيّاً يقال له (المسيح عيسى ابنُ مريم) ورفعه الله إليه..

قالوا: يا تمليخا، أتريد أن تجعلنا فتنة للعالمين؟! قال تمليخا: فما تريدون؟ قالوا: ادعُ الله ـ جلّ ذِكْرُه ـ وندعو معك حتّى يقبضَ أرواحنا. فرفعوا أيديَهم، فأمر الله تعالى بقبض أرواحهم، وطمس اللهُ باب الكهف على الناس...

ثمّ قال الإمام عليّ عليه السلام: يا يهوديّ! أيوافق هذا ما في توراتِكم؟

قال: ما زدتَ حرفاً ولا نقصت، وأنا أشهد أن لا إله إلّا الله، وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله[1].

هذه قصّة أصحاب الكهف الذين وضعونا أمام عدّة دروس، منها: أنّ أرض الله واسعة، فإن امتنع على أحد أن يعبد الله في ناحية من الأرض فَستسَعُه لعبادة الله أرضٌ أُخرى، وقد قال تعالى في محكم تنزيله الكريم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ ٱلْمَلاَئِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي ٱلأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فيهَا فَأُولٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيراً﴾[2]. وقال عزّ من قائل: ﴿يَا عِبَادِيَ ٱلَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي واسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ﴾[3].

والمعنى: اعبُدوني وحدي ولا تعبُدوا غيري، فإن لم يُمْكِنْكم عبادتي في مكانٍ من الأرض فهاجروا إلى غيرها واعبدوني فيها وحدي.

ومنها: أنّ الإيمان فتوّة وحيويّة، فقد جاء عن سليمان بن جعفر الهَمْدانيّ أنّه قال: قال لي جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام: يا سليمان، مَن الفتى؟ فقلت له: جُعلت فداك، الفتى عندنا الشابّ. قال لي: أما

---

(١) قصص الأنبياء والمرسلين (باب في قصّة أصحاب الكهف والرقيم) مختصراً: ٤٤١ ـ ٤٤٦. وهنالك بحث مفصّل حول هذه القصّة مدعوم بوثائق أثريّة: جغرافيّة وتاريخيّة، نجده في تفسير الميزان ١٣: ٢٧٨ ـ ٢٩٩.

(٢) النساء: ٩٧.

(٣) العنكبوت: ٥٦.

علمتَ أنّ أصحاب الكهف كانوا كهولاً فسمّاهم الله فتيةً بإيمانهم ؟! يا سليمان، مَن آمنَ بالله واتّقى فهو الفتى[١].

ومنها: أنّ لكتمان الإيمان في حال التقيّة ثوابَه، كما للإيمان ثوابه. عن أبي بصير، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: إنّ أصحابَ الكهف أسرّوا الإيمانَ وأظهروا الكفر، فآجَرَهمُ اللهُ مرّتين[٢].

ومن هنا كان أبو طالب رضي الله عنه قد حَظِيَ بمنزلةٍ عاليةٍ عند الله، وعند رسوله صلى الله عليه وآله، حتّى روى اليعقوبيّ قائلاً: لمّا قيل لرسول الله: إنّ أبا طالب قد مات.. عظُم ذلك في قلبه واشتدّ له جزعه، ثمّ دخل فمسح جبينَه الأيمن أربع مرّات، وجبينه الأيسر ثلاثَ مرّات، ثمّ قال: يا عمّ، ربّيتَ صغيراً، وكفلتَ يتيماً، ونصرتَ كبيراً، فجزاك الله عنّي خيراً. ومشى بين يدي سريره، وجعل يعرضه ويقول: وصَلَتْك رحِمٌ وجُزيتَ خيراً[٣].

أجل.. فقد كان أبوطالب رضي الله عنه مؤمناً يكتم إيمانه على كفّار قريش مخافةً على بني هاشم أنْ تنبذهم قريش.

ـ عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: إنّ مَثَل أبي طالب مَثَل أصحاب

---

(١) تفسير العيّاشيّ ـ سورة الكهف: الآية ١٠.

(٢) تفسير العيّاشيّ ـ سورة الكهف: الآية ١٠.

(٣) تاريخ اليعقوبيّ ٢: ٢٦، ويراجع في ذلك وفي غيره: دلائل النبوّة، للبيهقيّ. وتاريخ بغداد، للخطيب البغداديّ ١٣: ١٩٦. وتاريخ ابن كثير (البداية والنهاية) ٣: ١٢٥. وتذكرة خواصّ الأُمّة، لسبط ابن الجوزيّ: ٦.. وغيرها كثير.

الكهف، أسرّوا الإيمانَ وأظهروا الشرك، فآتاهمُ اللهُ أجرَهم مرّتين[١].

ـ وعن عبد الرحمان بن كثير، عن أبي عبد الله عليه السلام: أتى جبرائيلُ في بعض ما كان عليه، فقال: يا محمّد، إنّ ربّك يُقرئك السلام ويقول لك: إنّ أصحاب الكهف أسرّوا الإيمان وأظهروا الشرك فآتاهم الله أجرَهم مرّتين، وإنّ أبا طالبٍ أسرّ الإيمان وأظهر الشرك فآتاه الله أجرَه مرّتين.. وما خرج من الدنيا حتّى أتته البشارةُ من الله تعالى بالجنّة.. وقد نزل جبرائيلُ ليلةَ مات أبو طالبٍ فقال: يا محمّد، أُخرجْ من مكّة، فما لك بها ناصرٌ بعد أبي طالب[٢].

* وأمّا في صدر الإسلام.. فشخصيّة **سلمان الفارسيّ ـ المحمّديّ** تأتي في طليعة الباحثين عن الحقيقة، والمقتفين آثارَ النبوّة عبر مئات السنين، في رحلةٍ شاقّةٍ هرب فيها من أجواء الشرك. دَعُونا نقرأ قصّة سلمان وهو يحكيها لعبد الله بن عبّاس، قائلاً له:

ـ كنتُ رجلاً من أهل أصفهان من قريةٍ يُقال لها (جي)، وكان أبي

---

(١) أمالي الصدوق: ٤٩٢/ح١٢ ـ المجلس ٨٩. وروضة الواعظين، لابن الفتّال النيسابوريّ: ١٢١.

(٢) ضياء العالمين، للفتّونيّ، وتفسير أبي الفتوح الرازيّ ٤: ٢١٢، وبحار الأنوار، للشيخ المجلسيّ ١٩: ١٤/ح٦ ـ عن: الكافي للكلينيّ ١: ٣٧٣/ح٢٨ ـ باب مولد النبيّ صلى الله عليه وآله ووفاته.. وغيرها من المصادر ذكرها الشيخ الأمينيّ في أثره الفاخر (الغدير ٧: ٣٩٠).

دهقانَ قومه[١]، وكان يحبّني حبّاً شديداً.. يحبسني في البيت كما تُحبَس الجارية. وكنت صبيّاً لا أعلم من أمر الناس إلّا ما أرى من المجوسيّة، حتّى إنّ أبي بنى بنياناً وكان له ضيعة[٢]، فقال: يا بُنيّ، شغلني من اطّلاع الضيعة ما ترى، فانطلقْ إليها ومُرْهم بكذا وكذا، ولا تحتبسْ عنّي.

فخرجتُ أُريد الضيعة، فمررت بكنيسة النصارى فسمعتُ أصواتَهم، فقلت: ما هذا؟! قالوا: هؤلاء النصارى يصلّون. فدخلتُ أنظر، فأعجبني ما رأيت من حالهم، فواللهِ ما زلت جالساً عندهم حتّى غربت الشمس، وبعث أبي في طلبي في كلّ وجه، حتّى جئتُه حين أمسيت ولم أذهب إلى ضيعته. فقال لي أبي: أين كنت؟! قلت: مررت بالنصارى فأعجبني صلاتُهم ودعاؤهم. فقال: أيْ بُنيّ! إنّ دين آبائك خيرٌ مِن دينهم، فقلت: لا والله، ما هذا بخير من دينهم، هؤلاء قوم يعبدون اللهَ ويَدْعونه ويصلّون له، وأنت إنّما تعبد ناراً أوقدتَها بيدك، إذا تركتَها ماتت!

فجعل في رِجْلي حديداً وحبسني في بيتٍ عنده[٣]، فبعثتُ إلى النصارى فقلت: أين أصلُ هذا الدين؟ قالوا: بالشام، قلت: إذا قَدِم

---

(١) الدِّهقان: رئيس القرية، ورئيس الإقليم، ومَن له مال وعقار، والتاجر، ومن كان قويّاً على التصرّف مع شدّة خبرة.
(٢) الضَّيعة: البستان.
(٣) أي حُجرة.

عليكم مِن هناك ناس فأْذَنوني، قالوا: نفعل. فبعثوا بـعدُ أنّـه قَـدِم تجّار، فبعثتُ إذا قضوا حوائجهم وأرادوا الخروج فأذنوني به، قالوا: نفعل.

ثمّ بعثوا إليّ بذلك، فطرحتُ الحديدَ مِن رجلي وانطلقتُ معهم، فلمّا قدِمتُ إلى الشام قلت: مَن أفضل هذا الدين؟ قالوا: الأسقف صاحب الكنيسة. فجئت فقلت: إنّي أحببتُ أن أكون معك وأتعلّمَ منك الخير، قال: فكنْ معي. فكنت معه.. وكان رجلَ سوء، يأمرهم بالصدقة، فإذا جمعوها اكتنزها ولم يُعطها المساكين منها ولا بعضَها. فلم يلبث أن مات، فلمّا جاؤوا أن يدفنوه قلتُ: هذا رجل سـوء! ونبّهتُهم على كنزه، فأخرجوا سبع قلال مملوءة ذهباً، فصلبوه على خشبة ورمَوه بالحجارة، وجاؤوا برجلٍ آخر فجعلوه مكانه.

فلا والله ـ يا ابن عبّاس ـ ما رأيت رجلاً قطّ أفضلَ منه، وأزهدَ في الدنيا، وأشدّ اجتهاداً منه، فلم أزلْ معه حتّى حضرَتْه الوفاة، وكنت أُحبّه، فقلت: يا فلان، قد حضرك ما ترى من أمـر الله، فـإلى مَـن تُوصي بي؟ قال: أيْ بُنيّ، ما أعلم إلّا رجلاً بالموصل، فأْتِه فـإنّك ستجده على مِثل حالي. فلمّا مات وغُيّب.. لحقتُ بالموصل، فأتيته فوجدته على مثل حاله من الاجتهاد والزهادة، فقلت له: إنّ فـلاناً أوصى بي إليك، فقال: يا بُنيّ كن معي. فأقمتُ عنده حتّى حضرَتْه الوفاة، قلت: إلى مَن توصي بي؟ قال: الآنَ يا بُنيّ لا أعلم إلّا رجلاً

بـ (نَصِيبين)، فالحقْ به. فلمّا دفنّاه لحقتُ به، فـقلت له: إنّ فـلاناً أوصىٰ بي إليك، فقال: يا بُنيَّ أقِمْ. فأقمتُ عنده فوجدته على مِثلِ حالهم، حتّى حضَرَتْه الوفاة، فقلت: إلى مَن تُوصي بي؟ قـال: مـا أعلم إلّا رجلاً بـ(عموريّة) من أرض الروم، فأْتهِ فإنّك ستجده على مثل ما كنّا عليه. فلمّا واريتُه خرجت إلى (عموريّة) فأقمت عـنده فوجدته على مثل حالهم، واكتسبتُ غُنيمة وبقرات، إلى أن حضرته الوفاة، فقلت: إلى مَن توصي بي؟ قال: لا أعلم أحداً على مثل ما كنّا عليه، ولكنْ قد أظلّك زمانُ نبيٍّ يُبعَث مـن الحـرم، مـهاجره بـين حَرّتين إلى أرضٍ ذات سبخة ذات نخل، وإنّ فيه علاماتٍ لا تخفى: بين كتفَيهِ خاتَم النبوّة، يأكل الهديّة، ولا يأكل الصدقة، فإن استطعت أن تمضيَ إلى تلك البلاد فافعل.

فلمّا واريناه أقمت.. حتّى مرّ رجال من تجّار العرب من قـبيلة كلب، فقلت لهم: تحملوني معكم حتّى تَـقْدموني أرضَ العـرب وأُعطيكم غُنيمتي هذه وبـقراتـي؟ قـالوا: نـعم. فأعـطيتهم إيّـاها، وحملوني، حتّى إذا جاؤوا بي وادي القرى ظلموني وباعوني عبداً من رجلٍ يهوديّ، فواللهِ لقد رأيت النخل وطمعت أن يكون البـلدَ الذي نعتَ لي فيه صاحبي. حتّى قَدِم رَجلٌ من بني قُرَيظة من يهود وادي القرى، فابتاعني من صاحبي الذي كنت عنده، فخرج حـتّى قدم بيَ المدينة، فوالله ما هو إلّا أن رأيتها وعرفت نعتها، فأقمت مع

صاحبي، وبعث اللهُ رسوله بمكّة لا يُذكر لي شيء من أمره، مع ما أنا فيه من الرِّقّ.

حتّى قدم رسول الله ﷺ (قبا)، وأنا أعمل لصاحبي في نخلٍ له، فوالله إنّي لكذلك.. إذ جاء ابن عمٍّ له فقال: قاتَلَ اللهُ بني قيلة![1] والله إنّهم لفي (قبا) يجتمعون على رجلٍ من مكّة يزعمون أنّه نبيّ. فواللهِ ما هو إلّا قد سمعتها فأخذتْني الرِّعدة حتّى ظننتُ لأسقطنّ على صاحبي، ونزلتُ أقول: ما هذا الخبر؟! ما هو؟! فرفع مولاي يدَه فلَكَمني، فقال: ما لَك ولهذا؟! أقبِلْ على عملك.

فلمّا أمسيت.. وكان عندي شيء مِن طعام، فحملته وذهبتُ إلى رسول الله ﷺ بـ(قبا) فقلت: بلغني أنّك رجل صالح، وأنّ معك أصحاباً، وكان عندي شيءٌ من الصدقة فها هو ذا، فكُلْ منه. فأمسك رسول الله ﷺ فقال لأصحابه: كُلوا. ولم يأكل، فقلت في نفسي: هذه خَلّة ممّا وصف لي صاحبي، ثمّ رجعت وتحوّل رسول الله ﷺ إلى المدينة، فجمعت شيئاً كان عندي، ثمّ جئتهُ به فقلت: إنّي قد رأيتك لا تأكل من الصدقة، وهذه هديّة وكرامة ليست من الصدقة. فأكل رسول الله ﷺ وأكل أصحابه، فقلت: هاتان خلّتان. ثمّ جئتُ رسولَ الله ﷺ وهو يَتْبع جنازة وعليه شملتان، وهو في أصحابه، فاستدرت به لأنظر إلى الخاتم في ظهره، فلمّا رآني رسول الله ﷺ

---

(١) قيلة: أمّ الأوس والخزرج.

استدبرته عرفَ أنّي أسْتَثْبتُ شيئاً قد وُصف لي، فرفع رداءه عن ظهره، فنظرت إلى الخاتم بين كتفَيهِ كما وصف لي صاحبي، فأكببتُ عليه أُقبّله وأبكي، فقال: تحوّلْ يا سلمان هنا. فتحوّلت وجلست بين يديه، وأَحبَّ أن يسمع أصحابُه حديثي عنه، فحدّثته يا ابن عبّاس كما حدّثتك..[١].

ثمّ كاتبه النبيُّ الأكرم ﷺ، وكان الرقّ قد حبس سلمانَ حتّى فاته مع الرسول ﷺ بدرٌ وأُحد، ثمّ إذا عُتق لم يفتْه معه مشهد من الخندق (معركة الأحزاب) فما بعدها.

وانطلق سلمان رضي الله عنه يدعو إلى الإسلام ويجاهد دونه، ويروي عن المصطفى الأكرم ﷺ ويبيّن حقائق الدين ومعالمَه. وقد مثّل الإنسانَ الباحث عن الحقيقة، والرجلَ الذي شدّ ركائبه إلى الله تعالى في رحلةٍ روحيّة امتدّت مِن صباه حتّى كهولته.. وإلى وفاته.

وكانت عيناه تبحث عن معالم الحقّ، وكان قلبه يهفو إلى أنوار اليقين، وكانت قدماه في سفرٍ نحو موطن الهدى، حتّى التقى بالمصطفى ﷺ .. فآمن به، ولم يؤمن على عمى، بل تقصّى الأخبار، واقتفى الآثار، وتحقّق في الأُمور، فإذا تيقّن انكبّ على عتبة الإيمان يتلو: أشهد أن لا إله إلّا الله، وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله.. شهادةً انطلقت من أعماق عقله ووسط قلبه، ومِن كلّ ضميره.

---

(١) بحار الأنوار ٢٢: ٣٦٢ ـ ٣٦٥/ح ٥ ـ عن: قصص الأنبياء للراونديّ، بسندٍ يبتدئ بالشيخ الصدوق وينتهي إلى ابن عبّاس.

فواكب الرسالة حتّى انغمر فيها، وصاحَبَ رسولَ الله ﷺ حتّى أُشرب مودّتَه ومودّة قُرباه، وتثبّت على الولاية حتّى عُدّ مِن أركان الإسلام مع أبي ذرّ والمِقداد وعمّار. ولم يخرج من الدنيا إلّا بسيرة محمودة تتمثّلها الأجيال إعجاباً واقتداءاً، وهو الذي قال فيه نبيّنا الأعظم ﷺ: سلمانُ مِنّا أهلَ البيت[1].

* وروى الطبرسيّ أبو منصور أحمد بن عليّ (من علماء القرن الهجريّ السادس) في كتابه الشهير (الاحتجاج) قال: رُويَ أنّ **أبا قُحافة** كان بالطائف لمّا قُبِض رسول الله ﷺ وبُويع لأبي بكر، فكتب ابنُه (أبوبكر) إليه كتاباً عنوانه: مِن خليفة رسول الله إلىٰ أبي قُحافة. أمّا بعد: فإنّ الناس قد تَراضَوا بي، فإنّي اليومَ خليفةُ الله، فَلَو قَدِمتَ علينا كان أقرَّ لعينك.

قال: فلمّا قرأ أبو قحافة الكتابَ قال للرسول: ما مَنَعكم مِن عليّ؟! قال: هو حَدِثُ السِّنّ، وقد أكثَرَ القتلَ في قريشٍ وغيرِها، وأبوبكرٍ أسَنُّ منه. قال أبو قُحافة: إن كان الأمرُ في ذلك بالسِّنّ، فأنا أحقُّ مِن أبي‌بكر، لقد ظلموا عليّاً حقَّه وقد بايَعَ له النبيُّ وأمَرَنا ببيعته.

ثمّ كتب إليه: مِن أبي قُحافة إلى ابنه أبي بكر. أمّا بعد: فقد أتاني كتابُك فوجدتُه كتابَ أحمقٍ ينقضُ بعضُه بعضاً، مرّةً تقول: خليفة

---

(١) بحار الأنوار ٢٢: ٣٢٦/ ح٢٨ ـ عن عيون أخبار الرضا عليه السلام للشيخ الصدوق ٢: ٦٤/ح٢٨٢ ـ الباب ٣١، والاحتجاج لأبي منصور أحمد بن عليّ الطبرسيّ: ٢٦٠.

رسول الله، ومرّةً تقول: خليفة الله، ومرّةً تقول: تَراضىٰ بيَ الناس! وهو أمرٌ مُلتبِس، فلا تَدخُلنّ في أمرٍ يَصعبُ عليك الخروجُ منه غداً ويكون عُقباك منه إلى النار والندامة، وملامةِ النفس اللّوّامـة، لدى الحساب بيوم القيامة! فإنّ للأُمور مداخلَ ومخارج، وأنت تعرف مَن هو أَولىٰ بها منك، فراقبِ اللهَ كأنّك تراه، ولا تَدّعَنّ صاحبَها؛ فإنّ تَرْكَها اليومَ أخَفُّ عليك وأسلمُ لك[1].

وكان يُمكنه السكوت، بل والابتهاج والتفاخر أنّ ابنه بَلَغَ أعلىٰ منصبٍ في دولة الإسلام، كذا كان يـمكنه اسـتثمار ذلك لصـالحه ومنافعه الخاصّة. وما كان هنالك شيءٌ يُجبره علىٰ أن يحاجج ابنه في شأن الخلافة والإمامة.

* كتب المولىٰ محمّد صالح المازندرانيّ في شرحه لعبارة الإمام عـليّ بـن مـوسى الرضـا عليه السلام: «إنّ الإمـامة خـلافةُ الله، وخـلافة الرسول صلى الله عليه وآله»[2]: خليفةُ الرجل مَن ينوب مَنابَه في إنفاذ أُموره، ومِن البيِّن أنّ خليفة الله وخليفة الرسول يجب أن يكون: عالِماً بجميع الحقائق، وفـاعلاً لجـميع الخـيرات، ومـوصوفاً بـجميع الصـفات الجميلة، ومُنزَّهاً عن جميع الصفات الرذيلة. ومَن لم يكن كذلك وانتحَلَ اسمَ الخلافة فهو مِن الجائرين الهالكين؛ ولذلك لمّا كتب

---

(١) الاحتجاج: ٨٧ ـ ٨٨، ـ عنه: بحار الأنوار ٢٩: ٩٥ ـ ٩٦/ح٣ ـ الباب ٩.

(٢) الكافي ١: ٢٠٠/ح١ ـ باب نادر جامع في فضل الإمام وصفاته.

أبوبكرٍ إلىٰ أبيه (وهو في اليمن)، وأخبره بأنّ الصحابة جعلوه خليفةً لكونه شيخاً مُسِنّاً، كتب إليه أبوه:

إن كان استحقاق الخلافة بالسِّنّ فأنا أَولىٰ بها منك، وإن كان بالعلم والعمل والقرابة فعليٌ بن أبي طالبٍ أَولىٰ من الجميع، فقد ظَلَمتُموه![1]

فَبَعدَ يوم السقيفة كان لبعض الأحرار موقف، وإن كانت انحداراتُهم النَّسَبيّة والأُسَريّة معاديةً لآل البيت عليهم السلام عامّة وللإمام عليّ عليه السلام خاصّة.

* كتب الشيخ الصدوق في (الخصال): عن زيد بن وهب قال: كان الذين أنكروا علىٰ أبي بكرٍ جلوسَه في الخلافة وتَقدُّمَه علىٰ عليٍّ بن أبي طالبٍ عليه السلام اثنَي عشر رجلاً من المهاجرين والأنصار، وكان من المهاجرين: خالد بن سعيد بن العاص... فلمّا صعد (أبوبكر) المنبر تشاوروا بينهم في أمره، فقال بعضهم: هلّا نأتيه فنُنزله عن منبر رسول الله صلى الله عليه وآله، وقال آخرون: إن فعلتم ذلك أعَنْتُم علىٰ أنفسكم وقال الله عزّ وجلّ: ﴿**وَلا تُلْقُوا بأَيْديكُم إلى التَّهْلُكة**﴾[2]، ولكن امضُوا بنا إلىٰ عليّ بن أبي طالب نستشيره ونستطلع أمره. فأتَوا عليّاً عليه السلام... فقال لهم: لو فعلتُم ما كنتُم إلّا حرباً لهم، ولا كنتُم إلّا

(١) شرح جامع لأُصول الكافي ٥: ٢٤٢.

(٢) سورة البقرة: ١٩٥.

كالكحل في العين أو كالملح في الزاد، وقد اتّفقت عليه الأُمّةُ التاركة لقول نبيّها والكاذبةُ علىٰ ربّها...

وكان أوّل مَن بدا وقام خالد بن سعيد بن العاص بإدلاله بِبَني أُميّة، فقال:

ـ يا أبا بكر! اتّقِ الله؛ فقد علمتَ ما تقدّم لعليٍّ من رسول الله ﷺ، ألا تعلم أنّ رسول الله ﷺ قال لنا ونحن مُحْتَوِشوه في يوم بني قُرَيظة، وقد أقبل علىٰ رجالٍ منّا ذوي قَدْرٍ فقال: «يا معشرَ المهاجرين والأنصار، أُوصيكم بوصيّةٍ فاحفَظُوها، وإنّي مُؤَدٍّ إليكم أمراً فاقبلوه، ألا إنّ عليّاً أميرُكم مِن بَعدي، وخليفتي فيكم، أوصاني بذلك ربّي، وإنّكم إن لم تَحفَظُوا وصيّتي فيه وتُؤْووه وتنصروه اختلفتُم في أحكامكم، واضطرب عليكم أمرُ دِينِكم، ووَلِيَ عليكمُ الأمرَ شرارُكم، ألا وإنّ أهل بيتي همُ الوارثون أمري، القائلون بأمر أُمّتي. اللّهمّ فمَن حَفِظ فيهم وصيّتي فاحشُرْه في زمرتي، واجعل له مِن مرافقتي نصيباً يُدرك به فوز الآخرة، اللّهمّ ومَن أساء خلافتي في أهل بيتي فاحرمه الجنّةَ التي عَرضُها السماواتُ والأرض».

فقال له عمر بن الخطّاب: اسكتْ يا خالد، فلستَ مِن أهل المشورة، ولا مِمّن يُرضىٰ بقوله.

فقال خالد: بلِ اسكتْ أنت يا ابنَ الخطّاب! فَوَاللهِ إنّك لَتعلمُ أنّك تَنطق بغير لسانك، وتعتصم بغير أركانك، واللهِ إنّ قريشاً لتَعلمُ أنّك

أَلْأَمُها حَسَباً، وأقلُّها عدداً، وأخملُها ذِكراً، وأقلُّها مِن الله عزّ وجلّ ومن رسوله، وأنّك لَجبانٌ عند الحرب، بخيلٌ في الجَدْب، لئيمُ العنصر، ما لك في قريشٍ مَفْخَر.

قال: فأسكتَه خالد (بن الوليد) فجلس.

ثمّ قام أبو ذرّ رحمة الله عليه فقال:...[1]

وفي الاحتجاج أنّ أوّل مَن تكلّم به خالد بن سعيد بن العاص، وأنّ أُولئك الاثني عشر كان غُيَّباً عن وفاة رسول الله ﷺ، فقَدِموا وقد تولّىٰ أبوبكر، وهم يومئذٍ أعلامُ مسجد رسول الله ﷺ، فقام إليه خالد بن سعيد بن العاص وقال:... فقال له عمر: اسكتْ يا خالد؛ فلستَ مِن أهل المشورة، ولا مِمّن يُقتدىٰ برأيه. فقال له خالد: بل اسكتْ أنت يا ابنَ الخطّاب! فإنّك تنطق علىٰ لسان غيرك، وأيمُ الله، لقد عَلِمَت قريشٌ أنّك مِن ألْأَمِها حَسَباً، وأدناها مَنْصِباً، وأخسِّها قَدْراً، وأخملِها ذِكْراً، وأقلِّهم عناءً عن الله ورسوله، وأنّك لَجبانٌ في الحروب، بخيلٌ بالمال، لئيمُ العنصر، ما لك في قريشٍ مِن فخر، ولا في الحروب مِن ذِكر، وأنّك في هذا الأمر بمنزلة الشيطان **﴿إذْ قال للإنسانِ آكفرْ فلمّا كَفَرَ قال إنّي بريءٌ منك إنّي أخافُ اللَّهَ ربَّ العالمين * فكانَ عاقبتَهما أنّهما في النارِ خالِدَينِ فيها وذلك جزاءُ الظالمين﴾**[2].

---

(١) الخصال: ٤٦١ ـ ٤٦٣/ ح ٤ ـ باب الاثني عشر.

(٢) سورة الحشر: ١٦، ١٧.

فأبْلَسَ عمر[1]، وجلس خالد بن سعيد.

ثمّ قام سلمان الفارسيّ وقال:....

حتّىٰ إذا قام جمعٌ وحاججوا فأفحَموا، قال لهم عمر: واللهِ يا أصحابَ عليّ، لَئن ذهب منكم رجلٌ يتكلّم بالذي تكلّم بالأمس، لَنأخُذَنّ الذي فيه عيناه (أي لَنقطعنّ رأسَه!)

فقام إليه خالد بن سعيد بن العاص وقال: يا ابنَ صِهاك الحبشيّة! أبأسيافكم تُهدّدوننا، أَم بجمعكم تُفْزعوننا؟! واللهِ إنّ أسيافَنا أحدُّ مِن أسيافكم، وإنّا لأكثرُ منكم وإن كنّا قليلين؛ لأنّ حُجّة الله فينا، واللهِ لولا أنّي أعلمُ أنّ طاعة الله ورسوله وطاعة إمامي أَولىٰ بي لَشَهرتُ سيفي وجاهدتكم في الله إلىٰ أن أبلي عذري.

فقال أميرالمؤمنين: اجلسْ يا خالد؛ فقد عَرَفَ اللهُ لك مَقامَك، وشكر لك سعيَك. فجلس، وقام سلمان الفارسيّ فقال:...[2].

والآن.. مَن خالدٌ هذا؟

* في (سفينة البحار) كتب المحدّث الفاضل الشيخ عبّاس القمّيّ: كان خالد بن سعيد بن العاص مع أميرالمؤمنين عليه السلام في غزوة عَمْرو ابن مَعْديكَرِب، وظهر منها شَجاعتُه وطاعته لأميرالمؤمنين عليه السلام، فخَلّفَه أميرالمؤمنين عليه السلام علىٰ بني زَبيد ليقبض من صدقاتهم،

---

(١) أي: سكَتَ علىٰ مَضَضٍ أو خوف.

(٢) الاحتجاج: ٧٦، ٧٩ ـ عنه: بحار الأنوار ٢٨: ١٩٢ ـ ١٩٣، ٢٠٢/ح٢.

ويُؤمنَ مَن عاد إليه مِن هُرّابهم، فرجع عمرو بن مَعْديكَرِب وعاد مسلماً، وأعطىٰ خالدَ بن سيفَه «الصمصامة»[١].

ثمّ قال رحمه الله: أقول: في (منهج المقال): أبان بن سعيد بن العاص ابن أُميّة بن عبد شمس الأمويّ، وإخوته: خالد، وعُتْبة، وعمرو. والعاص بن سعيد قتَلَه عليٌّ عليه السلام ببدر. وفي (التعليقة): في (المجالس) أنّه (أي أبان) وأخَوَيه: خالداً وعَمْراً أَبَوا عن بيعة أبي بكر، وتابعوا أهلَ البيت عليهم السلام، وقالوا لهم: إنّكم لَطِوالُ الشجرة، طيّبةُ الثمر، ونحن لكم تَبَع. وبعد ما بايَعَ أهلُ البيت كُرهاً، بايعوا[٢].

أقول: خالد بن سعيد بن العاص بن أُميّة بن عبد شمس، صحابيٌّ أسلم قديماً.

(تنقيح المقال): قال العلّامة الطباطبائيّ [السيّد محمّد مهدي بحر العلوم] رحمه الله: إنّه (أي خالد بن سعيد) نجيبُ بني أُميّة، وإنّه مِن السابقين الأوّلين، ومِن المتمسّكين بولاء أميرالمؤمنين عليه السلام، وكان سبب إسلامه أنّه رأىٰ ناراً مؤجَّجةً يريد أبوه أن يُلقيَه فيها، وإذا برسول الله صلّى الله عليه وآله قد جَذَبه إلىٰ نفسه وخلّصه مِن تلك النار، فلمّا

---

(١) بحار الأنوار ٢١: ٣٥٦ـ٣٥٨/ح١ ـ الباب ٣٣، عن: الإرشاد للشيخ المفيد ٨٤ـ ٨٥.

(٢) منهج المقال، للأسترآباديّ ص١٧ ـ عن: تعليقة الوحيد البهبهانيّ ص١٧، ومجالس المؤمنين للشهيد القاضي التستريّ ١: ٢٢٤.

استيقظ وعَرَف صِدقَ رؤياه خرج إلى النبيّ ﷺ ليعرضَ عليه إسلامه ...

ثمّ إنّ أباه سعيدَ بن العاص لَمّا سمع بإسلامه أخرجه مِن داره، وأمَرَ بَنيه أن لا يُكلّموه ولا يُجالسوه، فكان خالد يُصبح عند رسول الله ﷺ ويُمسي عنده، حتّىٰ هاجر المسلمون إلى الحبشة، فهاجَرَ معهم هارباً مِن أبيه، ومعه امرأتُه أُميمة الخُزاعيّة، فوَلَدت بأرض الحبشة سعداً وابنةً له، ثمّ إنّ رسول الله ﷺ كتب إلى النجاشيّ يدعوه إلى الإسلام ويَخطِب له أُمَّ حبيبة بنت أبي سفيان، ويأمره أن يحمل جعفراً (الطيّار) وأصحابه، ويبعث به إليه، فأسلم النجاشيّ وآمن برسول الله ﷺ، وزوّجه أُمَّ حبيبة وأصدَقَها أربعَمائةِ دينار، وكان خالد بن سعيد هوالذي تَولّى التزويج، وأمر (النجاشيُّ) جعفراً وأصحابَه، وفيهم خالد بن سعيد بن العاص، فوجّههم إلى النبيّ ﷺ[1].

فأين حُكم الجبر الحاكم في حياة خالد بن سعيد بن العاص وهو من أُسرةٍ أمويّةٍ متعصّبة، عريقةٍ في حقدها ومحاربتها لبني هاشم عامّة، ولآل أبي طالب وشخص رسول الله خاصّة ؟!

---

(١) تنقيح المقال، للشيخ عبدالله المامقانيّ ١: ٣٩١ ـ عن: رجال السيّد بحر العلوم ٢: ٣٢٥. وإلىٰ هنا تنتهي ترجمة (خالد بن سعيد بن العاص) في: سفينة البحار ٢: ٨٠ ـ ٨١.

* وذاك نجيب آل تَيم، سليل أبي بكر علىٰ وجه الخصوص والتعيين: محمّد بن أبي‌بكر، مَثَلٌ بارزٌ في الولاء لأميرالمؤمنين عليه‌السلام، وهذه مشاهد عاجلة مِن حياته:

يُروىٰ عن كُثَير النوّا أنّ أبابكرٍ خرج في حياة رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله في غَزاة، فرأت أسماءُ بنت عميس ـ وهي تحت أبي بكر ـ (أي امرأته) ـ كأنّ أبابكرٍ متخضِّبٌ بالحَنّاء رأسه ولحيته، وعليه ثياب بِيض، فجاءت إلىٰ عائشة فأخبرتها، فبكت عائشةُ وقالت: إنْ صدَقَت رُؤياكِ فقد قُتل أبوبكر! إنّ خضابه الدم، وإنّ ثيابه أكفانُه. فدخل النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله وهي كذلك فقال: ما أبكاها؟! فذكروا الرؤيا، فقال: ليس كما عَبَّرَت عائشة، ولكن يرجع أبوبكرٍ صالحاً (أي سالماً) فتحمل منه أسماءُ بغلامٍ تُسمّيه «محمّداً»، يجعله اللهُ غيظاً على الكافرين والمنافقين!

قال: فكان كما أخبر عليه‌السلام[1].

* وقال ابن أبي الحديد: ونَشْؤه في حِجْر أميرالمؤمنين عليه‌السلام، وإنّه لم يكن يعرف أباً غير عليّ، حتّىٰ قال أميرالمؤمنين عليه‌السلام: «محمّدٌ آبني مِن صُلْبِ أبي بكر»[2].

---

(١) بحار الأنوار ٣٣: ٥٦٢ ـ ٥٦٣/ ح٧٢٢، برواية الثقفيّ بإسناده عن عاصم بن كُلَيب، عن أبيه.

(٢) شرح نهج البلاغة ٦: ٥٣ ـ عنه: بحار الأنوار ٤٢: ١٦٢/ ح٣٣.

أجَل، فكان مِن حَواريّي أميرالمؤمنين عليه السلام وخواصّه، وأحدَ المحامدة الذين تأبىٰ أن يُعصى الله عزّ وجلّ، وكانت له مواقف:

ـ رُوي عن حمزة بن محمّد الطيّار قال: ذَكَرْنا محمّدَ بن أبي بكرٍ عند أبي عبدالله (الصادق) عليه السلام فقال: رَحِمَه اللهُ وصلّىٰ عليه، قال لأميرالمؤمنين عليه السلام يوماً مِن الأيّام: ابسُطْ يدَك أُبايِعْك، فقال: أوَما فعلت؟! قال: بلىٰ. فبسط يده فقال: أشهدُ أنّك إمامٌ مُفترَضٌ طاعتُك، وأنّ أبي في النار! فقال أبو عبدالله عليه السلام: كان إنجابه (أو النجابة) من قِبَلِ أُمّه أسماء بنت عُمَيس رحمةُ الله عليها، لا مِن قِبل أبيه[1].

ـ وعن أبي جعفر الباقر عليه السلام أنّ محمّد بن أبي بكرٍ بايَعَ عليّاً عليه السلام على البراءة من أبيه[2].

ـ وعنه عليه السلام أيضاً قال: بايَعَ محمّدُ بن أبي بكرٍ على البراءة من الثاني[3].

ـ وعن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: ما مِن أهل بيتٍ إلّا ومنهم نجيبٌ مِن أنفسهم، وأنجبُ النجباء مِن أهلِ بيتِ سُوء: محمّدُ بن أبي بكر[4].

---

(١) اختيار معرفة الرجال، للشيخ الطوسيّ ١: ٢٨١ ـ ٢٨٢/الرقم ١١٣.

(٢) اختيار معرفة الرجال ١: ٢٨٢/ح١١٤.

(٣) اختيار معرفة الرجال ١: ٢٨٢/ح١١٥.

(٤) اختيار معرفة الرجال ١: ٢٨٣/ح١١٦، روضة الواعظين للفتّال النّيسابوريّ ٢٤٦ ـ عنه: بحار الأنوار ٢٢: ٣٤٣/ح٥٢.

ـ وكان رضوان الله عليه يُنسَب إليه قولُه:

يا أبانا قَد وَجَدْنا ما صَلَحْ — خابَ مَن أنت أبوه وافتضَحْ

إنّما أنقَذَني مِنك الذي — أنقَذَ الدُّرَّ مِن الماءِ المَلَحْ

يا بني الزهراءِ أنتم عُدّتي — وبِكُم في الحشر ميزاني رَجَحْ

وإذا صَحّ وِلائي فيكُمُ — لا أُبالي أيّ كلبٍ قد نَبَحْ

ـ قُتل في مصر لولائه لأميرالمؤمنين عليه السلام، فحزَنَ عليه أميرالمؤمنين عليه السلام حزناً شديداً حتّىٰ ظَهرَ عليه وتبيّن في وجهه الشريف، وقام خطيباً فحَمِد اللهَ وأثنىٰ عليه، إلىٰ أن قال: «ألا وإنّ محمّد بن أبي بكرٍ قد استُشهِد رحمةُ الله عليه، وعند الله نحتسبُه»[1].

وفي (نهج البلاغة: الكتاب ٣٥ ـ إلى عبدالله بن عبّاس): «أمّا بعد، فإنّ مصر قد افتُتِحَتْ، ومحمّد بن أبي بكر رَحِمه الله قد استُشهِد، فعند الله نحتسبه وَلَداً ناصحاً، وعاملاً كادحاً، وسيفاً قاطعاً، ورُكناً دافعاً. وقدكنتُ حَثَثْتُ الناسَ علىٰ لحاقه، وأمرتُهم بغياثهِ قبل الوقعة..».

قال المدائنيّ: وقيل لعليّ عليه السلام: لقد جَزِعتَ علىٰ محمّد بن أبي بكر جزعاً شديداً يا أميرالمؤمنين! فقال: وما يمنعني؟! إنّه كان لي ربيباً، وكان لِبَنِيّي أخاً، وكنتُ له والداً أعدُّه ولداً[2].

---

(١) بحار الأنوار ٣٣: ٥٦٥/ ح٧٢٢.

(٢) بحار الأنوار ٣٣: ٥٦٦/ ح٧٢٢.

وكم من الناس مَن اختاروا طريق أهل البيت عليهم السلام وولايتهم لمّا التقَوا بهم، ولمسوا منهم تلك الإنسانيّةَ الرفيعة والأخلاق الشريفة والروح العالية، فتركوا غيرَهم ولجأوا إليهم محبّين ومعتقدين، بل ومضحّين.

* روى الحِمْيريّ عن مسعدة بن صدقة قال: حدّثني جعفر بن محمّد عليه السلام عن أبيه (الباقر) عليه السلام؛ أنّ عليّاً عليه السلام صاحَبَ رجلاً ذمّيّاً، فقال له الذمّيّ: أين تريد يا عبدَ الله؟ قال: أُريد الكوفة. فلمّا عدل الطريق بالذمّيّ عدَلَ معه عليّ، فقال له الذمّيّ: أليس زعمتَ تريد الكوفة؟! قال: بلى، فقال له الذمّيّ: فقد تركتَ الطريق! فقال له: قد علمتُ، فقال له: فَلِمَ عدلتَ معي وقد علمتَ ذلك؟! فقال له عليّ: هذا من تمام حُسْن الصحبة أن يُشيِّع الرجلُ صاحبَه هُنَيهةً إذا فارَقَه، وكذلك أمَرَنا نبيُّنا، فقال له: هكذا؟! قال: نعم، فقال له الذمّيّ: لا جَرمَ إنّما تَبِعَه مَن تَبِعه لأفعاله الكريمة، وإنّما أُشهِدك أنّي على دِينك.

فرجع الذمّيّ مع عليّ، فلمّا عَرَفه أسلم[1].

* وفي حِلْم الإمام الحسن المجتبى عليه السلام روى المبرّد وابن عائشة

---

(١) قرب الإسناد: ١٠ ـ ١١/ ح٣٣ ـ عنه: بحار الأنوار ٤١: ٥٣/ ح٤ وفيه: وأنا أُشهدك أنّي على دِينك، وج٧٤: ١٥٧/ ح٤. ورواه: الكلينيّ في الكافي ٢: ٤٩١/ ح٥، والحرّ العامليّ في وسائل الشيعة ٨: ٤٩٣/ ح١.

أنّ شامياً رآه راكباً، فجعل يلعنُه والحسنُ لا يَردّ، فلمّا فَرَغ أقبل الحسنُ عليه، فسلّم عليه وضَحِك وقال له:

ـ أيُّها الشيخ، أظنُّك غريباً ولعلّك شَبَّهت، فَلَوِ استَعتَبتَنا أعتبناك، ولو سألتَنا أعطيناك، ولو استرشدتَنا أرشدناك، ولو استحمَلْتَنا حملناك، وإن كنتَ جائعاً أشبعناك، وإن كنتَ عُرياناً كَسَوناك، وإن كنتَ محتاجاً أغنَيناك، وإن كنتَ طريداً آويناك، وإن كان لك حاجةٌ قَضَيناها لك، فلو حرّكتَ رَحْلَك إلينا وكنتَ ضيفَنا إلىٰ وقت ارتحالك كان أعودَ عليك؛ لأنّ لنا موضعاً رحباً، وجاهاً عريضاً، ومالاً كثيراً.

فلمّا سمع الرجل كلامه بكىٰ ثمّ قال:

أشهد أنّك خليفة الله في أرضه، اللهُ أعلمُ حيث يجعل رسالتَه، وكنتَ أنت وأبوك أبغضَ خَلْقِ الله إليّ، والآن أنت أحبُّ خَلق الله إليّ.

وحوّل رحلَه إليه، وكان ضيفَه إلى أن ارتحل، وصار معتقداً لمحبّتهم[1].

أجل، بعد أن كان معتقداً لبغضهم؛ إذ أثّرت عليه الثقافة الأمويّة التي بثّها معاوية بن أبي سفيان في أهل الشام، فتحوّل الرجل من

---

(١) مناقب آل أبي طالب ٤: ١٩ ـ عنه: بحار الأنوار ٤٣: ٣٤٤/ح١٦. ورواه المبرّد في الكامل في اللغة والأدب ١: ٣٢٥.

أمويّ مُبغِض، إلى عَلَويٍّ مُحبّ. وهكذا الناس محجوجون بما رأوا وسمعوا في أهل البيت عليهم السلام، ومحجوجون أيضاً إذا لم يروا ولم يسمعوا؛ لأنّهم لم يلجأوا إليهم ولم يتعرّفوا عليهم.

* **والسيّد الحِمْيَريّ** هو المثال الآخر من أمثلة الموفَّقين إلى معرفة الحقّ وتمييزه عن الضَّلال والباطل.. الشاعر السيّد الحِمْيريّ. تعالوا ـ إخوتَنا الأكارم ـ نتعرّف عليه.

هو إسماعيل بن محمّد بن يزيد الحِمْيريّ، يُكنّى بـ«أبي هاشم» و«أبي عامر»، ويُلقّب منذ صِغَر سِنّه بـ«السيّد». قال الكشّيّ في رجاله: رُوي أنّ أبا عبد الله الصادق عليه السلام لقيَ السيّدَ الحميريّ فقال له: سمّتك أُمّك سيّداً، وُفّقتَ في ذلك، وأنت سيّد الشعراء[1].

وُلد بـ(عُمان) سنة ١٠٥ هـ، ونشأ بالبصرة، وقد نظم فأكثر. ذكر ابن المعتزّ في (طبقات الشعراء) أنّه رُؤي حمّالٌ في بغداد مُثقل، فسُئل عن حمله فقال: مِيميّات السيّد. وللسيّد الحميريّ مناظرات ومحاججات مع القاضي سَوار وغيره. وكان إذا جلس في مجلس لا يَدَع أحداً يتكلّم إلّا بفضائل آل بيت النبيّ صلّى الله عليه وآله، فكان يوماً في مجلسٍ خاضَ فيه الناس في ذِكر النخل والزرع، فغضب السيّد وقام، فقيل له: مِمّ القيام يا أبا هاشم؟! فأنشد يقول:

إنّي لَأكرهُ أن أُطيلَ بمجلسٍ ... لا ذكْرَ فيه لآل بيتِ محمّدِ

(١) رجال الكشّيّ: ١٨٦.

لا ذِكْرَ فيه لأحمدٍ ووصيّهِ وبَنيهِ ذلك مجلسٌ قصِفٌ رَدي
إنّ الذي ينساهمُ في مجلسٍ حتّى يُفارقَه لَغيرُ مُسَدَّدِ

وذكره ابن شهر آشوب في شعراء أهل البيت المجاهرين. وقد استنفذ شعره في مدحهم، ولم يترك منقبة لأمير المؤمنين عليّ صلوات الله عليه سَمِعها إلّا نظم فيها شعراً[1].

وذكر له الشيخ الأمينيّ في (الغدير)[2] عشر غديريّات رائعة، امتازت إحداهنّ بتوفيقٍ خاصّ، وهي عينيّته التي يقول فيها:

لِأُمّ عمْروٍ باللِّوى مَربعُ طامسةٌ أعلامَها بلقعُ
تروع عنها الطيرُ وحشيّةً والوحشُ مِن خِيفته تفزعُ
لمّا وقفتُ العِيسَ في رسمها والعينُ مِن عرفانها تدمعُ
ذكرتُ مَن قد كنتُ ألهو بهِ فبتُّ والقلبُ شجٍ مُوجَعُ
كأنَّ بالنارِ لِما شفّني مِن حبِّ «أروى» كَبِدي لُذَّعُ
عجبتُ من قومٍ أتَوا أحمداً بخطّةٍ ليس لها موضعُ
قالوا له: لو شئتَ أخبرتَنا إلى مَنِ الغايةُ والمفزعُ
إذا تُوفّيتَ وفارقْتَنا؟ وفيهمُ في المُلْك مَن يطمعُ!
فقال: لو أعلمتُكم مَفْزَعاً كنتُم عَسَيتُم فيه أن تصنعوا
صنيعَ أهل العِجْل إذ فارقوا هارونَ.. فالتَّركُ له أوسعُ

---

(١) يراجع: أدب الطفّ أو شعراء الحسين عليه السلام للسيّد جواد شبّر ١: ٢٠٠ ـ ٢٠٧.
(٢) يراجع الجزء الثاني من الغدير ص٢١٣ ـ ٢٧٨.

وفـــي الذي قــال بــيانٌ لِــمَن كــــان إذا يـــــعقِلُ أو يســـمعُ
ثـــمّ أتــــتْه بــعدَ ذا عَــزْمةٌ مِـــــن ربّـــهِ ليس لهـــا مَــدفعُ
بـــلّغْ.. وإلّا لم تكـــن مُـبْلغاً واللهُ مـــــنهم عـــــاصمٌ يَـمنعُ
فـــعندها قــــام النــبيُّ الذي كــان بــما يُـؤمَرْ بــه يَصدعُ
يــخطب مأمــوراً وفــي كــفّهِ كــــفُّ عـــــليٍّ ظــاهرٌ تــلمعُ
رافـــعُها أكـــرِمْ بكــفٍّ الذي يَــرفعُ، والكــفُّ التــي تُــرفَعُ
يــقول والأمــلاكُ مِــن حــولهِ واللهُ فـــيهم شــــاهدٌ يســـمعُ:
مَـــن كــنتُ مــولاهُ فــهذا لَــهُ مولىً.. فلم يَرضَوا ولم يـقنعوا
فـــاتّهمُوهُ وحــــنَتْ فـــيهمُ عـلى خـلاف الصـادقِ الأضـلعُ
وضــلّ قــومٌ غــاضَهم فــعلُهُ كأنّـــــما آنــــافُهم تُـــجدَعُ
حـــتّى إذا وارَوه فــي لحــدِهِ وانصرفوا عـن دفـنِه.. ضَـيّعوا
مــا قــال بــالأمس وأوصــى بــهِ واشــترَوُا الضُّــرَّ بــما يــنفعُ

ـ قال العلّامة المجلسيّ[1]: وجدتُ في بعض تأليفات أصحابنا أنّه رُوي بإسنادٍ عن سهل بن ذبيان، قال: دخلتُ على الإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام في بعض الأيّام، قبل أن يدخل عليه أحدٌ من الناس، فقال لي: مرحباً يا ابن ذبيان.. الساعةَ أراد رسولُنا أن يأتيَك لتحضر عندنا. فقلت: لماذا يا ابنَ رسول الله؟! فقال: لمنامٍ رأيتُه البارحة.. فقلت: خيراً يكون إن شاء الله تعالى. فقال: يا ابن ذبيان،

(١) في بحار الأنوار ٤٧: ٣٢٨.

رأيت كأنّي قد نُصِب لي سُلّم فيه مائة مِرقاة، فصَعِدتُ إلى أعلاه. فقلتُ: يا مولاي، أُهنّيك بطول العمر، وربّما تعيش مائة سنة.. فقال لي عليه السلام: ما شاء الله كان. ثمّ قال: يا ابن ذبيان، فلمّا صعدتُ إلى أعلى السلّم رأيت كأنّي دخلتُ في قبّة خضراء يُرى ظاهرُها من باطنها، ورأيت جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله جالساً وإلى يمينه وشماله غلامان حسَنان يشرق النور من وجوههما، ورأيت امرأةً بهيّة الخلْقة، ورأيت بين يديه شخصاً بهيَّ الخلقة جالساً عنده، ورأيت رجلاً واقفاً بين يديه وهو يقرأ هذه القصيدة:

*** لأُمّ عمْروٍ باللِّوى مَربعُ ***

فلمّا رآني النبيّ صلى الله عليه وآله قال لي: مرحباً بك يا ولدي يا عليّ بن موسى الرضا، سلِّمْ على أبيك عليّ. فسلّمتُ عليه، ثمّ قال لي: سلّمْ على أُمّك فاطمة الزهراء عليها السلام. فسلّمتُ عليها، فقال لي: وسَلِّمْ على أبوَيك الحسن والحسين. فسلّمتُ عليهما، ثمّ قال لي: وسلّمْ على شاعرنا ومادحنا في دار الدنيا، السيّد إسماعيل الحِمْيريّ. فسلّمتُ عليه وجلست، فالتفتَ النبيُّ إلى السيّد إسماعيل وقال له: عُدْ إلى ما كنّا فيه من إنشاد القصيدة. فأنشأ يقول:

لأُمّ عمْروٍ باللِّوى مربعُ ... طامسةٌ أعلامَها بلقعُ

فبكى النبيّ صلى الله عليه وآله، فلمّا بلغ إلى قوله:

*** ووجهُه كالشمسِ إذْ تَطلعُ ***

بكى النبيّ ﷺ وفاطمة عليها السلام معه ومن معه، ولمّا بلغ إلى قوله:

قالوا له: لو شئتَ أخبرتَنا إلى مَن الغايةُ والمفزعُ؟

رفع النبيّ ﷺ يدَيه، وقال: إلهي، أنت الشاهدُ علَيّ وعليهم أنّي أعلمتُهم أنّ الغاية والمفزع عليُّ بن أبي طالب. وأشار بيده إليه وهو جالس بين يديه صلوات الله عليه.

قال عليّ بن موسى الرضا عليه السلام: فلمّا فرغ السيّد إسماعيل الحِمْيريّ من إنشاد القصيدة التفتَ النبيُّ ﷺ إليَّ وقال لي: يا عليّ ابن موسى، إحفظْ هذه القصيدة ومُرْ شيعتَنا بحفظها، وأعلِمْهُم أنّ مَن حَفِظها وأدمن قراءتَها ضمِنتُ له الجنّة على الله تعالى.

قال الرضا عليه السلام: ولم يزل يكرّرها علَيّ حتّى حفظتُها منه.

والآن.. كيف بلغ السيّد إسماعيل الحميريّ كلَّ هذا التوفيق؟ ومِن أين انطلق؟ وكيف بدأ وإلى أين انتهى؟

لقد كانت حياةُ السيّد إسماعيل الحِمْيريّ رحلةً عقائديّة تُرى عليها مسحة التوفيق بوضوح.. ذلك أنّ أبوَيِ السيّد كانا إباضيَّين، وكان السيّد يقول في غرفتهما: طالما سُبّ أمير المؤمنين في هذه الغرفة! فإذا سُئل عن التشيّع: أين وقع له؟ قال: غاصت عَلَيّ الرحمةُ غوصاً!

أجل.. كان أبواه ناصبيَّين يسبّان الإمامَ عليّاً عليه السلام، فلمّا عَلِما بمذهب ابنهما إسماعيل هَمّا بقتله، فأتى عقبةَ بن مسلم الهنائي

فأخبره بذلك، فأجاره وبوّأه منزلاً وهبه له، فكان فيه حتّى مات أبواه فورثهما[١].

ـ وروى إسماعيل بن الساحر أنّه قال: كنت أتغدّى مع السيّد إسماعيل في منزله فقال لي: طالما ـ واللهِ ـ ما شُتم أمير المؤمنين عليه السلام ولُعن في هذا البيت! قلت: ومَن فعل ذلك؟! قال: أبواي، كانا إباضيّين. قلت: وكيف صرتَ شيعيّاً؟! قال: غاصت علَيَّ الرحمةُ فاستنقذَتْني.

ـ وعن أبي حودان قال: شكا إليّ السيّد أنّ أُمّه كانت تُوقظه باللّيل وتقول له: إنّي أخاف أن تموت على مذهبك فتدخل النار؛ فقد لهجتَ بعليٍّ ووُلْدِه، فلا دنيا ولا آخرة! ولقد نغّصَتْ علَيَّ مطعمي ومشربي، وقد تركتُ الدخول إليها[٢].

ـ وعن محمّد بن زكريّا العلائيّ، قال: حدّثتني (العبّاسةُ) بنت السيّد الحِمْيريّ قالت: قال لي أبي: كنتُ وأنا صبيّ أسمع أبوَيَّ يثلبان أميرَ المؤمنين عليه السلام، فأخرج عنهما وأبقى جائعاً، وأُوثر ذلك على الرجوع إليهما، فأبِيتُ في المساجد جائعاً لحبّي لفراقهما وبغضي إيّاهما، حتّى إذا أجهدني الجوع رجعت فأكلتُ ثمّ خرجت.. فلمّا كبرتُ قليلاً وعقلت وبدأت أقول الشعر، قلت لأبويَّ: إنّ لي

---

(١) الأغاني، لأبي الفرج الأصبهانيّ ٧: ٢٣٠.

(٢) أخبار شعراء الشيعة للمرزبانيّ: ١٥٣ ـ ١٥٤.

عليكما حقّاً يصغر عند حقّكما علَيّ، فجنِّباني إذا حضرتُكما ذِكرَ أمير المؤمنين عليه السلام بسوء؛ فإنَّ ذلك يزعجني وأكره عقوقكما بمقابلتكما. فتماديا في غيّهما، فانتقلتُ عنهما، وكتبتُ إليهما شعراً، فتواعدني أبي بالقتل! فأتيت الأمير عقبة بن مسلم فأخبرته خبري فقال لي: لا تَقْربْهما. وأعدَّ لي منزلاً أمرَ لي فيه بما أحتاج إليه، وأجرى علَيّ جراية تفضل على مؤونتي[1].

ـ وفي (الخرائج والجرائح)[2].. رُوي أنّ الباقر عليه السلام دعا للكميت، لمّا أراد أعداءُ آل محمّدٍ صلى الله عليه وآله أخْذَه وإهلاكه، وكان متوارياً.. فخرج في ظلمة اللّيل هارباً، وقد أقعدوا على كلّ طريق جماعةً ليأخذوه إذا ما خرج في خيفة. فلمّا وصل الكميت إلى الفضاء وأراد أن يسلك طريقاً، جاء أسدٌ فمنعه من أن يسريَ منها، فسلك جانباً آخَرَ فمنعه منه أيضاً.. وكأنّه أشار إلى الكميت أن يسلك خلْفَه، ومضى الأسد في جانب الكميت إلى أن أمِنَ وتخلّص من الأعداء. وكذلك كان حال السيّد الحميريّ.. دعا له الإمامُ الصادق عليه السلام لمّا هرب من أبويه، وقد حرّشا السلطان عليه؛ لنصبِهما، فدلّه سَبُعٌ على طريقٍ ونجا منهما.

---

(١) أخبار شعراء الشيعة للمرزبانيّ: ١٥٤، وذكره الكتبيّ في: فوات الوفيات ١: ١٨٨ ـ ١٩٣/ الرقم ٧٢.

(٢) لقطب الدين الراونديّ ج٢ ص٩٤١ ـ ٩٤٢.

هكذا نجا السيّد الحميريّ ﵀ من ضلال أبويه وإضلالهما، فعانى ممّا كانا يوصلانِ إلى سمعه من سبِّ أمير المؤمنين عليّ ﵇ بعد صلاة الفجر، وخلال النهار إلى آخر اللّيل. ثمّ نجا من كيدهما وقد أغريا السلطان الجائر بقتله بعد أن نغّصا عليه مطعمه ومشربه ومنامه ومسكنه.

ولكن.. بعد هذا كلّه، كاد أن يسقط في امتحان آخر، إذ خُدع بفكرة الفرقة الكَيْسانيّة التي اعتقدت بإمامة محمّد ابن الحنفيّة بعد شهادة الإمام الحسين ﵇، ثمّ قالت بغَيبته بعد وفاته. وهنا تعود الرحمة على السيّد الحميريّ لتغوص في إنقاذه.. دعونا نستمع إليه وهو يروي قصّته الثانية:

ـ كنت أقول بالغلوّ وأعتقد غَيبةَ محمّد ابن الحنفيّة ﵁.. قد ضللتُ في ذلك زماناً، فمَنّ الله علَيَّ بالصادق جعفر بن محمّد ﵇ وأنقذني به من النار، وهداني إلى سواء الصراط. فسألته ـ بعد ما صحّ عندي بالدلائل التي شاهدتها منه، أنّه حُجّة الله علَيَّ وعلى جميع أهل زمانه، وأنّه الإمامُ الذي فرض اللهُ طاعتَه وأوجب الاقتداءَ به ـ..

فقلت له: يابن رسول الله، قد رُوي لنا أخبارٌ عن آبائك ﵈ في الغَيبة وصحّة كونها، فأخبِرْني بمَن تقع؟ فقال ﵇: ستقع بالسادس من وُلْدي، وهو الثاني عشر من الأئمّة الهداة بعد رسول الله ﷺ..

أوّلهم أميرُ المؤمنين عليٌّ بن أبي طالب، وآخرُهمُ القائمُ بالحقّ، بقيّة الله في الأرض، وصاحب الزمان.. واللهِ لو بقيَ في غيبته ما بقيَ نوحٌ في قومه، لم يخرج من الدنيا حتّى يظهر، فيملأ الأرضَ قسطاً وعدلاً كما مُلئت ظلماً وجوراً.

قال السيّد: فلمّا سمعتُ ذلك مِن مولاي الصادق جعفر بن محمّد عليه السلام تُبت إلى الله تعالى ذِكْرُه على يديه، وقلتُ قصيدةً أوّلُها:

فلمّا رأيتُ الناسَ في الدِّين قد غَوَوا
تَجَعْفرتُ باسم الله فيمَن تَجَعفروا

تجعفرتُ باسمِ الله واللهُ أكبرُ
وأيقنتُ أنّ الله يعفو ويغفرُ

ودِنْت بِدِينٍ غير ما كنتُ ديّناً
به، ونهاني واحدُ الناس جعفرُ

... وقلت بعد ذلك:

أيا راكباً نحو المدينة جَسرَةً عَذافرةً يُطوى بها كلُّ سَبسَبِ[1]

ـ وفي رواية أُخرى عن داود الرِّقّيّ أنّ السيّد الحميريّ بلغه أنّه ذُكر عند الصادق عليه السلام فقال: السيّد كافر! فأتاه السيّد وقال له: يا سيّدي، أنا كافرٌ مع شدّة حبّي لكم ومعاداتي الناسَ فيكم؟! قال: وما ينفعك ذاك وأنت كافر بحجّة الدهر والزمان!

(١) كمال الدين وتمام النعمة، للشيخ الصدوق ١: ٣٣ ـ ٣٤.

ثمّ أخذ الصادق عليه السلام بيد السيّد وأدخله بيتاً.. فإذا في البيت قبر، فصلّى عليه السلام ركعتين ثمّ ضرب بيده على القبر فصار القبر قطَعاً، فخرج شخص من قبره ينفض الترابَ عن رأسه ولحيته. فقال له الصادق عليه السلام: من أنت؟ قال: أنا محمّد بن عليّ المُسمّى بابن الحنفيّة. فقال: فمَن أنا؟ قال: جعفر بن محمّد، حجّة الدهر والزمان. فخرج السيّد يقول:

*** تَجَعْفرتُ باسم اللهِ فيمَن تَجَعفروا ***[1]

ـ ويُختَم للسيّد الحميريّ بخير.. فقد حدّث أبوالحسن بن أيّوب المروزيّ، قال: رُوي أنّ السيّد الشاعر اسوَدّ وجهُه عند الموت، فقال: أهكذا يُفعَل بأوليائكم يا أمير المؤمنين؟! فابيضّ وجهُه كأنّه القمر ليلةَ البدر، فأنشأ يقول:

أُحبّ الذي مَن مات مِن أهل ودِّهِ
تلقّاه بالبشرى لدى الموت يضحكُ

ومَن مات يهوي غيرَه مِن عدوِّهِ
فليس له إلّا إلى النار مَسلكُ

أبا حسن تَفديك نفسي وأُسرتي
ومالي وما أصبحتُ في الأرض أملِكُ

---

(١) مناقب آل أبي طالب، لابن شهر آشوب ٣: ٣٧٠.

أبــــاحسن إنّــــي بــــفضلك عــارفٌ

وإنّــــي بــحبلٍ مــن هــواك لَــمُمسِكُ

وأنت وصــيُّ المــصطفى وابــنُ عــمّهِ

وإنّــــا نــــعادي مُــبغضيك ونــتركُ

مُــــواليك نـــاجٍ مـؤمنٌ بــيّنُ الهــدى

وقــاليك مــعروفُ الضــلالة مشــركُ[1]

ـ وعن الحسين بن أبي حرب قال: دخلت على السيّد بن محمّد الحميريّ عائداً في علّته التي مات فيها، فوجدتُه يُساق به، ووجدت عنده جماعةً مِن جيرانه وكانوا عثمانيّة. وكان السيّد جميل الوجه، رحب الجبهة، عريضاً ما بين السالفتين.. فبدت في وجهه نكتة سوداء مثل النقطة من المِداد، ثمّ لم تزل تزيد وتَنمى حتّى طبّقت وجهه ـ يعني اسوداداً ـ، فاغتمّ لذلك مَن حضره مِن الشيعة، وظهر من الناصبة سرورٌ وشماتة! فلم يلبث بذلك إلّا قليلاً حتّى بدت في ذلك المكان من وجهه لمعة بيضاء، فلم تزل تزيد أيضاً وتنمى حتّى أسفر وجهُه وأشرق، وافترّ السيّد ضاحكاً وأنشأ:

كــــذِب الزاعــــمون أنّ عــليّاً لن يُــنجّي مُــحبَّه مِــن هَـناتِ

قد ـ وربّــي ـ دخـلتُ جـنّةَ عـدنٍ وعــفا لي الإلهُ عــن ســيّئاتي

فــابشِروا اليــوم أولـياءَ عـليٍّ وتــولّوا عــلِيَّ حــتّى المماتِ

ثــمّ مِــن بــعدِه تــولّوا بَـنيهِ واحــداً بــعدَ واحـدٍ بـالصفاتِ

---

(١) رجال الكشّيّ: ١٨٥.

ثمّ أتْبع قوله هذا: أشهد أن لا إله إلّا الله حقّاً حقّاً، أشهد أنّ محمّداً رسولُ الله حقّاً حقّاً، أشهد أنّ عليّاً أميرُ المؤمنين حقّاً حقّاً، أشهد أن لا إله إلّا الله. ثمّ أغمض عينَيه بنفسه فكأنّما كانت روحه ذُبالةً طَفِئت، أو حصاةً سقطت. فانتشر هذا القول في الناس، فشهد جنازتَه ـ واللهِ ـ المُوافق.. والمُفارق(١).

* وتنطوي عقود السنين، فيواجه الإمام موسى الكاظم عليه السلام رجلاً ظاهره عبّاسيّ، وباطنه عُمَريّ.. روى الشيخ المفيد وغيره أنّ رجلاً مِن وُلْد عمر بن الخطّاب (أي مِن ذراريه) كان بالمدينة يُؤذي أبا الحسن موسىٰ عليه السلام ويسبّه إذا رآه ويشتم عليّاً عليه السلام، فقال له بعض جلسائه يوماً: دَعْنا نقتلْ هذا الفاجر! فنهاهُم عن ذلك أشدَّ النهي، وزَجَرهم أشدَّ الزجر.

فسأل عليه السلام عن العُمَريّ، فذُكر أنّه يزرع بناحيةٍ من نواحي المدينة، فركب إليه فوجَدَه في مزرعةٍ له، فدخل المزرعة بحماره، فصاح به العُمريّ:

ـ لا تُوطئْ زرعَنا.

فتوطّأه أبوالحسن عليه السلام بالحمار حتّىٰ وصل إليه، فنزل وجلس عنده وباسَطَه وضاحَكَه، وقال له:

---

(١) أمالي ابن الشيخ الطوسيّ: ٤٣، وكشف الغمّة للإربليّ ١: ٥٤٩، ومجالس المؤمنين للقاضي الشهيد نور الله التستريّ ٢: ٥١٥.

ـ كم غَرِمتَ في زرعك هذا؟ (أي كم أنفقتَ عليه؟)

ـ مئةَ دينار.

ـ وكم ترجو أن تُصيب؟

ـ لستُ أعلم الغيب.

ـ إنّما قلتُ كم ترجو أن يجيئك فيه؟

ـ أرجو أن يجيء مئتا دينار.

فأخرج أبوالحسن عليه السلام صُرّةً فيها ثلاثمائة دينار وقال: هذا زرعُك علىٰ حاله، واللهُ يرزقك فيه ما ترجو. فقام العمريّ فقبّل رأسه وسأله أن يصفح عن فارطه، فتبسّم إليه أبوالحسن وانصرف.. وراح إلى المسجد فوجد العمريَّ جالساً، فلمّا نظر إليه قال: اللهُ أعلمُ حيث يجعل رسالته. فوثب أصحابه إليه فقالوا: ما قضيّتُك؟! قد كنتَ تقول غير هذا، فقال لهم: قد سمعتُم ما قلتُ الآن. وجعل يدعو لأبي الحسن عليه السلام، فخاصموه وخاصَمَهم، فلمّا رجع أبوالحسن إلىٰ داره قال لجلسائه الذين سألوه في قتل العمريّ:

ـ أيُّما كان خيراً: ما أردتُم أم ما أردتُ؟! إنّني أصلحتُ أمرَه بالمقدار الذي عَرَفتُم، وكُفِيتُم به شرَّه[1].

* وهنا يحفظ لنا التاريخ موقفَ معاوية الثاني ذاك، ويكرمُه

---

(١) الإرشاد ٢٩٧، إعلام الورىٰ بأعلام الهدى ٢: ٢٦ ـ ٢٧، ـ عنهما: بحار الأنوار ٤٨: ١٠٢ ـ ١٠٣/ح٧.

ويُجلّه ويُكْبره على ما صدر منه مِن إعلاءٍ لكلمةِ الحقّ ودحضٍ لكلمة الباطل، فأصبح يفتخر به مَن هو على هواه ونهجه، ومنهم الشاعر الأَبيورديّ.

ومَن هو ـ يا تُرى ـ الشاعر الأبيورديّ؟

هوالمظفّر محمّد بنأحمد بن محمّد بن أحمد الملقّب بـ«الأُمويّ المُعاويّ» و«الأبيورديّ». قيل: ينتهي نسبه إلى عثمان بن عنبسة بن أبيسفيان صخر بن حرب الأمويّ.. وفيه يقول الأبيورديُّ في قصيدة يرثي بها الحسينَ عليه السلام:

وجَدّي.. وهْو عنبسةُ بن صَخْرٍ بريءٌ مِن يزيدَ ومن زيادِ[1]

لم تُعرف سنة مولده، لكنْ ذُكر أنّه مات بـ«أصبهان» في العشرين من شهر ربيع الأوّل، عام ٥٠٧ هـ.

والأبيورديّ نسبة إلى «أبيورد».. مدينة في خراسان. قال ياقوت الحمويّ: كان الأبيورديّ إماماً في كلّ فنٍّ من العلوم، عارفاً بالنحو واللّغة والنسب والأخبار، ويده باسطة في البلاغة والإنشاء، وله تصانيف في جميع ذلك، وشعره سائر مشهور[2].

كان الأُبيورديّ نسّابة، وكان يكتب في نَسَبه (المُعاويّ)، ويُنسَب

(١) معجم الأُدباء، لياقوت الحمويّ ١٧: ٢٣٥.

(٢) يراجع: أعيان الشيعة، للسيّد محسن الأمين العامليّ. والكُنى والألقاب، للشيخ عبّاس القمّيّ. وأدب الطفّ ٣: ١٠ وما بعدها. ومعجم الأُدباء للحمويّ ١٧: ٢٣٥ ـ ٢٤٤.

إلى (معاوية الأصغر) أو (معاوية الثاني) في عمود نسبه. أمّا وفاته.. فكانت بأصبهان، قضى بها مسموماً!

قيل: جاء إلى بغداد، وتولّى فيها الإشراف على خُزانة دار الكتب النظاميّة بعد القاضي أبي يوسف بن سليمان الإسفرائينيّ المتوفّى سنة ٤٩٨ هـ. وخاف أخيراً مِن سعي أعدائه عند الحاكم المستظهر العبّاسيّ المتوفّى سنة ٥١٢ هـ؛ لاتّهامه بهجو الخليفة ومدح صاحب مصر.. ففرّ إلى همدان، ثمّ سكن أصفهان، حتّى تُوفّي فجأة أو مسموماً سنة ٥٠٧ هـ.

وأخذ الأبيورديّ عن جماعة، وذكروا أنّه كان مِن أخبر الناس بعلم الأنساب، متصرّفاً في فنونٍ جمّةٍ من العلوم، وافرَ العقل.

له ديوان مطبوع مشهور، قسّمه إلى: «العراقيّات، والنجديّات، والوجديّات». وله تصانيف كثيرة، منها: كتاب (ما اختلف وائتلف في أنساب العرب)، و(تاريخ أبيورد ونَسا)، و(قبسة العجلان في نسب آل أبي سفيان)، و(الطبقات في كلّ فنّ)، و(تَعِلّة المشتاق إلى ساكني العراق)، و(المجتبى من المجتنى) في الرجال، و(نَهْزة الحافظ)، و(الدرّة الثمينة)، و(كوكب المتأمّل) يصف فيه الخيل، و(تعلّة المقرور) يصف فيه البرد والنيران، و(صهلة القارح) يردّ فيه على أبي العلاء المعرّيّ.

وكان فيه عزّة نفس وعلوّ همّة. ومن شعره:

يا مَن يُساجِلني وليس بمُدرِكٍ شَأْوي.. وأين له جلالةُ مَنصبي!
لا تَتعَبنّ فدونَ ما أمّلتَه خرطُ القَتادة وامتطاءُ الكوكبِ
المجدُ يعلم أيُّنا خيرٌ أباً فاسألْه تعلمْ أيَّ ذيحَسَبٍ أبي
جَدّي معاويةُ الأغرُّ سمَتْ به جُرثومةٌ مِن طينِها بُغض النبي
ووَرِثْتُه شرفاً رفعتُ منارَه فبنو أُميّةَ يفخرون به وبي

قيل: إنّه كان يفتخر بجدّه (معاوية الثاني)، ويرثي الإمام الحسين عليه السلام ويمدح أهل البيت عليهم السلام.

* ومِمّن مدح أهل البيت عليهم السلام أيضاً: مروان بن محمّد السروجيّ. قال المرزبانيّ: هو مِن بني أُميّة مِن أهل سروج بديار مُضَر، كان شيعيّاً.. وهو القائل:

يا بني هاشمِ بنِ عبدِ مَنافِ إنّني مَعْكُمُ بكلِّ مكانِ
أنتمُ صفوة الإلهِ ومنكم جعفرٌ ذو الجَناحِ والطَّيَرانِ
وعليٌّ وحمزةٌ أسدُ اللهِ وبنتُ النبيِّ والحسَنانِ
فلَئِن كنتُ مِن أُميّةَ إنّي لَبريءٌ منها إلى الرحمانِ[1]

وذكر هذه الأبيات القاضي صفيُّ الدين أحمد بن صالح اليمانيّ في كتابه (مطالع البدور ومجمع البحور) وقال: قال بعض الموالين للعترة الطاهرة، وهو مِن بني أُميّة (وذكر الأبيات..).

* وقال أبو الفرج الأصبهانيّ: أبو عَدِيّ الأمويّ شاعر بني أُميّة..

---

(١) معجم الشعراء، للمرزبانيّ: ٣٢١.

وهو عبد الله بن عمرو بن عديّ بن ربيعة بن عبد العزّى بن عبد شمس. كان يكره ما يُجري عليه بنو أُميّة من ذكْر عليّ بن أبي طالب عليه السلام وسبِّه على المنابر، ويُظهر الإنكار لذلك، فشهد عليه قوم من بني أُميّة ذلك وأنكروا عليه، ونَهَوه عنه فلم ينتهِ، فنفوه مِن مكّة إلى المدينة، فقال في ذلك:

شرَّدُوا بي عندَ امتداحي عليًا
ورأوا ذاك فيَّ داءً دَويّا

فو ربّي لا أبرح الدهرَ حتّىٰ
تمتلي مهجتي بحبّي عليّا

وبَنيهِ لحبِّ «أحمدَ» إنّي
كنتُ أحببْتُهم لحبّي النبيّا

حبُّ دِينٍ .. لا حبّ دنيا وشرُّ الـ
ـحبّ حبّاً يكون دُنْياويّا

صاغني اللهُ في الذُّؤابة منهم
لا زنيماً ولا سنيداً دَعِيّا

عَدَويّاً خالي صريحاً وجَدّي
عبدُ شمسٍ وهاشمُ أَبوَيّا

فســـــواءٌ عَـــلَـيَّ ـ لستُ أبــالي ـ

عَـــبْشميّاً دُعِــيتُ أَم هــاشميّا[1]

* وذاك الخَليعيّ أبو الحسن جمال الدين عليّ بن عبد العـزيز الموصليّ الحلّيّ، صار شاعرَ أهل البيت المفلَّق، نظم فيهم فأكثر، ومدحهم حتّى كان مجموع شعره ليس فيه إلّا مدحهم ورثاؤهم. ذاك كان قد وُلد من أبوَين ناصبيَّين.. كيف إذن؟

ذكر القاضي التُّستريّ الشهيد نور الله ﷺ في (مجالس المؤمنين: ٤٦٣) والسيّد الزنوريّ في (رياض الجنّة ـ الروضة الأُولى): أنّ أمَّ الخليعيّ كانت نذرَتْ إنْ رُزِقتْ ولداً تبعثه لقطع طريق السابلة من زوّار الإمام السبط الحسين عليه السلام وقَتلِهم! فلمّا وَلَدَتْه وبلغ أشُدَّه، ابتعثَتْه إلى جهةِ نَذْرها، فلمّا بلغ الخليعيّ إلى نواحي المسيّب بمقربةٍ من كربلاء المشرّفة.. طفق ينتظر قدومَ الزائرين، فاستولى عليه النوم، واجتازتْ عليه القوافلُ فأصابه القُتام الثائر (أي الغبار المتطاير من أثر مسيرهم)، فرأى فيما يراه النائم أنّ القيامة قد قامت، وقد أُمِر به إلى النار، ولكنّها لم تَمسَّه؛ لِما عليه مِن ذلك العثير الطاهر (تراب كربلاء)! فانتبه مرتدعاً عن نيّتِه السيّئة، واعتنق ولاءَ العترة، وهبط الحائرَ الشريف رَدحاً (أي سكنه زمناً).

---

(١) من مجموعة المرحوم الشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء (مختار من كتاب الأغاني).

ويُقال: إنّه نظم عندئذٍ بيتين:

إذا شئتَ النجاةَ فَزُرْ حُسَيناً لكي تَلقَى الإلهَ قريرَ عَينِ

فإنّ النار ليس تَمَسُّ جسماً عليه غُبارُ زُوّارِ الحسينِ

ولقد أخلص في الولاء حتّى حظيَ بعناياتٍ خاصّةٍ من ناحية أهل البيت عليهم السلام .. كيف كان ذلك؟

يقول الميرزا النوريّ في كتابه (دارالسلام: ١٨٧، الطبعة القديمة) نقلاً عن (الحبل المتين في معجزات أمير المؤمنين) للسيّد شمس‌الدين محمّد الرضويّ: إنّ الخليعيّ لمّا دخل الحرمَ الحسينيّ، أنشأ قصيدةً في الحسين عليه السلام وتلاها عليه، وفي أثنائها وقع عليه سِتارٌ مِن الباب الشريف، فسُمّيَ بـ«الخَليعيّ» أو «الخَلْعيّ»، وهذان اللّقبان يتخلّص بهما في شعره (أي يختم بهما قصائده).

وفي (دار السلام: ١٨٣) أيضاً عن (الحبل المتين) كذلك، عن المولى محمّد الجيلانيّ أنه جرَتْ مفاخرة بين الخليعيّ وبين ابن حمّاد اللّيثيّ الواسطيّ الشاعر، وحَسِب كلٌّ أنّ مديحه لأمير المؤمنين عليه السلام هو أحسنُ مِن مديح الآخَر، فنظَمَ كلٌّ قصيدةً وألقَياها في الضريح العلويّ المقدّس، مُحكِّمين الإمامَ عليه السلام، فخرجَتْ قصيدة الخليعيّ مكتوباً عليها بماء الذهب: أحسَنْت، وعلى قصيدة ابن حمّاد مثلَه (أي: أحسنت) ولكنْ بماء الفضّة، فتأثّر ابن حمّاد وخاطب أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: أنا مُحبّك القديم،

وهذا حديث العهد بولائك. ثمّ رأى ابنُ حمّاد أميرَ المؤمنين عليه السلام في المنام وهو يقول له: إنّك منّا، وإنّه حديث عهدٍ بأمرنا، فمِن اللّازم رعايتُه. انتهىٰ ملخّصاً.

وللخليعيّ قصائد كثيرة.. منها: غديريّة مَدَح فيها أمير المؤمنين عليه السلام وانتصر فيها لحقّه، ومنها حسينيّة رثىٰ بها سيّد الشهداء عليه السلام وهي مفجعة حقّاً وعلى درجةٍ رفيعة من البلاغة.

تُوفّي سنة ٧٥٠ هجريّة، فهو من أبناء القرن الثامن، وله قبر يُزار[١].

* وكثير من الغيارى الذين رأوْا الظلم فرفضوه، وآبوا إلى الحقّ فصدعوا به ولم يطيقوا الباطل.. كتب السيّد ابن طاووس حول مقتل الحسين عليه السلام ما جرى بعد شهادته:

قال: وتسابق القومُ على نهب بيوت آل الرسول، وقرّةِ عين البتول، حتّى جعلوا ينتزعون ملحفة المرأة عن ظَهرها، وخرجن بنات آل رسول الله صلى الله عليه وآله وحريمه يتساعدن على البكاء ويندبن لفراق الحماة والأحبّاء.

* وروى حميد بن مسلم قال: رأيت امرأةً من بني بكر بن وائل كانت مع زوجها في أصحاب عمر بن سعد، فلمّا رأت القوم قد اقتحموا على نساء الحسين عليه السلام وفسطاطهنّ وهم يسلّبونهنّ،

---

(١) الغدير ٦: ٩ ـ ١٩/الرقم ٦٦؛ أدب الطفّ أو شعراء الحسين عليه السلام ٤: ٢٠٩ ـ ٢٢١.

أخذت سيفاً وأقبلتْ نحو الفسطاط وقالت: يا بكر بن وائل! أتُسلَب بناتُ رسول الله ؟! لا حُكمَ إلّا لله، يا لَثارات رسول الله! فأخذها زوجُها وردّها إلى رَحْله[1].

* وكتب قطب الدين الراونديّ راوياً عن أبي القاسم البغداديّ عن زُرارة.. أو زرافة قال:

أراد المتوكّل أن يمشي عليّ (الهادي) بن محمّد بن الرضا عليهم السلام يوم السلام، فقال له وزيره: إنّ في هذا شناعةً عليك وسوءَ مَقالة، فلا تفعل! قال المتوكّل: لابدّ من هذا. قال الوزير: فإنْ لم يكن بُدٌّ من هذا فتقدّم بأن يمشيَ القوّاد والأشراف كلّهم؛ حتّى لا يظنَّ الناس أنّك قصدتَه بهذا دون غيره.

ففعل.. ومشى الإمام الهادي عليه السلام، وكان الصيف، فوافى الدِّهليز وقد عرق. قال: فلقيتُه فأجلسته في الدِّهليز ومسحتُ وجهه بمنديل وقلت: إنّ ابن عمّك (أي المتوكّل) لم يقصدك بهذا دون غيرك، فلا تجدْ عليه في قلبك (أي لا تغضبْ عليه). فقال: إيهاً عنك، «تَمتَّعُوا في دارِكم ثلاثةَ أيّامٍ ذلك وَعْدٌ غيرُ مَكْذوب»!

قال زرافة: وكان عندي معلّم يتشيّع، وكنتُ كثيراً أُمازحه بالرافضيّ، فانصرفت إلى منزلي وقت العشاء وقلت له: تعالَ يا رافضيّ حتّى أُحدّثك بشيءٍ سمعتُه اليوم مِن إمامكم. قال لي:

---

(١) اللهوف على قتلى الطفوف ٥٧ ـ وعنه: بحار الأنوار ٤٥: ٥٨.

وما سمعت؟! فأخبرته بما قال، فقال: أقول لك فاقبلْ نصيحتي. قلت: هاتِها، قال: إن كان عليٌّ بن محمّد قال بما قلت، فاحترزْ واخزنْ كلَّ ما تملكه؛ فإنّ المتوكّل يموت أو يُقتَل بعد ثلاثة أيّام!

فغضبتُ عليه وشتمتُه وطردته مِن بين يدَيّ.. فخرج. فلمّا خلوتُ بنفسي.. تفكّرت وقلت: ما يضرُّني أن آخذ بالحزم؛ فإن كان مِن هذا شيء كنتُ قد أخذت بالحزم، وإن لم يكن لم يضرَّني ذلك. قال: فركبت إلى دار المتوكّل، فأخرجتُ كلَّ ما كان لي فيها، وفرّقتُ كلَّ ما كان في داري إلى عند أقوام أثق بهم، ولم أترك في داري إلّا حصيراً أقعد عليه.

فلمّا كانت اللّيلة الرابعة.. قُتل المتوكّل وسَلِمتُ أنا ومالي، وتشيّعت عند ذلك، وصرتُ إليه (أي إلى الإمام الهادي عليه السلام) ولزمتُ خدمتَه، وسألتُه أن يَدْعُوَ لي، وتولَّيتُه حقَّ الولاية[1].

* ومن الراضي العبّاسيّ خرج توقيع أمر أن يُقرأ على الحنابلة، يُنكِر عليهم فعلَهم، ويوبّخهم باعتقاد التشبيه وغيره.. فمنه تارةً أنّكم تزعمون أنّ صورة وجوهكم القبيحة السمجة على مثال ربِّ العالمين، وهيئتَكم الرذلة على هيئته، وتذكرون الكفَّ والأصابع والرجلينِ والنعلَين المذهّبين والشعر القطط، والصعودَ إلى السماء

---

(١) الخرائج والجرائح ١: ٤٠١ ـ ٤٠٣/ح٨ ـ الباب ١١، وعنه: بحار الأنوار ٥٠: ١٤٧ ـ ١٤٨/ح٣٢.

والنزول إلى الدنيا.. تبارك اللهُ عمّا يقول الظالمون والجاحدون علوّاً كبيراً، ثمّ طَعْنُكم على خيار الأئمّة ونسبتكم شيعةَ آل محمّد صلّى الله عليه [وآله] وسلّم إلى الكفر والضَّلال! ثمّ استدعاؤكم المسلمين إلى الدين بالبدع الظاهرة، والمذاهب الفاجرة، التي لا يشهد بها القرآن، وإنكاركم زيارةَ قبور الأئمّة، وتشنيعكم على زوّارها بالابتداع، وأنتم ـ مع ذلك ـ تجتمعون على زيارة قبر رجلٍ من العوامّ ليس بذي شرفٍ ولا نسبٍ ولا سببٍ برسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم، وتأمرون بزيارته وتدّعون له معجزاتِ الأنبياء، وكرامات الأولياء! فلعنَ اللهُ شيطاناً زيّن لكم هذه المنكَرات! وما أغواه!!(١)

* ويبلغ الأمر أن يقتل المنتصرُ بالله العبّاسيّ أباه المتوكّل، وليس الأمر طبيعيّاً ولا هو بالهيّن، فهنالك أسباب كثيرة دعت إلى ذلك..

فالمتوكّل تحمّل جرائم عظمىٰ وكثيرة.. منها:

ـ إسرافُه وبذخه وبناؤه القصور لنفسه.. كلّ ذلك من بيت مال المسلمين البائسين الفقراء.

ـ بغضه لأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام ولأهل بيته عليهم السلام، حتّى أمر بضرب كلّ محدِّثٍ بفضائل أهل البيت عليهم السلام ألف سوط، ومصادرة أموال مَن يتولّاهم.

---

(١) الكامل في التاريخ ٨: ٣٠٨.

ـ سكرُه ومجونه وعربدته ولعبه بالنرد، وتخيّره للجواري الكثيرة، وإرساله إلى أرمينية مَن يأتيه بكلب.

ـ حقدُه على آل أبي طالب حقداً أسود.

ـ تلاعبه بالقرآن الكريم، وتأييده للقياس.

ـ تجميع المضحكين والماجنين والمُغنّين من حوله، وتوزيعه عليهم الخِلَعَ والهدايا والهبات من بيت المال!

ـ إيواؤه الناصبين والمبغضين لأهل البيت عليهم السلام من حوله.

ـ كَرْبُه وهدمه لقبر الإمام الحسين عليه السلام ومحوه لآثاره مرّات عديدة!!

ـ إيذاؤه للعلويّين وإساءته لهم، وقتل الكثير منهم.

ـ منعُه الناسَ عن زيارة الإمام الحسين عليه السلام، وتتبّعُ آل أبي طالب والزائرين، والنداء عليهم ببراءة الذمّة ممّن زار قبر الإمام الحسين سلام الله عليه.

ـ حقده الباطنيّ والظاهريّ على أهل البيت عليهم السلام، فمرّةً يأمر بحرث قبر الإمام الحسين عليه السلام ومرّةً يأمره بنبشه وأخرى بهدمه، ومرّةً أُخرى بمحو جميع آثاره، وأخرى بمنع زوّاره وقتلهم أو تقطيعهم. وكان له مواقف مشينة مع الإمام عليّ الهادي عليه السلام، يستدعيه ويحاول توهينه ويحظره ويسجنه ويضيّق عليه بالإقامة الجبريّة، حتّى دعا الإمامُ عليه السلام عليه بالهلاك.

ـ جرائمه بالقتل، فأحرق مدينة «تفليس» وأحرق معها خمسين ألف إنسانٍ فيها.

ـ تمكينه السفهاءَ والمنحرفين من رقاب الناس، ومنهم: يحيى ابن أكثم المشهور باللواط، فقد نصّبه قاضي القضاة على البلاد كلّها. فيما حبس الأخيار وتعقّبهم بالتشريد والقتل!

إلى العديد من الجرائم التي يصعب إحصاؤها، ويطول بيانها. يراجع في ذلك على سبيل المثال لا الحصر:

ـ التذكرة الحمدونيّة، لابن حمدون ٣: ٢٥٢، ٤: ١٨٧، ٦: ٢٠١، ٧: ٢٣٧ ـ ٢٣٨، ٩: ٢٢٨، ٤٢٣.

ـ الفخريّ في الآداب السلطانيّة، لابن الطقطقا: ٢٣٧.

ـ نشوار المحاضرة، للتنوخي ١: ٢٦٤ ـ ٢٦٥.

ـ ربيع الأبرار، للزمخشري ١: ٧٤ ـ ٧٥، ٢٧١ ـ ٢٧٢، ٥٣٧ ـ ٥٣٨، ٣: ٦٦٣ ـ ٦٦٤، ٢: ٦٣٠.

ـ الكامل، لابن الأثير ٧: ١٩ ـ ٢٠، ٥٤ ـ ٥٦.

ـ المُنتظَم، لابن الجوزي ٦: ٤٤٧، ٤٨٦، ٥٣٣.

ـ مقاتل الطالبيّين، لأبي الفرج الأصفهانيّ: ٥٩٧ ـ ٥٩٩.

ـ تاريخ الطبري ١١: ٦٠ ـ ٦٧.

ـ مروج الذهب، للمسعودي ٤: ٨٦، ٩٣، ٩٦ ـ ٩٩.

ـ البدء والتاريخ، للبلخيّ ٢: ٣٠١.

ـ وَفَيات الأعيان، لابن خلّكان ٢: ١٦٣ ـ ١٦٧، ٣: ١١٢ ـ ١١٤، ٢٧٢ ـ ٢٧٣، ٥: ٥٦، ٩٩ ـ ١٠٢، ٦: ٤٠٠.

ـ البداية والنهاية، لابن كثير ١٠: ٣٤٧، ٣٥٧، ٣٨٣.

ـ مقتل الحسين عليه السلام، للخوارزميّ الحنفيّ ٢: ٥٤...

وتلك تكفي لأن تأخذ المسلمَ غيرتُه فتدفعه إلى قتل ذلك المتسلّط على الناس بالظلم والفساد، وكانت هنالك أسباب أخرى لم يصبر عليها المنتصر بالله:

منها: أنّ المتوكّل أحضر ابنه المنتصر وأهانه، وأمر بضربه في رأسه وصفعه، وصرّح بعزله عن ولاية العهد من بعد أخيه المعتزّ. هذا بعد أن جفاه، وكان جماعة قد أغروه به[1].

فزاد حقده على أبيه، وحَنَقُه وغضبه عليه.. يضاف إلى ذلك بغض المتوكّل للإمام عليّ ولآل علي عليه وعليهم السلام وميل المنتصر لأهل البيت عليهم السلام[2].

يضاف إلى ذلك ما ذكره ابن الأثير في (الكامل) حيث كتب:

ـ ثمّ دخلت سنة ٢٣٦هـ.. وفي هذه السنة أمر المتوكّل بهدم قبر الحسين بن عليّ عليه السلام وهدم ما حوله من المنازل والدور، وأن يُبذر ويُسقىٰ موضع قبره، وأن يُمنَع الناس مِن إتيانه، فنادى [عاملُ صاحب الشرطة] بالناس في تلك الناحية: مَن وجدناه عند قبره بعد

---

(١) البداية والنهاية ١٠: ٣٨٥ ـ وقائع سنة ٢٤٧. تاريخ اليعقوبيّ ٢: ٤٩٢.

(٢) الفخريّ في الآداب السلطانيّة ٢٣٧، التذكرة الحمدونيّة ٢: ١٩٥.

ثلاثة حبسناه في المُطْبِق! فهرب الناس وتركوا زيارته، وحُرث القبر وزُرع.

وكان المتوكّل شديد البغض لعليّ بن أبي طالب عليه السلام ولأهل بيته، وكان يقصد من يبلغه أن يتولّى عليّاً وأهله بأخذ المال والدم، وكان من جملة ندماء المتوكّل «عُبادة» المخنّث، وكان يشدّ على بطنه تحت ثيابه مِخَدّة، ويكشف رأسه وهو أصلع، ويرقص بين يدَي المتوكّل، والمغنّون يغنّون:

قد أقبل الأصلعُ البطينْ خليفة المسلمين

يحكي بذلك عليّاً عليه السلام، والمتوكّل يشرب ويضحك!

ففعل ذلك يوماً والمنتصر حاضر، فأومأ إلى عبادة يتهدّده، فسكت عبادة خوفاً منه، فسأله المتوكّل: ما حالك؟ فقام وأخبره، فقال المنتصر لأبيه: يا أميرالمؤمنين! إنّ الذي يحكيه هذا الكلب ويضحك منه الناس، هو ابن عمّك، وشيخ أهل بيتك، وبه فخرُك، فكُلْ أنت لحمَه إذا شئتَ ولا تُطعِمْ هذا الكلبَ وأمثالَه منه.

فقال المتوكّل للمغنّين: غنّوا جميعاً:

غار الفتىٰ لابنِ عمِّهِ رأسُ الفتىٰ في حِرِ أُمِّهِ

فكان هذا من الأسباب التي استحلّ بها المنتصر قَتْلَ أبيه المتوكّل[1].

---

(١) الكامل في التاريخ ٧: ٥٥ ـ ٥٦، المختصر في أخبار البشر لأبي الفداء ١: ٣٨، تاريخ الطبريّ ١١: ٦٢.

ويذكر الشيخ الطوسيّ سبباً آخر فيقول:

قال ابن حشيش: قال أبو المفضّل: إنّ المنتصر سمع أباه يشتم فاطمة (الزهراء عليها السلام)، فسأل رجلاً من الناس عن ذلك، فقال له: قد وجب عليه القتل، إلّا أنّه مَن قتلَ أباه لم يَطُلْ له عُمْر، قال المنتصر: ما أُبالي إن أطعتُ اللهَ بقتله أن لا يطول لي عُمْر. فقتله... وعاش بعده سبعة أشهر[1].

ويذكر حادثةَ هلاك المتوكّل على يد ثلّةٍ قادها المنتصرُ بالله؛ انتقاماً من أبيه الهاتك لحرمات الله تعالى في قصّة الانتقام:

- اليعقوبيُّ في تاريخه ٢: ٤٩٢.
- المسعوديّ في مروج الذهب ٤: ١١٨، ١٣٠.
- ابن خلّكان في وفيات الأعيان ١: ٣٥٠.
- ابن الطقطقا في الفخريّ ٢٣٧.
- ابن الجوزيّ في المنتظم ٧: ٧.
- البلخي في البدء والتاريخ ٢: ٣٠٢.
- ابن الأثير في الكامل في التاريخ ٧: ٩٥.
- أبو الفداء في المختصر في أخبار البشر ١: ٣٥٥... وغيرهم.

وأصبح المنتصر بالله الحاكمَ في دولة بني العبّاس.. فكيف كان، وماذا فعل؟!

---

(١) أمالي الطوسيّ ٣٢٧/ح٦٥٥ (طبعة مؤسّسة البعثة) ـ عنه: بحار الأنوار ٤٥: ٣٩٦ ـ ٣٩٧/ح٤.

ـ في ثاني يوم من حاكميّته ولّى المظالم لأبي عُمرة أحمد بن سعيد مولى بني هاشم[١].

ـ عطف على آل أبي طالب وأحسن إليهم وفرّق فيهم الأموال[٢]، وكان آل أبي طالب قبل حكومته في محنةٍ عظيمة وخوفٍ على دمائهم، قد مُنِعوا زيارة قبر الحسين والغريّ من أرض الكوفة، وكذلك مُنع غيرهم من شيعتهم حضورَ هذه المشاهد، وكان الأمر بذلك من المتوكّل سنة ٢٣٦... إلى أن استخلف المنتصر، فأمّن الناس، وتقدّم بالكفّ عن آل أبي طالب وتركِ البحث عن أخبارهم، وأن لا يُمنعَ أحد زيارةَ الحيرة لقبر الحسين رضي الله تعالى عنه ولا قبر غيره من آل أبي طالب، وأمر بردّ «فدك» إلى وُلْد الحسن والحسين، وأطلق أوقاف آل أبي طالب، وترك التعرّض لشيعتهم، ودفع الأذى عنهم[٣].

ـ وكان المنتصر يُظهر الميلَ إلى أهل البيت عليهم السلام، ويخالف أباه في أفعاله، فلم يَجْرِ منه على أحدٍ منهم قتلٌ أو حبسٌ ولا مكروه فيما بلغ[٤].

ـ أعاد القبور في أيّامه إلى أن خرج الداعيان الحسنُ ومحمّد ابنا

---

(١) تاريخ الطبري ١١: ٨١، البداية والنهاية ١٠: ٣٨٨.

(٢) تسلية المُجالس وزينة المجالس ٢: ٤٧٤.

(٣) مروج الذهب ٤: ١٣٥.

(٤) مقاتل الطالبيّين ٦٣٦، تاريخ الطبري ١١: ٨١.

زيد بن الحسن، فأمر محمّداً بعمارة المشهدين مشهد أمير المؤمنين عليّ عليه السلام ومشهد أبي عبدالله الحسين عليه السلام، وأمر بالبناء عليهما وتشييدهما، وبعد ذلك زِيد فيهما[١].

وتنفّس الناس الصُّعَداء، وانتشرالأمان، وتجاهر الشيعة بشعائرهم الإسلاميّة الموالية للنبيّ وآله صلوات الله وسلامه عليه وعليهم.

(١) تسلية المُجالس وزينة المَجالس ٢: ٤٧٤، مقتل الحسين عليه السلام للخوارزميّ ٢: ٥٤.

الخاتمة

وها نحن على مشارف نهاية هذا الحديث.. رأينا أن نقف وقفةً وجيزة. حيث أحببنا أن نقول: إنّ هنالك قدرتَين مصدرهما واحد:

القدرة الإلهيّة: وهي ذاتيّة.. فالله تعالى هوالقادر على كلّ شيء، وهو سبحانه يقضي ويحكم بما يشاء كيف يشاء، وله في كلّ ذلك غاية وحكمة وإرادة.

والقدرة الثانية: هي القدرة البشريّة (أو قدرة الاختيار).. وهي هبةٌ من الله الخالق البارئ جلّت عظمتُه، وتتحرّك هذه القدرة ضمن دائرة المشيئة الربّانيّة، لا تخرج عنها. فالإنسان.. لا يحكمه الجبرُ في كلّ حالاته ولا يُرخّصه التفويضُ في جميع شؤونه، إنّما هو في شأن «لا جبرَ ولا تفويض، ولكنْ أمرٌ بين أمرَين» ـ كما قال الإمام جعفر الصادق عليه السلام[1].

صحيح.. أنّ الإنسان لا اختيار له في مَن يكون أبوه أو مَن تكون أُمّه، كما لا اختيار له في خلقته ومحيطه وبيئته، وما لا اختيارَ له فيه

---

(١) التوحيد، للشيخ الصدوق: ٣٦٢/ ح٨ ـ الباب ٥٩، عنه: بحار الأنوار ٥: ١٧/ ح٢٧.

لا يُحاسَبُ عليه. ولكن.. للإنسان اختياراتُه الكثيرة، وهي تعتمد على قدرة الله تعالى، وعلى إخلاص العبد وسعيه.

فيستطيع المرء أن يختار العقيدةَ الحقّة والمذهبَ الصحيح، إذا أراد، وإذا توكّل على القدرة الإلهيّة اللّامتناهية، وتوسّل إلى الله عزّ شأنُه بالوسائل الشريفة، واتّجه إلى ربّه لا يميل إلى أحدٍ سواه، وتوجّه بقلبٍ مخلصٍ متجرّدٍ عن التعصّبات العمياء. فحاشا لله ـ وهو الرؤوف الرحيم ـ أن يُسْلِمه إلى أعاصير الشيطان، ووساوسه وأضاليله، وسبحان الله ـ وهو القادر القدير ـ أن يعجز عن انتشاله مِن مزالق الهلاك والغواية.

يقول الله عزّ من قائل في محكم كتابه المجيد: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَالِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنْزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * تُولِجُ ٱللَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱللَّيْلِ وَتُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[1].. قال الإمام الصادق عليه السلام في ظلّ قوله تعالىٰ: ﴿تُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ﴾: «يعني المؤمنَ من الكافر، والكافرَ مِن المؤمن»[2].

وفي تفسير القمّيّ.. في ظلّ قوله تعالى: ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ

---

(١) سورة آل عمران: ٢٦ و٢٧.

(٢) تفسير نور الثقلين ١: ٣٢٥/ح٨٠.

وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَيُحْيِي ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾[1]، عن أهل البيت عليهم السلام: «.. يُخرج المؤمنَ من الكافر، ويُخرج الكافرَ مِن المؤمن..»[2].

أجل.. فما عذرُ الكافر وقد تجلّت أمامَه حقائق الإيمان، وما عذرُنا وقد رأينا أنّ كثيراً وكثيراً جدّاً مِن الذين أصبحوا مؤمنين.. قد وُلدوا أو نشأوا أو عاشوا في محيطات الكفر والضلالة والانحراف، فصانوا أنفسهم وتثبّتوا على التوحيد وآمنوا بالله ورسوله، بل وصدعوا بالحقّ ورفعوا الحقائق وحاججوا بالخير والصواب والفضيلة والهداية.. حتّى أُوذوا في الله، وعانَوا ما عانوا في سبيل الله، فمنهم مَن قضى نحبَه صابراً شهيداً، ومنهم مَن انتظر صابراً، حتّى وافاه اللهُ أجَلَه فانقلب إلى ربّه مسروراً.

وهنا نتساءل.. إذن، أين القهرُ الاجتماعيّ والمحيطيّ الذي يتذرّع الجبريّة بأنّه حاكمٌ على الجميع؟! وأين الجبريّة مِن مؤمن آل فرعون وزوجته، ومِن آسية امرأةِ فرعون.. ومِن فتية الكهف.. ومن سلمان الفارسيّ المحمّديّ وبلال الحبشيّ، والسيّد الحِمْيريّ.. ومِن معاوية الثاني.. وغيرهم؟!

إنّ هؤلاء أمسَوا شواهدَ وحججاً على مَن يقول بالقهر الاجتماعيّ

---

(١) سورة الروم: ١٩.

(٢) تفسير القمّيّ ٢: ١٥٣ ـ في ظلّ الآية الكريمة.

والحتم الوراثيّ والقاهر المحيطيّ، فقد أصبح هؤلاء حجّةً على الآخرين أنّ الإنسان يستطيع ـ بلطفِ الله ورحمته، وجميل عنايته ـ أنْ يكسر أطواق الضَّلال، ويعيش حرّاً في داخله لا يخضع لأصنام الشرك والإلحاد، ولا يميل مع عواصف الأهواء والمفاسد، ولا ينساق في تيّار العصبيّات والنزاعات الضالّة.

إنّ الحياة ذات ابتلاءات وامتحانات.. والله تبارك وتعالى ـ وقد أقام علينا حُجَجَه البالغة ـ يختبرنا ويبتلينا ليميّزنا، وهو القائل جَلّ وعَلا: **﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لاَ يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَاذِبِينَ﴾**[١]. فإنّما هو امتحان، يُراد له: الثبات على الإيمان، والتقوى، والصبر والإحسان.. حينذاك يكون العبد في حِصن الله تعالى، ومَن كان في حصن الله عزّ وجلّ أمِنَ ونجا، فكيف إذا كان الله معنا على أن نكونَ نحن معه؟! وهو القائل جلّت آلاؤه: **﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا وَٱلَّذِينَ هُم مُحْسِنُونَ﴾**[٢]، **﴿وَٱلَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾**[٣].

فالأمر يتطلّب الجهاد، والصبرُ من الجهاد، والإيمانُ يُعطي ذلك

---

(١) سورة العنكبوت: ٢ و٣.

(٢) سورة النحل: ١٢٨.

(٣) سورة العنكبوت: ٦٩.

كلّه. ومن الإيمان أنْ نسلِّمَ لله تعالى تسليماً، فنرضى بقِسَمِه، ولا نعترضَ على قضائه، ولا نتبرّم مِن بلائه أو ابتلائه، بل نُحسن الظنّ بما يقضي ويشاء، فهو الحكيم.. وكان مِن حكمته جلّت عظمتُه أن يُخرج الحيّ مِن الميّت، فكان معاوية الثاني مِن صلب يزيد، كما كان السيّد الحميريّ مِن أبوَينِ ناصبيَّين، وسلمان الفارسيّ المحمّديّ مِن أبوَين مجوسيَّينِ ضالَّين، كما كان فتية الكهف يعيشون في جوّ الإلحاد، وكذا مؤمن آل فرعون (حزقيل) وزوجته، وامرأة فرعون.. وكثيرٌ ممّن انتفض على الضلال وهو في أجوائه ﴿**قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ**﴾[1].

فلم يجبر الله تعالى أحداً على الهداية، ليعتذر أهلُ الضلال أنّ الله أجبرهم على الغواية. وإنّما هو الامتحان.. يفوزُ به المحسنون إلى أنفسهم، المختارون لها أسبابَ السعادة الدائمة والنعيم المقيم.

* كتب رجلٌ إلى أبي ذرّ رضي الله عنه: يا أبا ذرّ، أطْرِفني بشيء من العلم. فكتب إليه: إنّ العلم كثير، ولكنْ إن قدرتَ أن لا تُسيء إلى مَن تحبّه، فافعلْ. فقال له الرجل: وهل رأيتَ أحداً يُسيء إلى من يُحبّه؟! فقال له: نعم، نفسُك أَحبُّ الأنفس إليك، فإذا أنت عصيتَ اللهَ فقد أسأتَ إليها[2].

فهنيئاً للذين مزّقوا شِباك الكفر وحطّموا قيودَ العصبيّة الجاهليّة،

---

(١) سورة الأنعام: ١٤٩.

(٢) الكافي ٢: ٣٣٢، باب محاسبة العمل /ح ٢٠، والرواية عن الإمام الصادق عليه السلام.

وأزاحوا عن عيونهم غشاوة الجهل.. فمضوا مؤمنين مطمئنّين، وهنيئاً للذين قَتلوا في نفوسهم حبَّ الدنيا من الجاه والأموال والتكاثر والتفاخر.. فمضَوا أعزّاءَ مختارين، سعداء مَرْضيّين.

* رُوي أنّ عيسى عليه السلام كان مع بعض الحَواريّين في بعض سياحته، فمرّوا على بلد.. فلمّا قربوا منه وجدوا كنزاً على الطريق، فقال مَن معه: إئذنْ لنا يا رُوحَ الله أن نقيم هاهنا ونحوز هذا الكنز، لئلّا يضيع. فقال عليه السلام لهم: أقيموا هاهنا، وأنا أدخل البلد ولي فيه كنز أطلبه.

فلمّا دخل البلدَ وجال فيه.. رأى داراً خَرِبةً فدخلها، فوجد فيها عجوزة، فقال لها: أنا ضيفُكِ في هذه اللّيلة، وهل في هذه الدار أحد غيرُكِ؟ قالت: نعم، لي ابنٌ مات أبوه وبقيَ يتيماً في حِجْري، وهو يذهب إلى الصحارى ويجمع الشوك ويأتي البلد فيبيعها، ويأتيني بثمنها نتعيّش به.

فهيّأتْ لعيسى عليه السلام بيتاً (أي حُجرة).. فلمّا جاء ولدها قالت له: بعث الله لنا في هذه اللّيلة ضيفاً صالحاً تسطع من جبينه أنوارُ الزهد والصلاح، فاغتنمْ خدمتَه وصحبتَه. فدخل الابن على عيسى عليه السلام وخدمَه وأكرمه، فلمّا كان في بعض اللّيل.. سأل عيسى عليه السلام الغلامَ عن حاله ومعيشته وغيرها، فتفرّس عليه السلام فيه آثارَ العقل والفطانة والاستعداد للترقّي على مدارج الكمال.. لكنْ وجد فيه أنّ قلبه مشغول بِهمٍّ عظيم، فقال له: يا غلام، أرى قلبك مشغولاً بهمٍّ

لا يبرح، فأخبِرْني به، لعلّه يكون عندي دواء دائك. فلمّا بالغ عيسى عليه السلام (أي في السؤال) قال الغلام: نعم، في قلبي همٌّ وداء لا يَقْدر على دوائه أحد إلّا الله تعالى. فقال: أخبرني به، لعلّ الله يُلهمني ما يُزيله عنك. فقال الغلام: إنّي كنت يوماً أحمل الشوك إلى البلد.. فمررتُ بقصرِ ابنة الملك، فنظرتُ إلى القصر فوقع نظري عليها، فدخل حبُّها شغاف قلبي، وهو يزداد كلّ يوم، ولا أرى لذلك دواءً إلّا الموت. فقال عيسى عليه السلام: إن كنتَ تريدها.. أنا أحتال لك حتّى تتزوّجها.

فجاء الغلام إلى أُمّه وأخبرها بقوله، فقالت أُمّه: يا ولدي! إنّي لا أظنّ هذا الرجلَ يَعِد بشيءٍ لا يمكنه الوفاء به، فاسمعْ له وأطِعْه في كلّ ما يقول. فلمّا أصبحوا قال عيسى عليه السلام للغلام: اذهب إلى باب المَلِك.. فإذا أتى خواصُّ الملك ووزراؤه ليدخلوا عليه قل لهم: أبلغوا الملكَ عنّي أنّي جئتُه خاطباً كريمتَه. ثمّ ائتِني وأخبرني بما جرى بينك وبين الملك.

فأتى الغلامُ باب الملك.. فلمّا قال ذلك لخاصّة الملك ضحكوا وتعجّبوا من قوله، ودخلوا على الملك وأخبروه بما قال الغلام، مستهزئين به. فاستحضره الملك.. فلمّا دخل على الملك وخطب ابنته، قال الملك ـ مستهزئاً به ـ: أنا لا أعطيك ابنتي إلّا أن تأتيَني من اللآلي واليواقيت والجواهر الكبار.. كذا وكذا. ووصف له ما لا يوجد

في خزانة ملكٍ من ملوك الدنيا. فقال الغلام: أنا أذهب وآتيك بجواب هذا الكلام.

فرجع إلى عيسى عليه السلام فأخبره بما جرى، فذهب به عيسى عليه السلام إلى خَرِبةٍ كانت فيها أحجار، ومَدَرٌ كبار، فدعا اللهَ تعالى فصيّرها كلّها مِن جنس ما طلب الملك وأحسن منها. فقال: يا غلام، خذ منها ما تريد، واذهب به إلى الملك.

فلمّا أتى الملكَ بها.. تحيّر الملكُ وأهلُ مجلسه في أمره، وقالوا: لا يكفينا هذا. فرجع إلى عيسى عليه السلام فأخبره، فقال: اذهب إلى الخربة وخذْ منها ما تريد، واذهب بها إليهم. فلمّا رجع بأضعاف ما أتى به أوّلاً زادت حيرتُهم، وقال الملك: إنّ لهذا شأناً غريباً! فخلا بالغلام واستخبره عن الحال، فأخبره بكلّ ما جرى بينه وبين عيسى عليه السلام وما كان من عشقه لابنته، فعلم الملك أنّ الضيف عيسى، فقال: قُلْ لضيفك يأتيني ويزوّجك ابنتي.

فحضر عيسى عليه السلام وزوّجها منه، وبعث الملك ثياباً فاخرة إلى الغلام فألبسها إيّاه، وجمع بينه وبين ابنته تلك اللّيلة، فلمّا أصبحا طلب الملكُ الغلامَ وكلّمه، فوجده عاقلاً فهماً ذكيّاً، ولم يكن للملك ولد غير هذه الابنة.. فجعل الغلامَ وليَّ عهده ووارث مُلكه، وأمر خواصّه وأعيان مملكته ببيعته وطاعته.

فلمّا كانت اللّيلة الثانية مات الملك فجأةً، وأجلسوا الغلامَ على

سرير الملك وأطاعوه، وسلّموا إليه خزائنه. فأتاه عيسى عليه السلام في اليوم الثالث ليودّعه، فقال الغلام: أيُّها الحكيم، إنّ لك عَلَيّ حقوقاً لا أقوم بشكر واحدٍ منها لو بقيتُ أبدَ الدهر.. ولكنْ عَرَض في قلبي البارحةَ أمرٌ لو لم تُجبني عنه لا أنتفع بشيءٍ ممّا حصّلتَها لي. فقال: وما هو؟ قال الغلام: إنّك إذا قدرت على أن تنقلني من تلك الحالة الخسيسة إلى تلك الدرجة الرفيعة في يومين.. فلِمَ لا تفعل هذا بنفسك؟ وأراك في تلك الثياب وفي هذه الحالة! فلمّا أحفى في السؤال (أي ألحّ عليه)، قال له عيسى عليه السلام: إنّ العالِمَ بالله وبدار كرامته وثوابه، والبصير بفَناء الدنيا وخسّتها ودناءتها.. لا يرغب إلى هذا المُلك الزائل وهذه الأُمور الفانية.. وإنّ لنا في قُربهِ تعالى، ومعرفته ومحبّته، لَذّاتٍ روحانيّة، لانعدّ تلك اللّذّات الفانية عندها شيئاً.

فلمّا أخبره بعيوب الدنيا وآفاتها، ونعيم الآخرة ودرجاتها.. قال له الغلام: فَلِي عليك حُجّةٌ أُخرى: لِمَ اخترتَ لنفسك ما هو أَولى وأحرى، وأوقعتَني في هذهِ البليّة الكبرى؟ فقال له عيسى: إنّما اخترتُ لك ذلك لأمتحنك في عقلك وذكائك، وليكون لك الثواب في ترك هذه الأُمور الميسّرة لك أكثر وأوفى، وتكون حجّةً على غيرك.

فترك الغلامُ المُلك، ولبس أثوابه البالية، وتبع عيسى عليه السلام. فلمّا رجع عيسى إلى الحواريّين قال: هذا كنزي الذي كنتُ أظنُّه في هذا

البلد.. فوجدتُه، والحمد لله[١].

هنيئاً لمَن اختار طريق الله، وفاز بمرضاة الله.

نسأله تعالى ذلك، وآخِر دعوانا أن الحمدُ للهِ ربّ العالمين، وأفضلُ الصلاة وأزكاها على المصطفى الهادي الأمين، وعلى آله الهُداة الميامين، الطاهرين المعصومين.

مشهد الرضا صلوات الله عليه
ليلة ١٠ ـ رجب ـ سنة ١٤٣٠ هجريّة
ذكرى المولد الأغرّ للإمام الجواد
سلام الله عليه

---

(١) بحار الأنوار ١٤: ٢٨٠ ـ ٢٨٢، وذكر الثعلبيّ في قصص الأنبياء (عرائس المجالس): ٢٢٠ ـ ٢٢١ نحواً من ذلك باختصار.

المصادر

* **القرآن الكريم.**

أ

* **الآحاد والمثاني**: ابن أبي عاصم (ت ٢٨٧)، تحقيق: باسم فيصل أحمد الجوابرة، طبع: دار الدراية ـ الرياض، ط ١، سنة ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م.
* **الإتحاف بحبّ الأشراف**: عبد الله بن محمّد بن عامر الشبراويّ الشافعيّ، المطبعة الأدبيّة ـ بمصر، منشورات الرضيّ ـ قم، سنة ١٩٨٥ م.
* **الاحتجاج**: أبو منصور أحمد بن عليّ بن أبي طالب الطبرسيّ (ق٦هـ) تحقيق وتعليق: السيّد محمّد باقر الخرسان، مؤسّسة الأعلمي ـ بيروت، ط ٢، سنة ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م.
* **أخبار شعراء الشيعة (أخبار السيّد الحِمْيريّ)**: أبو عبد الله محمّد ابن عمران المُرْزَبانيّ الخراسانيّ (ت ٣٨٤ هـ)، تقديم وتحقيق

وتعليق: الدكتور الشيخ محمّد هادي الأمينيّ، شركة الكتبيّ للطباعة والنشر ـ بيروت، ط ٢، سنة ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م.

* **الأخبار الموفقيّات**: الزبير بن بكّار (ت٢٥٦ هـ)، تحقيق: الدكتور سامي مكّي العانيّ،انتشارات الشريف الرضيّ ـ قمّ سنة ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦ م.

* **الاختصاص**: محمّد بن محمّد بن النعمان العكبريّ البغداديّ الملقّب بـ«الشيخ المفيد» (ت ٤١٣ هـ)، طبع جماعة المدرّسين في الحوزة العلميّة ـ بقمّ المقدّسة، إيران.

* **اختيار معرفة الرجال (أو رجال الكشّيّ)**: الشيخ الطوسيّ (ت ٤٦٠هـ)، تصحيح وتعليق: ميرداماد الأستراآباديّ، تحقيق: السيّد مهدي الرجائيّ، نشر: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث قمّ المقدّسة، ط ١، سنة ١٤٠٤ هـ.

* **أدب الطفّ أو شعراء الحسين عليه السلام**: السيّد جواد شبّر (معاصر)، دار المرتضى ـ بيروت، ط ١، سنة ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٨ م.

* **الإرشاد إلى حجج الله على العباد**: الشيخ المفيد، نشر: مكتبة بصيرتي ـ قمّ المقدّسة.

* **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**: يوسف بن عبدالله بن محمّد بن عبد البرّ القُرطبيّ (ت٤٦٣ هـ)، تحقيق: علي محمّد البجاويّ، مطبعة نهضة مصر.

* **أُسد الغابة في معرفة الصحابة:** أبو الحسن عليّ بن أبي الكرم الشيبانيّ المعروف بـ«ابن الأثير» (ت ٦٣٠ هـ)، دار إحياء التراث العربيّ ـ بيروت، سنة ١٩٧٠ م.
* **أسرار الإمامة:** عماد الدين الحسن بن عليّ الطبريّ (من علماء القرن السابع الهجريّ)، تحقيق ونشر: مجمع البحوث الإسلاميّة في الأستانة الرضويّة المقدّسة ـ مشهد المقدّسة، ط ١، سنة ١٤٢٢ هـ.
* **الأسرار فيما كُنّيَ وعُرِف به الأشرار:** الشيخ عبدالأمير الفاطميّ النجفيّ (معاصر)، دار الحقّ ـ بيروت.
* **الإشراف علىٰ مناقب الأشراف:** أبوبكر عبد الله بن محمّد بن عُبَيد ابن أبي الدنيا (ت ٢٨١ هـ)، دراسة وتحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلميّة ـ بيروت ـ ط ١، سنة ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م.
* **الإصابة في تمييز الصحابة:** أحمد بن عليّ العسقلانيّ الشافعيّ المعروف بـ«ابن حجر» (ت ٨٥٢ هـ)، مطبعة السعادة ـ مصر، سنة ١٣٢٨ هـ.
* **أعلام النساء في عالمَي العرب والإسلام:** عمر رضا كحّالة ـ مؤسّسة الرسالة ـ بيروت، ط ٥، سنة ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م.
* **إعلام الورى بأعلام الهدى:** أبو عليّ الفضل بن الحسن الطبرسيّ (ت ٥٤٨ هـ)، تحقيق ونشر: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ـ قمّ المقدّسة، ط ١، سنة ١٤١٧ هـ.

* **أعيان الشيعة**: السيّد محسن الأمين العامليّ (ت ١٣٧١ هـ)، مطبعة ابن زيدون ـ دمشق، ط ٣، سنة ١٣٧٠ هـ.

* **الأغاني**: أبو الفرج عليّ بن الحسين الأصفهانيّ (ت ٣٥٦ هـ)، دار الفكر للجميع ـ بيروت، سنة ١٣٩٠ هـ.

* **أمالي الصدوق**: أبو جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمّيّ (ت ٣٨١ هـ)، مؤسّسة الأعلميّ ـ بيروت، ط ٥، سنة ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م.

* **أمالي الطوسيّ**: أبو جعفر محمّد بن الحسن الطوسيّ (ت ٤٦٠هـ)، مؤسّسة الوفاء ـ بيروت، سنة ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م.

* **الإمام الحسين عليه السلام (أو: سموّ المعنى في سموّ الذات)**: عبد الله العلايليّ، دار مكتبة الربيبة ـ بيروت، سنة ١٩٧٢ م.

* **الإمامة والسياسة**: ابن قتيبة الدِّينوريّ عبد الله بن مسلم (ت٢٧٦هـ)، دار المعرفة ـ بيروت، ط٢، سنة ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م.

* **الإنباء بأنباء الأنبياء وتواريخ الخلفاء وولايات الأُمراء (المعروف بـ«تاريخ القضاعيّ»)**: القاضي أبو عبدالله محمّد بن سلامة بن جعفر القضاعيّ (ت ٤٥٤ هـ)، تحقيق: الدكتور عمر عبدالسلام تدمري، المكتبة العصريّة ـ صيدا بيروت، ط ١، سنة ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ م.

* **أنساب الأشراف**: أحمد بن يحيى بن جابر البغداديّ البلاذريّ (ت٢٧٩ هـ)، مؤسّسة الأعلميّ ـ بيروت.

ب

* **بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمّة الأطهار**: الشيخ محمّد باقر ابن الشيخ محمّد تقيّ المجلسيّ (ت ١١١١ هـ)، دار إحياء التراث العربيّ ـ بيروت، سنة ١٤٠٣ هـ.

* **البدء والتاريخ**: مطهَّر بن طاهر المَقْدسيّ (ت٥٠٧ هـ)، أو لأبي زيد أحمد بن سهل البَلْخيّ (ت٣٢٢ هـ)، دار الكتب العلميّة ـ بيروت، ط ١، سنة ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧م.

* **البداية والنهاية**: إسماعيل بن كثير الدمشقيّ (ت ٧٧٤ هـ)، مكتبة المعارف ـ بيروت، مكتبة النصر ـ الرياض، ط ١، سنة ١٩٦٦ م.

* **البراهين الاثنا عشر علىٰ وجود الإمام الثاني عشر**: السيّد طيّب الموسويّ الجزائريّ، نشر: مؤسّسة دار الكتاب (الجزائريّ) ـ قمّ المقدّسة، ط ١، سنة ١٤١٧ هـ.

* **البصائر والذخائر**: أبو حيّان عليّ بن محمّد بن العبّاس التوحيدي (ت ٤٠٠ هـ).

ت

* **تاج العروس**: السيّد محمّد مرتضى الحسينيّ الواسطيّ الزَّبيديّ (ت ١٢٠٥ ه)، المطبعة الخيريّة المنشأة بجماليّة مصر المحميّة، ط ١، سنة ١٣٠٦ هـ.

* **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**: شمس الدين بن محمّد بن أحمد الذهبيّ (ت ٧٤٨ هـ)، تحقيق: الدكتور عمر عبدالسلام تدمريّ، دار الكتاب العربيّ ـ بيروت، ط ٢، سنة ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م.
* **تاريخ بغداد، أو مدينة السلام**: أبو بكر أحمد بن عليّ الخطيب البغداديّ (ت ٤٦٣ هـ)، مكتبة الخانچي بالقاهرة، والمكتبة العربيّة ببغداد، مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر، ط ١، سنة ١٣٤٩ هـ / ١٩٣١ م.
* **تاريخ الخلفاء**: جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر السيوطيّ الشافعيّ (ت ٩١١ هـ)، مطبعة السعادة ـ مصر، ط ١، سنة ١٣٧١ هـ / ١٩٥٢ م.
* **تاريخ خليفة بن خيّاط**: العصفريّ (ت ٢٤٠ هـ)، برواية بقيّة بن خالد، تحقيق: الدكتور سهيل زكّار، دار الفكر ـ بيروت، سنة ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م.
* **تاريخ مدينة دمشق**: عليّ بن الحسن المعروف بـ«ابن عساكر» (ت ٥٧١ هـ)، دار إحياء التراث العربيّ ـ بيروت، سنة ١٤٠٧ هـ.
* **تاريخ الطبريّ (تاريخ الأُمم والملوك)**: أبو جعفر محمّد بن جرير الطبريّ (ت ٣١٠ هـ)، دار التراث ـ بيروت.
* **تاريخ الفلسفة في الإسلام**: المستشرق ت. ج دي بور (جامعة

آمستردام)، نقله إلى العربيّة: الدكتور محمّد عبد الهادي أبو ريده، دار النهضة العربيّة ـ بيروت، ط ٥، سنة ١٩٨١ م.

* **تاريخ اليعقوبيّ**: أحمد بن إسحاق بن يعقوب (ت ٢٩٢ هـ)، دار صادر ـ بيروت.

* **تتمّة المختصر في أخبار البشر (المعروف بـ«تاريخ ابن الورديّ»)**: ابن الورديّ زين الدين عمر بن مظفّر (ت ٧٤٩ هـ)، منشورات المطبعةالحيدريّة ـ النجف‌الأشرف، ط ٢، سنة ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩م.

* **تتمّة المنتهى في وقائع أيّام الخلفاء**: الشيخ عبّاس القمّيّ (ت ١٣٥٩ هـ)، المكتبة المركزيّة ـ طهران، سنة ١٣٦٥ هـ.

* **تجارب السلف**: هندوشاه سنجر بن عبد الله حاجبي نَخْجَواني، انتشارت طهوري ـ طهران، سنة ١٣٤٤ هـ.

* **التذكرة الحمدونيّة**: محمّد بن الحسن بن محمّد المعروف بـ«ابن حمدون»، تحقيق: إحسان عبّاس وبكر عبّاس، دار صادر ـ بيروت، ط ١، سنة ١٩٩٦م.

* **تذكرة خواصّ الأُمّة**: يوسف بن قزاغليّ المعروف بـ«سبط ابن الجوزيّ» (ت ٦٥٤ هـ)، مؤسّسة أهل البيت عليهم‌السلام ـ بيروت، سنة ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م.

* **الترغيب والترهيب من الحديث الشريف**: عبد العظيم بن عبد القويّ المنذريّ (ت ٦٥٦ هـ)، دار إحياء التراث العربيّ ـ بيروت، ط ٣، سنة ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م.

* **تسلية المُجالس وزينة المَجالس**: محمّد بن أبي طالب الحسينيّ الموسويّ الحائريّ، تحقيق: فارس الحسّون، مؤسّسة المعارف الإسلاميّة ـ إيران، سنة ١٤١٨ هـ.

* **تفسير ابن كثير (المعروف بـ «تفسير القرآن العظيم»)**: أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقيّ (ت٧٧٤ هـ)، مؤسّسة التاريخ العربيّ، دار إحياء التراث العربيّ ـ بيروت.

* **تفسير الإمام العسكريّ عليه السلام**: الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام (ش ٢٦٠ هـ)، تحقيق ونشر: مدرسة الإمام المهديّ عليه السلام ـ قمّ المقدّسة، سنة ١٤٠٢ هـ.

* **تفسير الخازن (المسمّى بـ«لباب التأويل في معاني التنزيل»)**: علاء الدين عليّ بن محمّد البغداديّ الصوفيّ المعروف بـ«الخازن»، المكتبة التجاريّة الكبرى ـ مصر.

* **تفسير العيّاشيّ**: محمّد بن مسعود بن عيّاش السَّلَميّ (ت ٣٢٠هـ)، المكتبة العلميّة الإسلاميّة ـ طهران.

* **تفسير فرات الكوفيّ**: فرات بن إبراهيم بن فرات الكوفيّ (ق٣هـ)، تحقيق: محمّد الكاظم، مؤسّسة الطباعة والنشر في وزارة الثقافة والإرشاد الإسلاميّ ـ طهران، ط ٢، سنة ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م.

* **تفسير القرآن العظيم**: إسماعيل بن عمر المعروف بـ«ابن كثير» (ت ٧٧٤ هـ) دار الفكر ـ بيروت، سنة ١٣٨٩ هـ.

* **تفسير القمّيّ**: الشيخ عليّ بن إبراهيم القمّيّ (ق ٤ هـ)، تصحيح وتعليق وتقديم السيّد طيّب الموسويّ الجزائريّ، دار السرور - بيروت، ط ١، سنة ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م.

* **التفسير الكبير**: محمّد بن عمر الفخر الرازيّ (ت ٦٠٦ هـ)، دار إحياء التراث العربيّ - بيروت.

* **تفسير المنار (أو: تفسير القرآن الحكيم)**: محمّد رشيد رضا (ت ١٣٥٤ هـ)، دار المعرفة - بيروت.

* **تفسير نور الثقلين**: الشيخ عبد عليّ بن جمعة العروسيّ الحويزيّ (ت ١١١٢ هـ)، المطبعة العلميّة - قمّ المقدّسة، سنة ١٣٨٢ هـ.

* **تلخيص مقباس الهداية**: الشيخ عبدالله المامقانيّ (ت ١٣٥١ هـ)، تلخيص وتحقيق: الأُستاذ علي أكبر الغفّاريّ، نشر: جامعة الإمام الصادق عليه السلام - طهران، ط ١، سنة ١٩٨٩ م.

* **التمهيد في الردّ على المُلحدة المعطِّلة والرافضة والخوارج والمعتزلة**: أبو بكر محمّد بن الطيّب بن الباقلّانيّ (ت ٤٠٣ هـ)، دار الفكر العربيّ - القاهرة.

* **تنبيه الخواطر ونزهة النواظر (المعروف بـ«مجموعة ورّام»)**: أبو الحسين ورّام بن أبي فراس المالكيّ الأشتريّ (ت ٦٠٥ هـ)، مكتبة الفقيه - قمّ المقدّسة - عن: طبعة دار التعارف ودار صعب - بيروت.

* **التنبيه والإشراف**: أبوالحسن عليّ بن الحسين المسعوديّ (ت٣٤٥ هـ)، المطبعة العلميّة ـ طهران، سنة ١٣٦٥ هـ.
* **تهذيب التهذيب**: أحمد بن عليّ بن حجر العسقلانيّ (ت٨٥٢ هـ)، دار صادر ـ بيروت، سنة ١٩٦٨ م.
* **التوحيد**: الشيخ الصدوق أبو جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمّيّ (ت ٣٨١ هـ)، نشر جماعة المدرّسين في الحوزة العلميّة ـ قمّ المقدّسة، سنة ١٣٩٨ هـ.

ث

* **الثائر الأوّل في الإسلام**: محمّد عبد الباقي سرور (معاصر).

ج

* **جامع البيان في تفسير القرآن**: محمّد بن جرير الطبريّ (ت٣١٠هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابيّ الحلبيّ ـ القاهرة، سنة ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م.
* **الجامع لأحكام القرآن**: محمّد بن أحمد الأنصاريّ (ت ٦٧١ هـ)، بالأوفسيت دار إحياء التراث العربيّ ـ بيروت، سنة ١٣٧٢ هـ / ١٩٥٢م.
* **جمهرة خطب العرب**: أحمد زكي صفوت (معاصر)، طبع المكتبة العلميّة ـ بيروت.

* **جمهرة رسائل العرب في العصور العربيّة الزاهرة**: أحمد زكي صفوت (معاصر)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابيّ الحلبيّ ـ مصر، ط ١، سنة ١٣٥٦هـ / ١٩٣٧ م.
* **جواهر التاريخ**: الشيخ عليّ الكَورانيّ العامليّ، دار الهدىٰ ـ قمّ المقدّسة، ط ١، سنة ١٤٢٦ هـ.

ح

* **حركات الشيعة في العصر العبّاسيّ الأوّل**: محمّد جابر عبد العال، مطبعة السنّة المحمّديّة ـ القاهرة، سنة ١٣٧٣ هـ.
* **حياة الحيوان الكبرى**: كمال الدين محمّد بن موسى الدَّميريّ (٨٠٨ هـ)، منشورات الرضيّ ـ قمّ المقدّسة، سنة ١٩٨٦م، أُوفسيت عن طبعة شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابيّ الحلبيّ ـ مصر.

خ

* **الخرائج والجرائح**: قطب الدين أبو الحسين سعيد بن هبة الله الراونديّ (ت ٥٧٣ هـ)، دار نشر مصطفوي ـ قمّ المقدّسة.
* **الخصال**: الشيخ الصدوق، منشورات جماعة المدرّسين التابعة للحوزة العلميّة ـ بقمّ المقدّسة، سنة ١٤٠٣ هـ.

د

* **دائرة المعارف الإسلاميّة الشيعيّة**: السيّد حسن الأمين، دار التعارف ـ بيروت، ط٣، سنة ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م.
* **دائرة معارف القرن العشرين**: محمّد فريد وجدي، دار المعرفة ـ بيروت، ط ٣، سنة ١٩٧١ م.
* **الدرّ المنثور في التفسير بالمأثور**: جلال الدين عبدالرحمان بن أبي بكر السيوطيّ الشافعيّ (ت ٩١١ هـ)، نشر: محمّد أمين دمج ـ بيروت.
* **الدرّ النظيم**: جمال الدين يوسف بن حاتم العامليّ الشاميّ (ت٦٦٤ هـ)، نشر: مؤسّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين ـ قمّ المقدّسة.
* **دلائل النبوّة**: أحمد بن الحسين البيهقيّ (ت ٤٥٨ هـ)، دار الكتب العلميّة ـ بيروت، سنة ١٤٠٥ هـ.

ر

* **ربيع الأبرار ونصوص الأخبار**: محمود بن عمر الزمخشريّ (ت٥٣٨ هـ)، تحقيق: الدكتور سليم النعيميّ، دار الذخائر ـ قمّ المقدّسة، سنة ١٤١٠ هـ.

* **رجال الكشّيّ (المعروف بـ«اختيار معرفة الرجال»)**: محمّد بن الحسن الطوسيّ، طبعة كليّة الإلهيّات في مشهد المقدّسة، سنة ١٣٤٨ هـ.
* **الردّ على المتعصّب العنيد المانع عن لعن يزيد**: أبو الفرج عبدالرحمان بن عليّ الشهير بـ «ابن الجوزيّ» (ت ٥٩٧ هـ)، تحقيق: الشيخ محمّد كاظم المحموديّ ـ إيران، سنة ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣م.
* **رسائل الجاحظ**: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ)، طبع على نفقة محمّد الساسيّ ـ بمصر، سنة ١٣٢٤ هـ.
* **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**: أبو الفضل شهاب الدين محمود الآلوسيّ البغداديّ (ت ١٢٧٠ هـ)، دار إحياء التراث العربيّ ـ بيروت.
* **روض الجِنان ورَوح الجَنان في تفسير القرآن، (المشهور بـ«تفسير أبي الفتوح الرازيّ»)**: الحسين بن عليّ بن محمّد الخزاعيّ النَّيشابوريّ (ق ٦ هـ)، مجمع البحوث الإسلاميّة في الآستانة الرضويّة المقدّسة ـ مشهد المقدّسة، إيران، سنة ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣م.
* **روضة الواعظين**: محمّد بن الفتّال النَّيسابوريّ (ت ٥٠٨ هـ)، منشورات الرضيّ ـ قمّ المقدّسة، عن طبعة النجف الأشرف، سنة ١٣٨٦ هـ.

* **الرياض النضرة في مناقب العشرة**: أحمد بن عبد الله، المعروف بـ«المحبّ الطبريّ» (ت ٦٩٤ هـ)، دار الكتب العلميّة ـ بيروت.

س

* **السبعة من السلف**: السيّد مرتضى الحسينيّ الفيروزآباديّ (ت ١٤١٢ هـ)، منشورات مكتبة الفيروزآباديّ ـ قمّ المقدّسة، ط٢، سنة ١٤٠٢ هـ.

* **سفينة البحار ومدينة الحِكم والآثار**: الشيخ عبّاس القمّيّ (ت ١٣٥٩ هـ)، تحقيق: مجمع البحوث الإسلاميّة في الآستانة الرضويّة المقدّسة ـ مشهد المقدّسة، سنة ١٤١٦ هـ.

* **سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي**: عبدالملك بن حسين بن عبدالملك الشافعيّ العاصميّ المكّيّ (ت ١١١ هـ)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمّد معوّض، منشورات محمّد علي بيضون، دار الكتب العلميّة ـ بيروت، ط ١، سنة ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م.

* **سنن أبي داود**: سليمان بن الأشعث السجستانيّ الأزديّ (ت ٢٧٥هـ)، دار إحياء السنّة النبويّة.

* **سنن الترمذيّ**: أبو عيسى محمّد بن عيسى بن سورة الترمذيّ (ت ٢٧٩ هـ)، دار الفكر ـ بيروت، سنة ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م.

* **السنن الكبرى**: أحمد بن الحسين البيهقيّ، دار المعرفة ـ بيروت.
* **السيرة الحلبيّة**: عليّ بن برهان الدين الحلبيّ الشافعيّ (ت ١٠٤٤هـ)، المكتبة الإسلاميّة ـ بيروت.
* **السيرة النبويّة**: ابن كثير (ت ٧٧٤ هـ)، تحقيق: مصطفى عبدالواحد، دار إحياء التراث العربيّ ـ بيروت، سنة ١٣٨٣هـ / ١٩٦٤م.
* **السيرة النبويّة**: ابن هشام عبدالملك بن هشام الحِمْيريّ (ت٢١٣هـ)، دار إحياء التراث العربيّ ـ بيروت، سنة ١٩٨٥ م.

ش

* **شذرات الذهب في أخبار مَن ذهب**: عبد الحقّ بن العماد الحنبليّ (ت١٠٨٩ هـ)، دار الكتب العلميّة ـ بيروت.
* **شرح جامع لأُصول الكافي**: المولىٰ محمّد صالح المازندرانيّ، تصحيح وتخريج: علي أكبر الغفّاريّ، منشورات المكتبة الإسلاميّة ـ طهران، سنة ١٣٨٤ هـ.
* **شرح نهج البلاغة**: ابن أبي الحديد المعتزليّ، أبو حامد عبدالحميد ابن هبة الله (ت ٦٥٥ هـ)، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربيّة ـ مصر، ط ١، سنه ١٣٧٨ هـ / ١٩٥٩ م.

* **شرح نهج البلاغة**: كمال الدين ميثم بن عليّ بن ميثم البحرانيّ (ت ٦٧٩ هـ)، منشورات دفتر نشر الكتاب، مؤسّسة النصر - طهران، سنة ١٣٧٨ هـ.

* **شواهد التنزيل لقواعد التفضيل**: عبيد الله بن عبد الله الحسَكانيّ (ق ٥ هـ)، منشورات الأعلميّ - بيروت، سنة ١٣٩٣ هـ.

* **شيخ المُضيرة أبو هُريرة الدَّوسيّ**: محمود أبو ريّة، منشورات الشريف الرضيّ، قمّ المقدّسة، سنة ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م.

ص

* **صحيح البخاريّ**: محمّد بن إسماعيل الجعفيّ البخاريّ (ت٢٥٦هـ)، دار إحياء التراث العربيّ - بيروت.

* **صحيح مسلم**: مسلم بن الحجّاج بن مسلم القشيريّ (ت ٢٦١ هـ)، دار الفكر - بيروت، ط٢، سنة ١٣٩٨ هـ / ١٩٦٥ م.

* **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**: أحمد بن عليّ القَلْقشنديّ (ت ٨٢١ هـ)، سلسلة تراثنا عن الطبعة الأميريّة - مصر، سنة ١٣٨٣ هـ / ١٩٦٣م.

* **الصواعق المحرقة**: أحمد بن حجر الهيثميّ (ت ٩٧٣ هـ) - مكتبة القاهرة، شركة الطباعة الفنيّة المتّحدة - مصر، سنة ١٣٨٥ هـ.

ط

* **طبقات الشعراء**: ابن المعتزّ، تحقيق: عبدالستّار أحمد فراج، سلسلة ذخائر العرب ٢٠، دار المعارف ـ بمصر، سنة ١٣٧٥هـ / ١٩٥٦م.
* **الطبقات الكبرى**: محمّد بن سعد بن منيع البصريّ الزهريّ (ت ٢٣٠ هـ)، دار صادر ـ بيروت، سنة ١٣٨٠ هـ / ١٩٦٠ م.

ع

* **عُدّة الداعي ونجاح الساعي**: أحمد بن فهد الحلّيّ (ت ٨٤١ هـ)، دار الكتاب الإسلاميّ ـ إيران، ط ١، سنة ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧م.
* **العِقد الفريد**: أحمد بن محمّد بن عبد ربّه الأندلسيّ (ت ٣٢٨هـ)، دار الكتب العلميّة ـ بيروت، ط ١، سنة ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٣م.
* **عليٌّ وبنوه**: الدكتور طه حسين، من المجموعة الكاملة لمؤلفاته، دار الكتاب اللبنانيّ ـ بيروت، سنة ١٩٨٢ م.
* **عيد الغدير**: بولس سلامة، نشر: المؤسّسة الثقافيّة لهيئة أنصار الحسين عليه السلام، ط ٤، سنة ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م ـ عن طبعة دار الأندلس ـ بيروت.
* **عيون الأخبار**: ابن قتيبة، منشورات الشريف الرضيّ ـ قمّ المقدّسة، سنة ١٤١٥ هـ.

* **عيون أخبار الرضاعليه السلام**: الشيخ الصدوق (ت ٣٨١ هـ)، مكتبة طوس ـ قمّ المقدّسة، سنة ١٩٨٥ م.

غ

* **الغارات**: إبراهيم بن محمّد الثقفيّ الكوفيّ الإصفهانيّ (ت ٢٨٣هـ)، سلسلة انتشارات انجمن آثار ملّي ـ طهران، ط ٢، سنة ١٣٩٥هـ.
* **الغدير**: الشيخ عبدالحسين أحمد الأمينيّ النجفيّ (ت ١٣٩٣ هـ)، دار الكتب الإسلاميّة ـ طهران، سنة ١٩٨٨ م.
* **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**: نظام الدين الحسن بن محمّد القمّيّ النيسابوريّ (ت ٧٢٨ هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابيّ الحلبيّ ـ مصر، ط ١، سنة ١٣٨١ هـ / ١٩٦٢ م.

ف

* **فتح الباري لشرح صحيح البخاريّ**: ابن حجر العسقلانيّ (ت ٨٥٢ هـ)، دار إحياء التراث العربيّ ـ بيروت، ط ٢.
* **الفتوح**: أحمد بن أعثم الكوفيّ (ت ٣١٤ هـ)، دار الكتب العلميّة ـ بيروت، ط ١، سنة ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦م.
* **فتوح البلدان**: أحمد بن يحيى البلاذريّ (ت ٢٧٩ هـ)، دار الكتب العلميّة ـ بيروت، سنة ١٣٩٨ هـ.

* **الفتوحات المكّيّة**: أبو عبد الله محمّد بن عليّ المعروف بـ«ابن عربيّ» (ت ٦٣٨ هـ)، دار صادر ـ بيروت.
* **الفخريّ في الآداب السلطانيّة والدول الإسلاميّة**: محمّد بن عليّ ابن طباطبا المعروف بـ«ابن الطقطقا» (ت ٧٠٩ هـ)، منشورات الشريف الرضيّ ـ إيران، سنة ١٤١٤ هـ.
* **فرائد السمطين في فضائل المرتضى والبتول والسبطين والأئمّة من ذرّيّتهم** عليهم السلام: إبراهيم بن محمّد بن المؤيّد الجوينيّ الخراسانيّ (ت ٧٣٠ هـ)، مؤسّسة المحموديّ ـ بيروت، ط ١، سنة ١٣٩٨ هـ/ ١٩٧٨ م.
* **الفروع وتصحيح الفروع**: محمّد بن مفلح المَقْدسيّ الحنبليّ (ت٧٦٣ هـ)، تحقيق: حازم القاضي، دار الكتب العلميّة ـ بيروت، سنة ١٤١٨ هـ.
* **الفصول المهمّة في معرفة الأئمّة**: عليّ بن محمّد بن أحمد المالكيّ المكّيّ (ت ٨٥٥ هـ)، مطبعة العدل ـ النجف الأشرف.
* **فَوات الوَفَيات**: محمّد بن شاكر الكتبيّ (ت ٧٦٤ هـ)، تحقيق: الدكتور إحسان عبّاس، دار صادر ـ بيروت، سنة ١٩٧٣ م.
* **فيض القدير شرح الجامع الصغير**: محمّد المدعوّ بـ«عبد الرؤوف المناويّ»، دار الفكر ـ بيروت، ط٢، سنة ١٣٩١ / ١٩٧٢ م.

ق

* **قرب الإسناد**: أبو العبّاس عبد الله بن جعفر الحِمْيريّ القمّيّ (من أصحاب الإمام العسكريّ عليه السلام) (ق ٣ هـ)، تحقيق ونشر: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ـ قمّ المقدّسة، ط ١، سنة ١٤١٣ هـ.
* **قصص الأنبياء**: قطب الدين سعيد بن هبة الله الراونديّ، مؤسّسة المفيد ـ بيروت، ط ١، سنة ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩م.
* **قصص الأنبياء (المسمّى بـ«عرائس المجالس»)**: أبو إسحاق أحمد ابن محمّد بن إبراهيم النيشابوريّ الملقّب بـ«الثعلبيّ» (ت ٤٢٧ هـ)، المكتبة الثقافيّة ـ بيروت.
* **قصص الأنبياء والمرسلين**: السيّد نعمة الله الجزائريّ، انتشارات الشريف الرضيّ ـ قمّ المقدّسة، سنة ١٤١٥ هـ.

ك

* **الكافي**: أبو جعفر محمّد بن يعقوب الكلينيّ الرازيّ (ت ٣٢٩ هـ)، المكتبة الإسلاميّة ـ طهران، سنة ١٣٨٨ هـ.
* **الكامل البهائيّ**: الحسن بن عليّ المشهور بـ«عماد الدين الطبريّ» (ق ٧ هـ)، انتشارات المرتضويّ ـ طهران.

* **كامل الزيارات**: أبو القاسم جعفر بن محمّد بن قُولَويه (ت٣٦٨هـ)، تحقيق: الشيخ جواد القيّوميّ، نشر الفقاهة ـ قمّ المقدّسة، ط ٣، سنة ١٤٢٤ هـ.

* **الكامل في التاريخ**: ابن الأثير عليّ بن محمّد الجزريّ (ت ٦٣٠هـ)، دار صادر ـ بيروت، سنة ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م.

* **كتاب الأربعين**: محمّد بن الحسين العامليّ المعروف بـ«الشيخ البهائيّ» (ت ١٠٣٠ هـ)، مكتبة الصابريّ ـ تبريز، إيران، سنة ١٣٧٨ هـ.

* **كربلاء بين الحقائق والأوهام**: إبراهيم إشكناني، دار التعارف ـ بيروت، ط ١، سنة ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م.

* **الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**: أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشريّ (ت ٥٣٨ هـ)، دار المعرفة ـ بيروت.

* **كشف الغمّة في معرفة الأئمّة**: أبو الحسن عليّ بن عيسى بن أبي الفتح الإربليّ (ت ٦٩٣ هـ)، المطبعة العلميّة ـ قمّ المقدّسة، الناشر: مكتبة بني هاشم ـ تبريز، إيران، سنة ١٣٨١ هـ.

* **الكشف والبيان في تفسير القرآن**: أحمد بن محمّد بن إبراهيم الثعلبيّ النيسابوري (ت٤٢٧ هـ)، تحقيق: أبي محمّد بن عاشور، طبع دار إحياء التراث العربيّ ـ في بيروت سنة ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م.

* **كفاية الطالب في مناقب عليّ بن أبي طالب:** محمّد بن يوسف الگنجيّ الشافعيّ (ت ٦٥٨ هـ)، مطبعة الفارابيّ ـ طهران.

* **كمال الدين وتمام النعمة:** الشيخ الصدوق (ت ٣٨١ هـ)، مؤسسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين ـ بقمّ المقدّسة، سنة ١٤٠٥ هـ.

* **الكنى والألقاب:** الشيخ عبّاس القمّيّ، المطبعة الحيدريّة في النجف الأشرف، سنة ١٣٧٦ هـ / ١٩٥٦ م.

* **كنز جامع الفوائد (المسمّى بـ«تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة»):** السيّد شرف الدين عليّ الحسينيّ الأسترابادي الغرويّ (ق ١٠ هـ)، مؤسّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين ـ بقمّ المقدّسة، سنة ١٤٠٩ هـ.

* **كنز العمّال في شتّى الأقوال والأفعال:** علاء الدين المتّقي بن حسام الدين الهنديّ (ت ٩٧٥ هـ)، مؤسّسة الرسالة ـ بيروت، ط ٥، سنة ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥ م.

* **كنوز الحقائق في حديث خير الخلائق** (المطبوع في (الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير، للسيوطيّ): عبد الرؤوف المناويّ ـ دار الكتب العلميّة ـ بيروت، ط ٤، سنة ١٣٧٣هـ / ١٩٥٤م.

ل

* **اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة**: جلال الدين السيوطيّ، دار المعرفة - بيروت، سنة ١٤٠٣ هـ.

* **لسان العرب**: أبو الفضل جمال الدين محمّد بن مكرم بن منظور الأفريقيّ المصريّ (ت ٧١١ هـ)، بالأوفسيت - طبعة: أدب الحوزة - قمّ المقدّسة، سنة ١٤٠٥ هـ.

* **اللهوف على قتلى الطفوف (أو: الملهوف على قتلى الطفوف)**: السيّد عليّ بن موسى بن طاووس (٦٦٤ هـ)، منشورات المكتبة الحيدريّة في النجف الأشرف، سنة ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥ م.

* **ليالي بِيشاوَر**: المترجَم من اللّغة الفارسيّة إلى اللغة العربيّة بعنوان: البدر الأزهر في مناظرات ليالي بِيشاوَر، تأليف: سلطان الواعظين السيّد محمّد الموسويّ الشيرازيّ، تعريب وتحقيق: السيّد حسين الموسويّ الفالي، نشر: برهيزكار - قمّ المقدّسة، طبع: مؤسّسة دار المهديّ والقرآن الكريم - الحسينيّة الكربلائيّة في أصفهان، الطبعة الثانية، سنة ١٤٢٤ هـ.

م

* **مثير الأحزان**: ابن نما الحلّيّ (ت ٦٤٥ هـ)، تحقيق: مؤسّسة الإمام

المهديّ عليه السلام، منشورات مدرسة الإمام المهديّ عليه السلام ـ قمّ المقدّسة، ط ٣، سنة ١٤٠٦ هـ.

* **مجالس المؤمنين**: الشهيد السيّد نور الله القاضي التُّسْتريّ (ت ١٠١٩ هـ)، المكتبة الإسلاميّة ـ طهران، سنة ١٣٦٥ هـ.

* **مجمع البيان في تفسير القرآن**: الشيخ أبو عليّ الفضل بن الحسن الطبرسيّ (ت ٥٤٨ هـ)، منشورات مكتبة السيّد المرعشيّ ـ قمّ المقدّسة، سنة ١٤٠٣ هـ.

* **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**: عليّ بن أبي بكر الهيثميّ (ت ٨٠٧ هـ)، دار الكتاب العربيّ ـ بيروت، ط ٣، سنة ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م.

* **المحاسن**: أبو جعفر أحمد بن محمّد بن خالد البرقيّ (ت ٣٧٤ هـ)، دار الكتب الإسلاميّة ـ قمّ المقدّسة، سنة ١٣٧١ هـ.

* **المحتضر**: الشيخ عزّ الدين حسن بن سليمان الحلّيّ (ق ٨ هـ)، تحقيق: السيّد علي أشرف، انتشارات المكتبة الحيدريّة ـ قمّ المقدّسة، سنة ١٤٢٤ هـ.

* **المُحلّى**: أبو محمّد عليّ بن أحمد بن سعيد بن حزم (ت ٤٥٦ هـ)، منشورات دار الآفاق الجديدة ـ بيروت.

* **مختار من كتاب الأغاني**: الشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء (ت ١٣٧٣ هـ)، دار الكتاب الإسلاميّ ـ قمّ المقدّسة، ط ٢، سنة ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م.

* **المختصر في أخبار البشر**: إسماعيل بن عليّ بن محمّد، أبو الفداء عماد الدين (ت ٧٣٢ هـ)، منشورات محمّد علي بيضون، دار الكتب العلميّة ـ بيروت، ط ١، سنة ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧م.

* **مرآة الجنان وعِبرة اليقظان**: عبدالله بن أسعد اليافعيّ الشافعيّ (ت٧٦٨ هـ)، طبعة حيدرآباد الدكن ـ بالهند، سنة ١٣٣٨ هـ.

* **مروج الذهب ومعادن الجوهر**: أبو الحسن عليّ بن الحسين بن عليّ المسعوديّ (ت ٣٤٦ هـ)، دار الأندلس ـ بيروت، سنة ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م.

* **المستدرك على الصحيحين**: أبو عبد الله محمّد بن عبد الله الحاكم النيسابوريّ الشافعيّ (ت ٤٠٥ هـ)، دار الكتب العلميّة ـ بيروت، ط ١، سنة ١٤١١ هـ / ١٩٩٠ م.

* **المُستطرَف في كلّ فنّ مُستظرَف**: أحمد بن محمّد الأبشيهيّ (ت ٨٥٠ هـ)، دار الفكر ـ بيروت.

* **مسند أحمد بن حنبل**: أحمد بن محمّد بن حنبل الشيبانيّ (ت ٢٤١ هـ)، دار إحياء التراث العربيّ ـ بيروت، سنة ١٤١٢هـ / ١٩٩١م.

* **معاني الأخبار**: الشيخ الصدوق (ت٣٨١هـ)، مؤسّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين ـ بقمّ المقدّسة، سنة ١٣٧٩ هـ.

* **معاوية بن أبي سفيان وعصره**: عمر أبو النصر (معاصر).
* **معجم الأُدباء**: ياقوت بن عبد الله الحمويّ (ت ٦٢٦ هـ)، دار الفكر ـ بيروت، ط ٣، سنة ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠ م.
* **معجم الشعراء**: أبو عبيدالله محمّد بن عمران المَرْزُبانيّ (ت ٣٨٤ هـ أو ٣٨٧ هـ)، تحقيق: عبد الستّار أحمد فراج، دار إحياء الكتب العربيّة عيسى البابيّ الحلبيّ ـ القاهرة، سنة ١٣٧٩هـ / ١٩٦٠ م.
* **المعجم الوسيط**: تأليف مجموعة من أساتذة اللّغة المعاصرين، نشر: مجمع اللّغة العربيّة بمصر. وبالأوفسيت: انتشارات ناصر خسرو ـ طهران.
* **المغازي**: محمّد بن عمر بن واقد، المعروف بالواقديّ (ت ٢٠٧ هـ)، مؤسّسة الأعلميّ ـ بيروت، ط ٣، سنة ١٠٤٩ هـ / ١٩٨٩ م.
* **مقالات الإسلاميّين**: الأشعريّ عليّ بن إسماعيل (ت ٣٢٤ هـ)، دار الحداثة ـ بيروت، سنة ١٤٠٥ هـ.
* **مقتل الحسين** عليه السلام: أبو المؤيّد الموفّق بن أحمد المكّيّ الخوارزميّ الحنفيّ (ت ٥٦٨ هـ)، تحقيق: الشيخ محمّد السّماويّ، تصحيح ونشر: دار أنوار الهدى ـ قمّ المقدّسة، ط ١، سنة ١٤١٨ هـ.
* **مقتل الحسين** عليه السلام: عبدالرزّاق المقرّم الموسويّ (ت ١٣٩١ هـ)، منشورات قسم الدراسات الإسلاميّة في مؤسّسة البعثة ـ إيران.

* **مناقب آل أبي طالب**: الشيخ محمّد بن عليّ بن شهرآشوب المازندرانيّ السَّرويّ (ت ٥٨٨ هـ)، مؤسّسة انتشارات العلّامة ـ قمّ المقدّسة.
* **مناقب عليّ بن أبي طالب** عليه السلام: أبو الحسن عليّ بن محمّد الواسطيّ الشافعيّ الشهير بـ«ابن المغازليّ» (ت ٤٨٣ هـ)، المكتبة الإسلاميّة ـ طهران، سنة ١٤٠٣ هـ.
* **المناقب والمثالب**: القاضي أبو حنيفة نعمان المصريّ المغربيّ (ت٣٦٣ هـ)، تحقيق: ماجد بن أحمد العطيّة، منشورات مؤسّسة الأعلميّ للمطبوعات ـ بيروت، ط ١، سنة ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢ م.
* **المنتظَم في تاريخ الملوك والأمم**: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمان بن عليّ الجوزيّ، دار الفكر ـ بيروت، سنة ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥م.
* **الموطّأ**: مالك بن أنس (ت ١٧٩ هـ)، دار إحياء التراث العربيّ ـ بيروت.
* **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**: أبو عبد الله محمّد بن أحمد بن عثمان الذهبيّ (ت ٧٤٨ هـ)، دار المعرفة ـ بيروت، سنة ١٣٨٢هـ.
* **الميزان في تفسير القرآن**: السيّد محمّد حسين الطباطبائيّ (ت ١٤٠٢ هـ)، مؤسّسة إسماعيليان ـ قمّ المقدّسة، سنة ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م.

ن

* **ناسخ التواريخ**: الميرزا محمّد تقي لسان المُلك سپهر، انتشارات المكتبة الإسلاميّة ـ طهران، ط ٢، سنة ١٩٨٥ م.
* **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**: أبو المحاسن يوسف بن تغري بردى (ت ٨٧٩ هـ)، المؤسّسة المصريّة العامّة ـ القاهرة، سنة ١٣٨٣ هـ.
* **النزاع والتخاصم فيما بين بني أُميّة وبني هاشم**: تقيّ الدين أحمد ابن عليّ المقريزيّ (ت ٨٤٥ هـ)، تحقيق: الدكتور حسين مؤنس، مطبعة الإبراهيميّة ـ مصر، سنة ١٩٣٧ م.
* **النصائح الكافية لمَن يتولّى معاوية**: السيّد محمّد بن عقيل بن عبدالله العلويّ (ت ١٣٥٠ هـ)، مطبعة النعمان في النجف الأشرف، سنة ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٩ م.
* **النهاية في غريب الحديث والأثر**: ابن الأثير (ت ٦٣٠ م)، منشورات إسماعيليان ـ قمّ المقدّسة، ط ٤، سنة ١٩٨٦ م.
* **نهج البلاغة**: مجموع ما اختاره الشريف الرضيّ (ت ٤٠٤ هـ) من كلام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام (ش ٤٠ هـ)، ضبط: الدكتور صبحي الصالح، دار الكتب اللّبنانيّ ـ بيروت، سنة ١٣٨٧ هـ، طبع بالأُوفسيت في إيران بإشراف انتشارات الهجرة ـ قمّ المقدّسة، سنة ١٣٩٥ هـ.

* **نيل الأوطار من أحاديث سيّد الأخيار**: محمّد بن عليّ بن محمّد الشوكانيّ (ت ١٢٥٥ هـ)، دار الجيل ـ بيروت، سنة ١٩٧٣م.

و

* **وَفَيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**: أحمد بن محمّد بن خَلِّكان (ت ٦٨١ هـ)، تحقيق: الدكتور إحسان عبّاس، سنة ١٩٧٢ م.
* **وقعة صفّين**: نصر بن مزاحم المنقريّ (ت ٢١٢ هـ)، تحقيق: عبدالسلام محمّد هارون، منشورات السيّد المرعشيّ النجفيّ ـ قمّ المقدّسة، سنة ١٤٠٣ هـ.

ي

* **يزيد بن معاوية فرع الشجرة الملعونة في القرآن**: أبو جعفر أحمد المكّيّ (معاصر)، ط ١، سنة ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م.
* **ينابيع المودّة**: الشيخ سليمان بن إبراهيم القندوزيّ الحنفيّ (ت ١٢٩٤ هـ)، تحقيق: السيّد علي جمال أشرف الحسينيّ، الناشر: دار الأُسوة للطباعة والنشر ـ قمّ المقدّسة، ط ٢، سنة ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١ م.

محتويات الكتاب

العنوان	الصفحة



هذا الكتاب

التاريخ عِبَرٌ ومواقف .. وقد أحببنا أن نستخلص منها بعض الدروس من خلال شخصيّات موفّقة ، وأُخرى خائبة .. هذه ثَبتَت وصابرت واتّقت حتّى أفلحت ، وتلك انحرفت وغوت وتمادت حتّى خسرت .

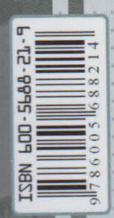
كما أحببنا أن نتعرّف على السرّ الذي يقف وراء ذلك ، مع أنّ هنالك مَن ضلّ ، بل وأضلّ ، وهو في أجواء الإيمان والهدى ، وهنالك من اهتدى ، بل و هدى ، وهو في أجواء الكفر والضلال والفساد .. فكان ذا موفّقاً ربح ، وكان الآخرُ خائباً خسِر .

والتوفيق له قصص في حياة الإنسان .. تتلخّص في أنّ العبد إذا واجه هداية الله بالقبول والتسليم والإخلاص والسعي ، نال الخير والسعادة . أمّا إذا واجه هداية الله بالصدّ والتعالي والعناد والتعصّب الأعمى والمكابرة ، فإن مآله إلى الشرّ والشقاء .

ومصاديق ذلك كثيرة.. وضعنا بين يدي القارئ الكريم بعضاً منها ، يطالعها في رحلة مؤنسة ، لا ينسى خلالها أن يذكرنا بدعواته المخلصة .

مراكز التوزيع

- ايران : قم - مؤسسة الرافد للمطبوعات . هاتف : ‎+٩٨٩١٢٥٥١٤٤٢٦
- العراق : بغداد - شارع المتنبي - دار الكتاب العربي . هاتف : ٠٧٩٠١٤١٩٣٧٥
  النجف الاشرف - شارع الرسول ﷺ مكتبة دار الهلال . هاتف : ٣٧١٧٢٧ - ٣٣٢٩١٣
  كربلاء - شارع قبلة الامام الحسين عليه السلام - مكتبة ابن فهد الحلي . هاتف : ٠٧٨٠١٥٥٨٩٤٢
  البصرة - العشار - مكتبة الامام الهادي عليه السلام . هاتف : ٦٢٢٥٦٢ - ٦٢٤٩٣٢
- لبنان : المؤسسة العاملية لإحياء التراث . هاتف ٠٣/٧٤٧٦٥٩



ISBN 600-5688-21-9